

رجال الفتن والدعوة في الإسلام

المجلد الخامس

# الإمام المحرر عزفان الهمبر

١٢٤٦ - ١٢٠١ هـ

حياة الإمام الشهيد، وما تأثره الإصلاحية التجديدية،  
وتاريخ كبرى الحركات والمنظمات الإصلاحية التجديدية  
في شبه القارة الهندية، التي قامت لإحياء الخلافة الإسلامية،  
والمجتمع المسلم الصالح

تأليف

محمد واضح رشيد الحسني الندوبي

الجمعية العلمية

ص- ب: ١١٩ - لكانور - الهند

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠٠٥ - ١٤٢٦ م

المجمع الإسلامي العلمي

لكرناؤ - الهند

ص-ب: ١١٩ - هاتف: ٦٨٠٨٠٧٤٢٢٥٥٥



## تقديم الكتاب

سماحة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوبي

رئيس جامعة ذروة العلماء ، لكتناف

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على سيد المرسلين  
وختام النبيين سيدنا محمد بن عبد الله الصادق الأمين ، وعلى آله  
وصحبه أجمعين ، وعلى من تبعهم بإحسان و دعا بدعوتهم إلى يوم  
الدين ، أما بعد :

إن الأمة الإسلامية هي أمة أكرمها الله تعالى بالوسطية  
وبالشهادة على الناس ، وبذلك أصبحت مسؤولة عن عمل الدعوة  
والهداية من بين الأمم ، وقد وفق الله تعالى شخصيات في أمة خاتم  
رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ل تقوم بعمل  
الدعوة وتبلیغ الحق ، وتؤدي دوراً مشابهاً لدور أنبياء الله تعالى من  
خلوا في الأمم الأخرى قبل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله  
 وسلم ، وتلك كرامة أكرم الله تعالى بها هذه الأمة ، فقد حملتها جل  
وعلا هذه المسئولية بقوله تعالى : {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرِجْتُ لِلنَّاسِ

تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَايُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } ١ فتحن إذا أقيينا نظرة في تاريخ هذا العمل وجدنا أمثلة كثيرة لعمل الدعاة الذي قام به المسلمون الحافظون على دينهم ، ومن يشعرون بمسئوليتهم نحو ذلك عملاً بالأية الكريمة ، ونجده في أمثلة أداء المسئولية في ذلك أداء لأعمال جبارة عندما اقتضت الحاجة إلى ذلك ، فقد وجدنا أنه قد قامت في فترات مختلفة للتاريخ الإسلامي شخصيات عملاقة ، وأدوا هذه المسئولية عندما اشتتدت ظروف الانحراف عن جادة الحق واقتضت بذلك المساعي الجبار لترسيخ المبادئ الأساسية للدين ، فهيا الله لإنفاذ هذه المبادئ رجالاً غيري للدين ، كل واحد منهم في زمانه المظلم في الالتزام بقيم الدين النيرة ، أدى مسئoliته في مجال عمله ، فظهرت أعمال عملاقة في حياتهم ، وجوانب رائعة لطرق الدعاة تنفعنا في معرفة تلك الأوضاع ، والحكمة التي تقتضيها في مجال الدعاة.

ونطلع من دراسة هذه الأعمال على ما تحمل جوانب أعمالهم من عظمة و عبرية تدل على تقدير الله تعالى لحفظ هذه الأمة من الانحراف عن جادة الطريق المستقيم للدين الله الصحيح ، وعن ذويان حياة أتباع الحق في غمار الأحداث والظروف المنحرفة في أزمان مختلفة في الأمم المختلفة التي عاشت هذه الأمة معها فيها ، واستمر ظهور أمثلة رائعة في هذا المجال لشخصيات مجدة للحق قامت بالذب عن الدين الصحيح الصافي ، وإزالة تلك الشوائب التي تتسبب لتحريف الأمة عن جادة الحق ، فإننا نجد سلسلة مثل هذه الشخصيات العملاقة التي أدت كل واحدة منها دوراً رائعاً عظيماً لحماية الحق ولإعادته إلى وضعه الصحيح في حياة الأمة وإنقاذهما من الانحراف والاختلاف ،

وكان مثل هذا الانحراف والتغيير عندما يقع في الأمم السابقة قبل رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بتأثير أهواء الناس وتغير اتجاهاتهم، وبتغير الظروف والأحوال، وبتأثير شياطين الإنس والجن الذين دأبوا دائماً لإفساد الناس، كان الله تعالى يبعث في تلك الأمم أنبياء للقيام بإزالة الانحراف عن الدين، وبالدعوة إلى الحق، والنهي عن الضلال والفساد، وقد جعل الله تعالى هذا العمل مستمراً بعد ختم النبوة كذلك، وأراد أن يقوم رجال العزيمة من عباده الصالحين من أمّة خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم بآدائه، وأولئك هم الذين يعطيهم الله تعالى علوّ همة وعزيمة في اتباع أسوة نبيهم صلى الله عليه وسلم، وغيره صادقة لحماية الحق، ومن أمثلتهم الإمام أحمد بن حنبل، والإمام أبو حامد الغزالى، والإمام أحمد بن تيمية وغيرهم من أمثالهم، كل في زمانه.

وقد ذكر في بلاد شبه القارة الهندية أيضاً وهي رقعة من الأرض يعمرها الثالث من مجموع مسلمي العالم، ولهم استقلال ذاتي في الشؤون الدينية والثقافية، فقد نبغت فيها شخصيات عباقرة عديدة في قرونها الإسلامية العديدة، ونبغ رجال قاموا بتجديد شعائر الإسلام ومبادئ الدين القويم، والإصلاح الديني والإرشاد الإسلامي مثل الشيخ معين الدين السجزي، والشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي، والشيخ أحمد بن عبد الرحيم الشااه ولـي الله الدهلوـي ، والشيخ أحمد بن عـرفان الرائي بـريلـوي ، وقد قدّمت الشخصية الأخيرة من الشخصيات وهي شخصية الإمام أحمد بن عـرفان الشـهـيد رحـمه الله ثـمـوذـجاـ جـامـعاـ لـنهـجـ الرـسـولـ عـلـيـهـ السـلـامـ بـجـوانـبـ عملـهـ الدـعـويـ العـدـيدـةـ لـإـقـامـةـ الدـينـ المـتـينـ ،ـ مـنـهـ إـصـلاحـ السـيـرـةـ وـالـسـلـوكـ وـإـخـضـاعـهـمـاـ لـلـأـحـكـامـ الـإـسـلـامـيـةـ ،ـ وـمـنـهـ إـحـيـاءـ شـعـائـرـ

إسلامية كانت قد فترت ، وأصحاب أذهان المسلمين عنها ذهول وغفلة ، وتجدد الشعور عن وجوب الحج الذي تنازل عنه مسلمو الهند ظناً منهم ، بأنهم لا يستطيعون أداءه ، ومنها استخدام وسائل القوة من رباط الخيل وأعمال الجihad عندما تقتضيه الأحوال ، وتتهيأ أسبابه ، فقد قام الإمام أحمد بن عرفان الشهيد بإحياء كل هذه الجوانب من الدعوة ومن إقامة الدين بالترتيب الذي ورد في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكان منهجه منهجاً جاماً ، ويترتب العمل النبوى الشريف لإعادة الناس إلى الحق ولإقامة الدين .

بدأ الإمام أحمد بن عرفان جهده أولاً بإصلاح العقيدة ، وتقويم السيرة بالدعوة بالحكمة والوعظة الحسنة ، وكان قد تربى على أفضل المربين في زمانه ، فكان على أعلى مستوى للتفوى ، واتباع السنة ، فكان في وعظه مؤثراً على النفوس تأثيراً عجيباً ، يحضر الناس في مجالس وعظه فيتوب عدد كبير من الفاسدين في سيرتهم ، ويرجعون إلى صحة العقيدة والاستقامة في الدين في كل حفلة يعقدها للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ثم كان من يتوب ويرجع إلى الحق ويحصل به كإمام وقدوة له كان يرثيه على التقوى والورع ، فبذلك تكونت عنده جماعة من أهل الاستقامة واتباع السنة ، كان يستخدمها لإصلاح الناس ، ويرسل أفرادها إلى أنحاء البلاد للقيام بالدعوة وإرشاد الناس ، فبذلك كثر من تابوا ورجعوا إلى العقيدة الصحيحة واتباع السنة حتى بلغ عددهم إلى ملايين ، كما عدّهم بعض المؤرخين بعد وفاة الإمام ، ولم يقصر الإمام في تبليغ رسالة الإسلام عمله على أهل الضلال من المسلمين ، بل اهتم كذلك بإصلاح كفار بلاده ، فآمن بسعيه وسعى تلاميذه آلاف مؤلفة من الكفار والمشركين .

ورأى الإمام أن علماء المسلمين في شبه القارة الهندية قد أفتوا نظراً إلى صعوبة السفر إلى الحرمين الشريفين - بعدم استطاعة مسلمي هذه البلاد الهندية للحج ، وبذلك صار الحج كأنه ليس - عملياً - من أركان الإسلام ، فانعدم من هذه البلاد من يقصد إلى بيت الله الحرام للحج ، فرفض الإمام هذا الرأي وأراد أن يثبت بطلانه بأن دعا إلى أداء الحج كل من يرغب فيه معه ، وعزم الإمام على السفر للحج ، واستهان بالأخطر التي كان الناس يظنون أن أداء الحج محاط بها ، وأعلن بأنه يقوم بالسفر له ، ودعا الناس إلى مرافقته في هذه الرحلة ، واستأجر سفنا ، واستصحب جمعاً محشداً من الملبيين إلى دعوته ، وقام بالرحلة وتحمل مشقات السفر والأخطر التي قد تقع لدى أداء الحج ، ونجح في ذلك وإن كان قد استغرق ذلك نحو سنة كاملة ذهاباً وأداء للحج والزيارة ، وإياباً من البلاد المقدسة .

وبعد عودته من الحج أراد أن يقوم بالتأسيي بأسوة الرسول صلى الله عليه وسلم بقيامه بالهجرة من أرض الفساد إلى أرض يستطيع فيها القيام بتنفيذ نظام الإسلام ، فقام بالهجرة إلى منطقة محابدة في أقصى شمالي الهند الغربي على حدود أفغانستان والهند ، كانت خاضعة للاستعمار الإنكليزي ، فخرج من تحت سيطرتهم إلى المنطقة المحابدة ليقيم فيها مركزاً للدعوة وعمل الجihad ليكون حراً في القيام بالدين قياماً كاملاً ، والتأسيي بأسوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكان عمله عند وصوله إلى جوار هذه المنطقة بأن تعاهد مع حكومة محلية مسلمة ، كما وقع اصطدامه بحكومة إقليمية كافرة ، ووقعت اصطدامات أخرى وفق البرنامج الذي قرره حسب ما تقتضي الأوامر الإسلامية ، ثم حدث أن تمردت الحكومة المسلمة التي كانت تعاهد معها ، وقتل الممثلون المعينون من الإمام لتطبيق الشريعة الإسلامية في

ذلك البلد الإقليمي المسلم، فأصيب الإمام بذلك بيسار من هؤلاء المسلمين الذين يدعون الإسلام، ويقتلون الدعاة المعينين لتطبيق الشريعة الإسلامية، فقرر تحويل مركزه من هذا الجوار إلى منطقة أخرى محاطة بالجبال ليكون المركز فيها قوياً ومحفوظاً، واشتغل بإعدادات مختلفة، ورأى أنه طيلة هذه الفترة يقي محفوظاً مع جنوده لأنه محاط بحوائل تعوق عن الأعداء والكافرمين لمعاداته، وكانت الحكومة الكافرة المجاورة لهذه المنطقة ساعية للهجوم على مركزه سراً، ولم تكن تستطيع ذلك إلا بدلالة رجل عارف للطرق الخفية إلى هذه المنطقة، فاستطاعت أن تستأجر رجلاً مسلماً كان يعرف الطرق الخفية لهذه المنطقة، فبدلالته هجم الجيش الكافر باستعداداته الضخمة بدون أن يطلع المسلمون على ذلك، ووقعت معركة بين المتواجهين من جنوده في المركز دون الآخرين المنتشرين في أنحاء المنطقة، فكان عددهم بالنسبة إلى عدد أعدائهم المهاجمين المباغتين قليلاً، فاستطاع الجيش المهاجم القضاء على القوة الإسلامية، واستشهد الإمام وطائفة من أقوى أعوانه، فبذلك توقفت خطة الجihad لتقاصر أسبابه في تلك الظروف.

ولكن أعمال الدعوة والإصلاح لم تزل باقية، واستمرت بجهود تلاميذ الإمام النباء، فطائفة من أتباعه بقيت في المنطقة المحايدة تنتظر فرصة العمل للجهاد، وانتشر الآخرون في أنحاء الهند والبلدان المجاورة للهند، وقاموا بجهود نجحت نجاحاً كبيراً لإصلاح العقيدة وتقويم الحياة وإخضاعها للأوامر الإسلامية، ودعوة الكفار إلى الإسلام، فأثر ذلك في مناطق واسعة من شبه القارة الهندية، واعتبر المستعمرون البريطانيون هذه الجهود معارضة لاحتلاله للبلاد، لأن الاستعمار البريطاني كان يريد في هذه البلاد إنشاء بيئة ملائمة لأهدافه

الاقتصادية والسياسية والفكرية كذلك، وكان قد أكمل سيطرته على أنحاء البلاد، وأخضع السلاطين والأمراء المحليين لأغراضه، فكانوا تابعين لسيطرة الاستعمار، فلم يكن يشك في أن المعارضـة الحقيقـية قد انحصرت في هذه الجهود الشعبـية التي كان يقوم بها أتباع الإمام السيد أحمد الشهـيد رحـمه الله تعالى عن طـريق إرشـاد الناس إلى التـقوى وإصلاح السـيرة، وإلى تحـبيب الفـكرة الإسلامية وتصـحـيف العـقـيدة الصـحيـحة، فـكان اعتـبار الاستـعمـار الـبريطـانـي لهـذه الجـهـود جـهـودـاً منـاوـئـة لـهـ، اعتـبارـاً وجـيـهاً، فـسـعـى للـقـضـاء عـلـيـها بـطـرقـ مـخـلـفـةـ، وـصـلـبـ منـ صـلـبـ بـتـهمـةـ التـآـمـرـ ضـدـ الـحـكـوـمـةـ، وـنـفـيـ منـ نـفـيـ إـلـىـ خـارـجـ الـبـلـادـ، وـاخـتـارـ طـرـيقـ الدـعـاـيـةـ لـتـشـويـهـ سـمعـةـ الـدـعـاـةـ وـالـمـجـاهـدـيـنـ، وـاتـخـذـ الـاستـعمـارـ لـذـلـكـ كـلـمـةـ الـوـهـابـيـةـ تـهمـةـ يـسـعـىـ بـهـاـ إـلـىـ وـصـفـ هـؤـلـاءـ الـمـصـلـحـيـنـ الـمـرـشـدـيـنـ الـمـسـلـمـيـنـ بـأـنـهـمـ عـامـلـوـنـ لـنـشـرـ فـكـرـةـ الشـيـخـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ الـوـهـابـ الـتـيـ قـالـوـاـ إـنـهـاـ تـرـيدـ تـهـوـيـنـ شـخـصـيـةـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـذـكـرـيـاتـ الـأـوـلـيـاءـ الـمـتـقـدـمـيـنـ بـمـحـوـ آـثـارـهـمـ كـأـنـهـمـ أـعـدـاءـ الرـسـوـلـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـأـحـبـةـ الـأـوـلـيـاءـ اللهـ تـعـالـىـ، وـبـهـذـهـ التـهمـةـ كـانـ الـاستـعمـارـ يـرـيدـ أـنـ يـشـوـهـ سـمعـةـ هـؤـلـاءـ فـيـ نـظـرـ عـامـةـ الـمـسـلـمـيـنـ، كـمـاـ أـنـهـ قـامـ بـالـقـبـضـ وـالـمـطـارـدـةـ لـقـادـةـ هـذـهـ الـجـمـاعـةـ الـمـخـلـصـةـ، وـتـعـرـيـضـهـمـ فـيـ الـمـاـكـمـ الـحـكـوـمـيـةـ بـتـهمـةـ الـثـورـةـ ضـدـ الـحـكـوـمـةـ، فـمـرـتـ شـخـصـيـاتـ نـابـهـةـ لـهـذـهـ الـجـمـاعـةـ مـنـ خـلـالـ تـعـذـيـبـهـمـ بـأـسـرـ وـنـفـيـ وـمـصـادـرـ لـلـأـمـوـالـ وـالـمـتـلـكـاتـ، وـلـكـنـ أـعـلـامـ هـذـهـ الـجـمـاعـةـ قـدـ أـثـبـتـواـ الـهـمـةـ وـالـثـبـاتـ عـلـىـ الـحـقـ، وـأـدـوـاـ دـورـاـ بـارـزاـ فـيـ أـعـمـالـ إـلـصـاحـ وـإـرـشـادـ حـتـىـ إـنـاـ لـاـ نـزالـ نـرـىـ فـيـ هـذـاـ الـوقـتـ الـمـتأـخـرـ نـحـوـ قـرـنـيـنـ آـثـارـ تـلـكـ الـجـهـودـ، وـالـاعـتـرـافـ بـهـاـ فـيـ كـافـةـ الـبـيـئـاتـ إـلـاسـلامـيـةـ الـمـحـافظـةـ وـالـمـلتـزمـةـ بـالـدـيـنـ .

إن الإمام السيد أحمد الشهيد كان بأعماله في المجتمع الإسلامي في شبه القارة الهندية عظيم التأثير، لا على الاتجاهات الدينية وحدها، بل على المشاعر الوطنية البناء كذلك، كان قد بدأ عمله لتصحيح الأوضاع المنحرفة الفاسدة وصياغة الحياة حسب القيم الإسلامية الرشيدة، وإحياء العمل المتروك في شأن بعض الأوامر الإلهية، ثم مقاومة الشر ومحاربته بالجهاد المسلم في حالة لا يمكن إزالته فيها إلا بالقوة، وقد اتبع في كل ذلك المنهج النبوى الشريف، واتباعه لهذا المنهج الشريف بكل إخلاص وبروح من التقوى جعل شخصيته شخصية مثالية ذات تأثير عجيب، فلم يكن أحد من الناس يلتقي به أو ينصل إلى كلامه إلا وتعلّق نفسه بالحبة والانقياد له، بل هو يطوع نفسه لما يقترح الإمام له، فسنوات قليلة مضت في سعيه وإرشاده في شبه القارة هذه الواسعة كانت بمثابة قرن كامل في وفرة ما جاءت به من نتائج لجهوده وجهود أصحابه كأنه كان سيلًا جارفًا يأخذ معه كل ما يمرّ عليه من أشياء.

إن طبيعة العمل التربوي تكون مختلفة في عامة الأحوال عن الطبيعة الجهادية ، فالعمل التربوي يقتضي التبلي والتحث والتجلوس في زاوية للعبادة ، أما العمل الجهادي فهو يقتضي الحركة والالقاءات بالخروج إلى ساحات العمل له، فطبيعة كل العمل من هذين العملين مختلفة عن طبيعة الآخر ، وقلما تجتمعان في رجل مرب أو زعيم ، ولكنهما كانتا مجتمعتين في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وحياة أصحابه الكرام البررة ، وظهر هذا الاجتماع بينهما في حياة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد رحمة الله تعالى ، وكان كل عملٍ من أعماله حتى أعماله السياسية والقتال كانت منطبقة انتساباً كاملاً بالإخلاص لله وطلب رضاه ، ولم يكن جهاده إلا جهاداً مطبوعاً بالطبيعة الربانية

المخلصة التي لا يكون منها غرض من أغراض الأثرة أو طلب الجاه، بل يكون العمل كله تابعاً لطلب رضا الله تعالى وإيثاره على كل غرض ذاتي تابع للهوى، ويكون لمجرد نصرة الحق واتباع السنة النبوية الشريفة، فهذا هو الطابع الخاص الذي امتاز به عمل الإمام السيد أحمد الشهيد رحمة الله تعالى، فقد تدرج إلى الدرجات التي رأها في حياة الرسول ﷺ من الدعوة والإرشاد وتربية النفوس المؤمنة على الصبر على الشدائـد، وعلى نصرة الحق وإحياء المتروك من المبادئ وقيم الإسلامـية، ثم الهجرة، ثم القيام بالجهاد ملتزماً بالمبادئ الإسلامية الخالصة، وإرسال الوفود إلى أطراف البلاد لأعمال الدعوة والإرشاد، وأكمل حياته - ومعه خيرة أصحابـه - على الشهادة، وعلى فداء النفس لمحابـة الشر والباطل، وتوفي في ساحة الجهاد، فقد قام الإمام بجهوده الاجتماعية بطريقة إسلامـية تابعة للسنة، فكان إماماً وقدوة وأميراً ينـقاد له جميع أفراد الجماعة، ويتبعونه اتـياً يـتـغـونـونـ به القبول عند الله وجـزـاءـ الآخـرـةـ، وـتـرـكـ للـقـادـمـينـ منـ الـمـسـلـمـينـ ذـكـرـياتـ لـعـمـلـ المؤـمـنـ الدـاعـيـ وـالـجـاهـدـ فـيـ سـبـيلـ اللهـ أـسـوـةـ وـمـثـالـاـ.

فـيمـثلـ هـذـهـ الشـخـصـيـةـ الفـذـةـ الجـامـعـةـ لـجـوانـبـ التـرـشـيدـ وـالتـرـيـةـ وـالـقـيـادـةـ، وـتـصـحـيـحـ العـقـيـدـةـ وـمـقاـومـةـ الشـرـ وـالـأـخـرـافـ يـتـضـحـ لـلـنـاسـ المـنهـجـ الرـشـيدـ لـنـظـامـ الـحـيـاةـ وـفقـ التـوجـيهـ الرـبـانـيـ وـالـإـرـشـادـ الـنـبـويـ الشـرـيفـ، فـمـاـ أـحـسـنـ بـنـاـ أـنـ نـدـرـسـ سـيـرـةـ مـثـلـ هـذـاـ الرـجـلـ إـسـلـامـيـ الـعـمـلـاقـ، وـنـسـتوـحـيـ مـنـهـاـ مـاـ يـحـبـ عـلـيـنـاـ فـيـ سـبـيلـ بـنـاءـ الـحـيـاةـ إـسـلـامـيـ عـلـىـ الـأـسـسـ الرـشـيـدـةـ النـابـعـةـ مـنـ الـكـتـابـ وـالـسـنـةـ، وـذـلـكـ هـوـ الـذـيـ يـتـحـدـثـ بـهـ مـؤـلـفـ هـذـاـ الـكـتـابـ الـذـيـ أـكـتـبـ تـقـدـيـمـاـ لـهـ، فـقـدـ قـامـ الـأـسـتـاذـ وـاضـحـ رـشـيدـ الحـسـنـيـ النـدوـيـ عـمـيدـ كـلـيـةـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ وـآـدـابـهـ بـجـامـعـةـ نـدوـةـ الـعـلـمـاءـ لـكـنـاؤـ، بـاستـعـراـضـ سـيـرـةـ هـذـهـ الشـخـصـيـةـ وـأـعـمـالـهـ، وـبـيـانـ

الأحوال التي تبعث على التقدير والإعجاب، وقد أدى المؤلف مسئوليته في أحسن أداء في استعراض أحوال شخصية الإمام وهي شخصية ذات تنوع وجماعية في الحال والأعمال، وفي أسلوب جميل وسهل، له خصائصه في أداء حق الموضوع، واستعراض جوانب الشخصية، مما لها قيمة فنية وذاتية، نرجو أن القارئين يجدون في هذا الكتاب ما يهمهم من معرفة هذه الشخصية الفذة وأعمالها وتأثيرها في البيئة التي عمل فيها.

مؤلف الكتاب هو ابن أخت الداعية الإمام العلامة سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوبي رحمة الله تعالى الذي هو أول كاتب ومؤلف في ترجمة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد رحمة الله، ولكن تأليفه كان في اللغة الأردية لغة شبه القارة الهندية، وبه عرف الناس في شبه القارة تفصيلاً لخصائص هذه الشخصية العملاقة، ثم نهض كتاب ومؤلفون آخرون فكتبو على جوانب مهمة من حياة هذه الشخصية وأعمالها، ولكن جميع هذه المؤلفات كانت في اللغة الأردية، وكانت الحاجة ماسة إلى نقل ترجمة الإمام إلى العربية، وكان مؤلفه الأول سماحة الشيخ الندوبي رحمة الله ألف كتاباً صغيراً يعرف به هذه الشخصية لإخواننا العرب، ولكنه كان مختصراً جداً، وكان ألفه في أوائل شبابه، ولم يتسع له الوقت لكتاب موسع، فأحال هذا العمل إلى ابن أخته العزيز الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوبي عميد كلية اللغة العربية وآدابها في دار العلوم ندوة العلماء ورئيس التحرير لصحيفة "الرائد"، ففكf عليه، وكان اطلاعه على أحوال الإمام وحركة إصلاحه للنفس، والجهاد بصورة أكبر وأوضح لقرب اتصاله العلمي والأدبي والتاليفي بخاله سماحة الشيخ الندوبي رحمة الله، وقد بنى كتابه على وقائع حياته مبيناً للروح التي تكمن وراءها،

وعرض بصورة خاصة لجوانب من شخصيته التي أحدثت تغييراً في الهند، ولا يزال أثره ملماوساً في المجتمعات الإسلامية للهند.

وكان سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمة الله تعالى قد ألف باسم "رجال الفكر والدعوة في الإسلام" سلسلة من كتب تتحدث عن الشخصيات الإسلامية العملاقة التي أحدثت تغييراً في المجتمع الإسلامي بإصلاح ما فسد من القيم الدينية والتقاليد الإسلامية الرشيدة والشخصيات التي استحقت بأن تعدد مجددين في الأمة تحقيقاً لما ورد في الحديث الشريف : "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" <sup>٢</sup> ، وجاءت سلسلة كتبه هذه في مجلدات ، كان المجلد الأخير منها في ترجمة المجدد الإسلامي العظيم حكيم الإسلام الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشاه ولی الله الدهلوی الذي قام بتجديد المنهج التعليمي الإسلامي ، وتصحيح منهج السياسة والمجتمع ، وأحدث بذلك تغييراً شاملاً لا يزال أثره قائماً إلى اليوم ، وكانت نية سماحته تتجه إلى إيصال هذه السلسلة إلى العصر الحديث ، وأبدى رغبته في آخر أيام حياته في إحدى ليالي رمضان الذي توفي فيه ، ويتناول هذا الكتاب شخصية واحدة ، وهي شخصية الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، فإنأخذ القليل خير من ترك الجميع ، وقد يوفق الله تعالى المؤلف لعرض شخصيات أخرى قامت بعمل تجديد الفكر والدعوة ، والكفاح في أنبياء أخرى في العالم الإسلامي في العصر الحديث ، وبهذا الاعتبار يصبح هذا الكتاب حلقةأخيرة من حلقات كتاب سماحة الشيخ الندوی "رجال الفكر والدعوة"

٢ - أبو داود رقم الحديث : ٤٢٩١

في الإسلام" وليس الآخرة، فأرجو أن ينال الكتاب تقديرًا واستفادة من القراء الكرام، والله هو الموفق لما فيه الخير للجميع.  
وكتبه

محمد الرابع الحسني الندوى	يوم الجمعة المبارك
داره الشيخ علم الله الحسني	١٤٢٤ هـ
برائى بربلي (الهند)	



## بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا ونبينا محمد، وعلى أهله وصحبه أجمعين، وبعد!

فإن شخصية الإمام السيد أحمد بن عرفان الشهيد شخصية فذة في تاريخ الهند التي أنجبت في العهد الطويل منذ دخول الإسلام في الهند، شخصيات عملاقة قامت بأدوار تاريخية في الدعوة والإصلاح، ووقفت مواقف العزيمة والثبات، والصمود في وجه القوى الضالة، وتصدت للتحريف، والإفراط، والتطرف، والغفلة، وهجر طريق الشريعة الغراء، والإلحاد.

وقد جمعت هذه الشخصية خصائص وميزات مناهج السلف الصالح، وقامت بمواجهة ظروف عصرها، وحل قضاياه المتعددة بأسلوب ثائر في طرق الدعوة، والتزكية، والتعليم، والتربية، والإصلاح، والجهاد، فكانت شخصية جامعة، لا يوجد مثل هذا الجمع في شخصية أخرى، وتركت على مجرى التاريخ آثاراً، لا تزال تلمس في جهات العمل الإسلامي المتعددة.

لقد كانت حياة الإمام السيد أحمد بن عرفان الشهيد، حياة معلم، ومزنك، وداع إلى الله، ومصلح، وشارح للشريعة الإسلامية،

ومحي للسنة، ومكافح للبدع والخرافات والتقاليد والأعراف غير الإسلامية، ومجاهد في سبيل الله، وقد جمع في حياته هذه الجوانب المختلفة للعمل والكفاح بتناسب، ووجه عنایته إلى سائر هذه الجوانب حسب الضرورة والوضع، بدون أن يطغى جانب على جانب آخر، أو التهاون في جانب بالاهتمام الزائد بجانب آخر، أو الإفراط والتفريط، واستطاع في حياته القصيرة (الممتدة من ١٢٠١هـ إلى ١٢٤٦هـ) إعداد نفوس أكفاء للقيام بأعمال تسند إليها، ومسئولييات تفوض إليها، ومنح كل جهة من جهات العمل حقها ونصيبها من الاهتمام، اقتداءً بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه، واقتفاءً بأثاره وسلوكه مع أصحابه، ولذلك كانت تربيتها وتفويض مجالات العمل لأصحابه الكرام حسب طبيعة العمل وكفاءاتهم، وكان اهتمامه بجهات العمل واختياره لها حسب اقتضاء الأحوال والظروف، وتبدي دراسة سيرته منذ طفولته ونشأته أن العنصر الغالب على طبيعته كان الجهاد في سبيل الله، وكان يميل إلى الفروسية ، والأعمال الشاقة استعداداً للجهاد، لكنه حقق هذا الهدف بعد أن اتخذه إعدادات لازمة ، ولم يهمل خلال الاستعداد للجهاد، وأثناء اشتغاله بالجهاد المسؤوليات الأخرى، فكانت معسكراته في نفس الوقت مدارس متنقلة تربى فيها النفوس تربية إسلامية ، وقد اختار له بعض أصحابه من أعضاء أسرته ، ومن اتصل به من المسترشدين به ، وتوجه إلى ثغور الهند وجاهد مع هذه النخبة المختارة في سبيل الله بعد تربيتهم وإعدادهم وتنشئتهم في البيئة الدينية ، فاستشهد منهم عدد كثير ، وعاد منهم بعد شهادته من بقي منهم يحمل عاطفة jihad ، وحيث أن تربية الإمام لم تقتصر على إعدادهم للجهاد ، بل شملت جميع مجالات العمل الإسلامي توجهت عنایة هؤلاء المجاهدين إلى مجالات العمل الأخرى كالتعليم والتربية

والتزكية، وبذل النفس والنفس في سبيل الله. فجاهد منهم من جاهد، واشتغل الآخرون بالتعليم والتربية وإصلاح النفوس، وانتقل هذا المنهج التكامل من جيل إلى جيل إلى العصر الحديث.

تجلّى أهمية التربية والتعليم والتزكية التي هي صلب الحياة الإسلامية من توجيه الإمام أحمد بن عرفة بعض أصحابه إلى القيام بأعمال الدعوة إلى الله، والإصلاح، والتعليم، فأرسلهم من ساحة الجهاد إلى أماكن بعيدة في الهند، كان منهم الشيخ نور محمد الجهنجهانوي الذي يتصل به نسب سائر كبار العلماء الذين تولوا مهمة التعليم والتزكية والدعوة، والمجاهدين الذين جاهدوا في سبيل الله، ثم نشروا شبكات المدارس في الهند، وأنشأوا مراكز التربية الإسلامية، وزعيم هذه الطائفة الشيخ إمداد الله المهاجر المكي من أتباع الشيخ نور محمد الجهنجهانوي، الذي جاهد بنفسه مع جماعة من العلماء، ثم انعزل إلى التعليم وتربية النفوس، وكان منهم الشيخ محمد علي الرامبوري الذي قضى مدة طويلة من حياته في جنوب الهند، وخلف فيها آثاراً خالدة، واحتفل بالتدريس والتربية، فأنشأ جيلاً من العلماء والمربين الذين جاهدوا في الله، ونشروا تعاليم الإسلام، وربوا النفوس المؤمنة، وكان منهم الشيخ كرامت علي الجونبوري الذي أسلم على يديه مئات الألوف من الناس، وانتشرت دعوته في "بنغال"، وخاصة "بنغال الشرقية" التي تحولت كلها تقرباً إلى الإسلام، ولا تزال منطقة ذات الأغلبية الإسلامية، وكان منهم الشيخ جعفر علي النقوي الذي اشتراك في الجهاد، ثم توجهت عناته إلى نشر التعليم الديني، والتربية الإسلامية من حدود "نيبال" إلى مناطق واسعة في شمال الهند عن طريق إعداد العلماء والمصلحين، وفتح المدارس، وكان منهم الشيخ سخاوت علي الذي فتح أتباعه مدارس عديدة كان لها دور كبير في

تصحيح العقيدة وتربيـة النفوس ، وكان منهم علماء "صادقـور" في  
مقدمـتهم الشـيخ ولـاية عـلـي العـظـيم آبـادي الـذـي جـاهـد مـع الإـمام ، ثـم  
اشـتـغل بالـتـدـرـيس والـتـذـكـير ، وابـتـعـثـه الإـمام إـلـى "حـيدـرـآـبـاد" ، وأـقامـ بـهـاـ  
زـمانـاـ هـدى اللهـ بـهـ خـلـقاـ كـبـيرـاـ ، وكتـبـ الأمـيرـ صـدـيقـ حـسـنـ خـانـ  
الـقـنـوـجـيـ عـنـهـ : ما رـأـيـتـ أـكـثـرـ تـأـثـيرـاـ مـنـهـ ، وـقـدـ كانـ حـرـيـصـاـ عـلـىـ إـتـبـاعـ  
الـسـنـةـ ، جـامـعاـ بـيـنـ الـعـلـمـ وـالـعـمـلـ ، وـالـجـهـادـ ، وـالـدـعـوـةـ إـلـىـ اللهـ ، وـتـزـكـيـةـ  
الـنـفـوـسـ ، وـعـدـدـ هـؤـلـاءـ الـمـجـاهـدـينـ بـالـسـنـانـ ، وـالـمـكـافـحـينـ لـلـجـهـالـةـ  
وـالـضـلـالـ بـالـقـلـمـ وـالـلـسـانـ ، غـيرـ قـلـيلـ ، يـقـولـ الـعـلـامـةـ السـيـدـ سـلـيـمانـ  
الـنـدوـيـ :

"انتشر خلفاء الإمام أحمد بن عرفان الشهيد في سائر أجزاء الهند المعروفة، وقاموا بالدعوة والإصلاح والتجديف، وإعداد النفوس، يكافحون البدع والخرافات والتقاليد الباطلة، ففترت سوق الفسق والضلال، وتحول المسلمون الذين كانوا مسلمين لانتماهم إلى الأسر الإسلامية إلى مسلمين متمسكين بتعاليم الإسلام، وتأثر بهم غير المسلمين فاعتنقوا الإسلام وحسن إسلامهم، وكسرت زجاجات الخمر، وأقفلت حوانيت الخمر والمسكرات، ودور البغاء، وخرج الناس بعاطفة الإسلام والتضحية في سبيله من بيتهم، وزواياهم لرفع كلمة الحق، تأثرت بهم بيئة الهند كلها، وانغمس الناس في الجهد، والدعوة والارشاد"

ويقول: "إن هذه الحركة هزت الهند كلها، وخلقت جوهر الإخلاص والوحدة، والعاطفة الإسلامية التي عمت من حدود السنغال إلى نسال ونجاب".

وأرسل السيد الإمام أحمد بن عرفان خلفاءه إلى أفغانستان للقيام بعمل تربية الناس وإصلاح النفوس ، وكان منهم الشيخ حبيب

الله القندهاروي، ف كتاب على يده ألوف من الناس عن الذنوب والمعاصي، وصلحت أحوالهم، كما أرسل الإمام أحمد بن عرفان بعثة دعوية إلى "تبت" و"الصين" وبايده عدد من علماء "جاوا" و"بلغاريا" و"المغرب" ف بذلك انتشرت دعوته ووصلت نفحاته إلى أقصاصي الدنيا وأدانيها، كما صرخ الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوى في كتابه "سيرة السيد أحمد الشهيد" بالأردية

ويقول الأستاذ أبو الأعلى المودودي :

"الإمام أحمد بن عرفان الشهيد والشيخ محمد إسماعيل وجهان لنقد واحد، روحًا ومعنى، وإنني اعتبر ذلك الوجود، تكملة لتجديد الشيخ ولی الله الدھلوی، وتجسيداً لدعوته.

إن هذه الحركة غيرت وجه الهند، وكل بقعة وقعت فيها أقدام رجالها حدث فيها انقلاب فكري، وديني، يجدد ذكريات عهد أصحاب الرسول ﷺ، ويقول في موضع آخر: إن الإمام أحمد بن عرفان جدد عهد الخلافة الراشدة في المناطق التي فتحها، وأقام فيها الحكم الإسلامي، وكانت حكومته على منهاج النبوة".

ويقول المؤرخ الهندي المعروف الدكتور خليق أحمد النظمي عن تأثير حركة الإمام في العصر الحديث: "إن السير سيد أحمد خان والشاعر المسلم المعروف مولانا ألطاف حسين حالی صاحب كتاب "مسدس حالی" ومولانا أبا الكلام آزاد وإن اختاروا مجالات عمل مختلفة حسب الظروف وأذواقهم، لكنهم كانوا متأثرين بحركة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد".

ويقول البروفيسور محمد سرور: "رغم ٦٢ سنة على معركة بالاكوت التي استشهد فيها الإمام أحمد بن عرفان والشيخ إسماعيل ابن عبد الغني الشهيد، كانت ذكريات هذه الحركة وتأثير شخصية

الإمام يلاحظ جلياً، فلما زار الشيخ عبد الحفيظ الحسني صاحب كتاب "الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام" و والد الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوبي وهو من أسرة الإمام أحمد بن مناطق "دلبي" و "سهارنفور" أقبل عليه الناس و تهافتوا عليه باعتباره سليل هذه الأسرة الشريفة، فصرح الشيخ ذو الفقار على أن المناطق التي زارها الإمام أحمد لا تزال تعم فيها البيئة الدينية، و يعمها الخير والبركة، كأنه كان نوراً مستطيلاً يحمل النور حيث حل و نزل".

انتقل تأثير هذه الجماعة الخيرة الجامعة من جيل إلى جيل إلى هذا العصر، وإذا تتبع باحث أي حركة علمية، أو إصلاحية في الهند توصل إلى جذورها التي استقت من حركة الإمام أحمد بن عرفان مباشرة أو من خلفائه، وخلفاء خلفائه، من طريق أو آخر، سواء كانت حركة الجهاد، أو حركة التعليم و التربية، أو الدعوة والإصلاح. ألف أتباعه كتاباً في عرض حياة الإمام السيد أحمد بن عرفان الشهيد، اشتغلت على مشاهداتهم، وتجاربهم، ومدى تجاوبهم لحركته، ومنهج دعوته، وتأثيرهم بها، وهي في اللغة الفارسية، وكانت هناك حلقات مفقودة، أو منتشرة الموارد في الرسائل، وأشار معاصريه، وكتابات الكتاب الذين جاءوا بعده، كما كانت هناك مواد مضللة تحدث سوء فهم، و تعرض صورة مشوهة لحركته في كتابات المستشرقين، والحكام البريطانيين الذين اغتصبوا الهند الإسلامية من أيدي المغول، وقد غربل هذه المواد سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوبي، وألف كتاباً مفصلاً في سيرة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد بالأردية، ونال هذا الكتاب القبول في الأوساط العلمية، وأحدث انقلاباً في الفكر، وأنصار السبيل للدعوة، والإصلاح، والتربية، ثم ألف الأستاذ غلام رسول مهر كتاباً آخر في

مجلدين، ولكليهما أسلوب ومنهج، وألف الأستاذ الشيخ الندوى رسالة مختصرة بالعربية في عرض حياته، كما ألف الأستاذ علي الطنطاوى كتاباً مختصراً في هذا الموضوع، وكانت الحاجة ماسة إلى عرض حياة الإمام عرضاً تفصيلياً باللغة العربية، على غرار كتاب رجال الفكر والدعوة في الإسلام للشيخ أبي الحسن علي الحسنى الندوى، وكان الشيخ الندوى رحمة الله تعالى ينوي ذلك، ولكن ضعف صحته وأسفاره وأشغاله حالت دون إكمال هذه السلسلة، وكان يرغب في عرض حياة المجددين والمجاهدين الآخرين الذين أخبتهم الأمة الإسلامية بعد القرن الثاني عشر للهجرة، وهو العصر الحديث، كالأمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب<sup>١</sup>، والشيخ السنوسى، وبديع الزمان سعيد النورسى، وغيرهم من الدعاة والمجددين، وأبدى رغبته في ذلك في آخر ليالي شهر رمضان المبارك الذى توفي فيه، وأشار إلى هذا العبد الضعيف.

ولم أكن لذلك أهلاً، ومنعني الشعور بعجزي عن إكمال هذه السلسلة، وكان الأخ العزيز سعيد مرتضى الندوى حاضراً في ذلك المجلس، فسجل هذا الواقع في مقال له نشر في الصحف، فألمح على إنجاز هذا العمل بعض الإخوة الحبيين، وكان في مقدمتهم الأستاذ محمد علي دولة صاحب دار القلم، وكان يصرّ على أن أكمل هذه السلسلة حسب رغبة سماحة الشيخ الندوى رحمة الله عليه، وبعد مدة فكرت في الشروع في العمل لتحقيق رغبة سماحته، ولو جزئياً، فاقتصرت

١ - للشيخ الندوى ترجمة وجيبة للإمام محمد بن عبد الوهاب في الجزء الرابع من رجل الفكر والدعوة في الإسلام الذي يشتمل على ترجمة الإمام ولي الله الدهلوى، وللأستاذ مسعود الندوى كتاب مفصل عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالعربية ، نال قبولأً عاماً في الأوساط العلمية .

على حياة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد وخلفائه وأتباعهم في الهند إلى العصر الحديث، فأؤدي بعض الواجب، واعتمدت في هذا العمل الجزئي على ما كتبه سماحته في كتابه في الأردية في مجلدين ضخمين، وكتابات الآخرين، ولا أدعى أن الكتاب بحث، وإنما هو عرض، وتلخيص وتوسيع، لما كتب في الموضوع في كتب الثقات، وألحقت ترجم خلفاء الإمام وأتباعهم، من رجال الدعوة، والتعليم، والتربية، والجهاد في سبيل الله، إلى سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوبي، كما تعرضت لتأثير حركة الإمام في الحركات التعليمية والتربوية، والإصلاحية التي نشأت بعده لجهود خلفائه وأتباعهم في مجالات العمل الإسلامي المختلفة.

وأسأل الله التوفيق، والسداد، وما ذلك إلا جهد المقل، والعاجز في تلبية رغبة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوبي رحمه الله ، وليس بمحظوظ لإكمال السلسلة التي بدأها ، وأنى يبلغ الصالع شاو الضليع ، والشري الثريا ، وإنما هو قبض من آثاره ، تقبل الله هذا الجهد ، وبارك فيه ، وجعله وسيلة للاقتداء بالصالحين ، والسير على درب الواصلين من عباد الله المقبولين .

وقد ساعدني في مراجعة المصادر التاريخية وتحقيق السنين والأعلام الذين كانت لهم صلة مباشرة أو غير مباشرة بحركة الإمام الشهيد العزيز الأستاذ محمود حسن الحسني الندوبي ، حفيد شقيقتي الأكبر الشيخ محمد الثاني الحسني الذي يملك ذوقاً تاريخياً وأدبياً ، وقام بنقل بعض المواد من الأردية والفارسية ، والأستاذ محمد إبراهيم الردولوي الندوبي المدنى ، والأستاذ العزيز بلال عبد الحي الحسني الندوبي ، نجل الكاتب الإسلامي القدير الداعية محمد الحسني منشئ مجلة "البعث الإسلامي" اللذين راجعا المسودة ، وساهم في ذلك

الأستاذ عبد السبحان البهتكتلي الندوي ، فلهم الشكر جميعاً ، وأشكر العزيز الأستاذ محمد وثيق الندوي الذي قام بتحقيق الكتاب ومراجعته بعد الطبع على الآلة الكاتبة ، وجزاهم الله خيراً.

محمد واضح رشيد الحسني الندوي      ١٤٢٦/٥/١٤  
 دار العلوم ندوة العلماء لكتناؤ      ٢٠٠٥/٦/٢٢



الباب الأول

الإسلام والمسلمون في الهند

أول من دخل في الهند. الدعوة العرب

يعتقد المؤرخون أن الإسلام دخل الهند في القرن الأول الهجري ، وكان أول من نزل بها العلماء ، والصالحون ، والغزاة المهادون في سبيل الله ، كان منهم درة البيت النبوى عبد الله بن محمد العلوي (م ١٥١هـ) <sup>١</sup> ، والمغيرة بن أبي العاص الثقفي <sup>٢</sup> ، و محمد بن قاسم الثقفي <sup>٣</sup> ، و عبيد الله بن نبهان <sup>٤</sup> ، و محمد بن مصعب الثقفي <sup>٥</sup> ،

١- قدم الهند في عهد المنصور ، وكان من أجداد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، يقول الشيخ عبد الحفيظ الحسني (والد الشيخ أبي الحسن علي الحسني التدويني) : "جدنا الكبير عبد الله بن محمد المشهور بعد الله الأشتر بن محمد النفس الزكية بن عبد الله الخض و هو أول من وطئ أرض الهند من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم فيما أظن ، و قدم الهند في أيام المنصور العباسى" (الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ج ١)

٢- وجهه أخوه عثمان بن أبي العاص أمير البحرين وعمان في أيام سيدنا عمر بن الخطاب رض إلى خور الدبيل .

٣- ولاد الحجاج بن يوسف الثقفي على ثغر الهند في أيام الوليد بن عبد الملك ، وقتل بواسط في عهد سليمان بن عبد الملك .

٤- قتل بأرض "السندي" في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي .

٥- قدم "السندي" مع محمد بن القاسم الثقفي .

والجند بن عبد الرحمن المري<sup>١</sup>، وعمرو بن مسلم الباهلي استعمله  
عمر بن عبد العزيز الخليفة الصالح الراشد على بلاد السند والهند سنة  
١٠٠هـ، وكتب إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وعبد الرحمن بن  
العباس الهاشمي<sup>٢</sup>، وتميم بن زيد العتبى<sup>٣</sup>، وحكم بن عوانه الكلبى  
ولى على أرض السند بعد ما توفي بها تميم بن زيد العتبى، وقتل بها  
سنة ١٢٢هـ، وعمر بن حفص العتكى كان من قواد النصour الخليفة  
العباسي من بايع محمد بن عبد الله العلوى المشهور بالنفس الزكية  
استعمله المنصور على السند والهند سنة ١٤٢هـ، وفي أيامه قدم الهند  
عبد الله بن محمد العلوى المشهور بابن الأشتر، والشيخ المحدث الربيع  
ابن صبيح السعدي الذى توفي في سنة ١٦٠هـ بأرض السند، وإسرائيل بن  
موسى البصري من أتباع التابعين، روى عن الحسن  
البصرى، وأبى حازم الأشجعى ومحمد بن سيرين، وهب بن منبه،  
وعنه السفيانان وابن قطان وغيرهم.

وقد وجه أمير البحرين عثمان بن أبي العاص الثقفي <sup>5</sup> أخاه

- ١- تولى السندي في عهد هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي .
  - ٢- هو حفيد ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم سار إلى السندي في عهد الحاج بن يوسف ، وبها مات .
  - ٣- ولد على أرض السندي أيام هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي مكان الجنيد بن عبد الرحمن المري سنة ١١١هـ و كان من أسيخاء العرب .
  - ٤- كان من تلامذة الحسن البصري وأساتذة سفيان الشوري قتل الجلبي في كشف الظلون بعد ذكره : "أول من صنف في الإسلام" وقد الطبراني في تاريخ الأمم والملوک : "إنه خرج غازياً إلى السندي فيمين خرج مع عبد الملك ابن شهاب السمعي من مطوعة أهل البصرة فمات بها".
  - ٥- استعمله سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه على البحرين وعمان سنة ١٥هـ (أسد الغابة" لابن الأثير البجزي ٤٧٤/٢)

الحكم بن أبي العاص الثقفي وهمما من الصحابة في أيام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى "تانه" <sup>١</sup> وأقطع له جيشاً، وكان هذا أول جيش إسلامي دخل أرض الهند، فوصل الحكم بن أبي العاص بعد سفر بحري شاق إلى "تانه"، واستولى على "بروج" وهي تُعتبر من أرقى موانئ الهند آنذاك، وكانت أرض غجرات أول منطقة سعدت بالإسلام <sup>٢</sup>.

وبعث عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حكيم بن جبلة العبدية إلى السند فنزلها، ثم قدم على عثمان فسأله عنها فقال: "ماءها وشل، ولصها بطل، وسهلها جبل، إن كثر الجندي بها جاعوا، وإن قلوا بها ضاعوا" <sup>٣</sup>، فلم يوجه عثمان إليها أحداً حتى قتل <sup>٤</sup>، ومن الذين وصلوا إلى الهند في العصور الأولى داود بن نصر بن الوليد العماني قدم السند مجاهداً، وقاتل أهلها، وفتح البلاد، ثم استعمله محمد بن القاسم الثقفي على "ملتان" ورعمدة بن عميرة الطائي أمره محمد بن القاسم على طليعته فغزا معه وفتح البلاد، وكان من رجال الدولة الأموية، وكذا كان شقيقه زائدة.

١ - ذكره المؤرخ الكبير الشيخ عبد الحي الحسني في كتابه "الإعلام" ولكن الشيخ أبو الحسن الندوبي مختلف عن رأيه ويقول: وفي الاستيعاب ومعجم البلدان "توج"

وهو الصواب لأن "تانه" من بلاد الهند ولم تفتح حينئذ.

٢ - وقد ثبت تاريخياً أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان أول من أرسل جيشاً إلى الهند وقد استعمل عتبة بن غزوان على أرض الهند سنة ١٤هـ ولكن عتبة توفي في الطريق ولم يصل إلى الهند، وكان صحابياً، (راجع: الكامل لابن الأثير ط: دار صادر بيروت).

٣ - كان حكيم من بني ربيعة بن نزار، عمه ابن الأثير من الصحابة في "أسد الغابة" وقال: قال أبو عمر أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولا أعلم له روایة ولا خبراً يدل على سماعه منه ولا رؤيته له

٤ - أسد الغابة ٥٢١/٢

وكان فتح السندي في عهد الوليد بن عبد الملك عند ما واجه الحجاج بن يوسف الثقفي ابن أخيه وختنه محمد بن القاسم الثقفي إليها بعد حادثة الديبل، فسار محمد بن القاسم إلى "مكران"، فأقام بها أيامًا، ثم أتى "قنزبور" ففتحها، ثم أتى "أرمائيل" ففتحها، ثم سار إلى الديبل، وحارب بها فهزم جيش داهر، وملك البلاد، واحتل المسلمين بها، وبنى مسجدًا، ثم تقدم وفتح القرى والمدن إلى ملتان، وجعل ابن القاسم لا يمر بمدينة إلا فتحها، وكانت وفاة محمد بن القاسم الثقفي في سنة ٩٦ هـ بواسط قتيلاً.

وقدم الهند بسطام بن عمرو التغلبي مع أخيه هشام بن عمرو في أيام المنصور الخليفة العباسى، وناب في الحكم عن أخيه منصوره مدة من الزمان، ولما سار هشام إلى بغداد، استخلفه في بلاد السندي كلها.

ويرى بعض المؤرخين أن فتح "مكران" (بلوجستان) كان قبل فتح السندي بزمن غير قصير، وقد أقام محمد بن القاسم الثقفي بمكران قبل توجهه إلى الديبل، وتغدو كتب التراجم بتوجه عدد من المجاهدين والدعاة والعلماء إلى السندي في عهد المنصور، وهارون الرشيد.

وعلى الساحل الغربى للهند وصل عدد كبير من العرب، والإيرانيين، واستقروا بعد ما تزوجوا بنساء محليات، وفي "مالاكار" و"بهاتكلي" ونواحيها نشأت عدة مستوطنات كبيرة للعرب، كما وصل التجار العرب إلى "غجرات" من مصر، واليمن، والحجاج في القرن الثامن الميلادى<sup>١</sup>.

١ - قد صنف المؤرخون في هذا الموضوع كتبًا نافعة قيمة وللعلامة السيد سليمان الندوى كتاب "عرب وهندي تعلقات" بالأردية ولتلمينه الأستاذ بهاء الدين

دخل في هذه البلاد مع الغزاة والمجاهدين ورجال الإدارة والحكم بعد أن أقام المسلمون سلطتهم عدد من المصلحين والداعية بدافع ديني مجرد من كل مصلحة ومنفعة سياسية، ليحملوا إلى أهلها رسالة الإسلام الرحيمة العادلة متخلقين بأخلاق إسلامية، فأحبهم سكان البلاد، وأسلم على أيديهم مئات الآلوف من الناس، ولا تشار الإسلام في الهند يرجع الفضل الأكبر إلى أمثالهم، كان منهم الشيخ معين الدين الجشتى الأجميري (م ٦٣٢ هـ) والشيخ علي بن شهاب الهمданى الكشميرى (م ٧٨٦ هـ)، والشيخ قطب الدين بختيار الأوoshi الدهلوى (م ٦٣٣ هـ) ١، وقصد الشيخ علي الهمدانى ٢ إلى كشمير، ومكث بها داعياً وعلماً، فانتشر الإسلام في كشمير ، كان ينصح الناس ويعظ السلاطين والأمراء، ويبيت العلماء لدعوة الناس إلى الله سبحانه وتعالى ، فلذلك تحولت كشمير من بلد الأوثان والأصنام

البهتكلى الندوى "عرب وديار هند" وهو أيضاً بالأردية. ورجال السنن والمند للقاضي محمد أظهر المبارك فوري بالعربية وغيرها من الكتب .  
١ - وكانوا من الأشراف الحسينيين .

٢ - هو الشيخ العالم الكبير على بن الشهاب بن محمد بن علي الحسيني الهمدانى ينتهي نسبه إلى علي بن الحسين السبط ، كان صاحب تصانيف كثيرة ممتدة ، اهتمى به كثير من الناس في ولاية كشمير . ولد في الثاني عشر من رجب سنة ٧٤٠ هـ ، أخذ العلم والدين عن والده وغيره من كبار العلماء والمشايخ ، وأدرك المشايخ الكبار أثناء رحلاتهم وجولاتهم ، يبلغ عددهم إلى أربعين ألفاً من رجال العلم والمعرفة ، فلما عاد إلى خراسان وقع الخلاف بينه وبين الأمير تيمور كوركان فقدم كشمير في سنة ثلاث وسبعين ، ثم في ثمانين مع سبعمائة من أصحابه ومستشاريه ، فأسلم على يده غالبية أهلها ، ومن أهم مصنفاته "ذخيرة الملوك" بالفارسية، و"الرسالة الذكرية" بالعربية في فضل الذكر وخواصه وحقائقه و"شرح أسماء الله الحسنى" بالعربية . وكانت وفاته حين خرج من كشمير ووصل إلى أرض ياغستان ، ودفن في بدخشان سنة ست وثمانين وسبعمائة .

ومخادعها إلى بلد التوحيد والإسلام، وتبذلت ثقافتها الوثنية إلى الثقافة الإسلامية، والمؤرخون يعترفون أن إسلام الكشميريين يرجع فضله إلى جهده .

### الغزنويون يمهدون السبيل إلى فتح الهند

يقول مؤرخ الهند الشهير العلامة الشرييف عبد الحفيظ الحسني عن ناصر الدين سبكتكين الغزنوبي :

إنه جمع العساكر، وسار نحو الهند ، فافتتح قلاعاً حصينة على شواهد الجبال ، وبنى المساجد فيها في سنة ٣٦٧هـ ، ورجع إلى غزنة سالماً ظافراً ، ولما رأى جي بال ملك بنجاح ما دهاء ، وأن بلاده تملك من أطرافها أخذه ما قدم وحدث ، فحشد ، وجمع ، واستكثر من الفيول ، وسار حتى اتصل بولاية سبكتكين .

ويقول عن محمود بن سبكتكين الغزنوبي (٣٦١ - ٤٢١هـ) الذي غزا الهند عدة مرات وفي غزوته الأولى :

١ - تأكد أن كثيراً من الدعاة والعلماء كانوا معه في رحلاته إلى كشمير ، كان معه في الرحلة الثانية سبع مائة شخص .

٢ - ناصر الدين سبكتكين من ملوك "غزنة" كان من غلمان البترين صاحب جيش غزنة للسامانية ، اتفق الناس عليه بعد وفاة أبي إسحاق بن البترين سنة ٣٦٦هـ فولوه أمرهم وحلفو له وأطاعوه ، قصد الهند فافتتح قلاعاً حصينة سنة ٣٦٧هـ ورجع إلى غزنة سالماً ظافراً ، توفي سنة ٣٨٧هـ ، وكانت مدة ملكه نحو عشرين سنة ، وكان عادلاً حيراً ، حسن الاعتقاد ، ذا مروعة تامة ، وحسن عهد ووفاه ، بارك الله في بيته ودام ملکهم مدة طويلة جاوزت مدة ملک السامانية والسلجوقية ، خلف وراءه ابنه عظيمًا محمود بن سبكتكين الغزنوبي . (راجع الكامل لابن الأثير)

٣ - ذكره الإمام الذهبي في كتابه "سير أعلام النبلاء" في ١٧ من ص : ٤٨٣ إلى ٤٩٤ وقل : الملك يمين الدولة فاتح الهند أبوالقاسم محمود بن سيد الأمراء ناصر الدين سبكتكين صاحب خراسان والهند وغير ذلك حارب محمود النواب السامانية وخافته

"أحب أن يغزو الهند غزوة تكون كفارة لما كان منه من قتال المسلمين، فشئ عنانه نحو الهند سنة ٣٩١هـ، فنزل على مدينة بيشاور، وقاتل جي بال، وأسره، وغنم أموالاً جليلة، وجواهر نفيسة، ثم سار نحو "ويهند" وأقام عليها محاصرة لها حتى فتحها قهراً، وسير طائفة من عسكره إلى جماعة من الهند اجتمعوا بشعاب تلك الجبال، فأوقعوا بهم".  
ويقول: ثم سار إلى "ملتان" فنازلها، وقاتل أهلها، حتى افتحها عنوة، وصالح أبا الفتح داود بن نصير بن حميد القرمطي صاحب "ملتان" على أن يبعث إليه كل سنة عشرين ألف دينار، وكان أبو الفتح القرمطي خبيث الاعتقاد، ورجع إلى غزنة.

وفي المرة الثانية سار محمود إلى الهند سنة ٣٩٧هـ، وفتح ورجم، ثم سار إلى الهند في سنة ٣٩٨هـ، ووصل إلى "نكركوت" وملكها، وأخذ من الجواهر النفيسة وأواني الذهب والفضة والدرام والدنانير ما لا يحده.

ثم سار نحو الهند سنة ٤٠٠هـ عازماً على غزوها، ولما رأى ملك الهند أنه لا قوة له به راسلته في الصلح على مال يؤديه فصالحة.  
ثم سار إلى الهند سنة ٤٠٤هـ، وقاتل الهند أشد قتال، وغنم ما معهم من مال وسلاح وغير ذلك.

ثم سار إلى الهند سنة ٤٠٥هـ وقصد "تهايسير" فهدم الكنائس،

الملوك، واستولى على إقليم خراسان ونفذ إليه القادر بالله خلع السلطة ففرض على نفسه كل سنة غزو الهند فافتتح بلاداً شاسعة وسوانحه في أقل مدة، وكان حنفيأً يحب الحديث، صاذق النية في إعلاء الدين، مظفراً كثير الغزو ذكيًّا بعيد الغور، وكان مجلسه مورد العلماء، وقد صنف في أيام محمود وأحواله لحظة لحظة، وكان في الخير ومصالح الرعية، يُسرّ له الإسار والجنود والهيبة والخشمة بما لم ير أحد. مات بغزنة في جاهي الأولى سنة ٤٢١هـ (انتهى ملخصاً).

وكسر الأصنام، وأخذ الجواهر النفيسة.

ثم سار إلى كشمير سنة ٤٠٦ هـ وحاصر قلعة "لوه كوت"، واضطرب إلى ترك الحاصرة للثلج والبرد فرجع إلى غزنة، ثم سار نحو الهند سنة ٤٠٧ هـ، ووصل إلى "قنجو" ، وفتح ما حولها من الولايات الفسيحة، ثم سار إلى "ميرت" و"متيرا" وفتحهما، وقصد "كالنجر" سنة ٤٠٩ هـ، وفي سنة ٤١٤ هـ فتح قلعة "كواليار" ، وكذلك في عام ٤١٦ هـ سار إلى "سومنات" فافتتحها عنوة، وكسر الصنم الأكبر، ورجع إلى "غزنة" سنة ٤١٧ هـ.

كسرت القوات الغازية للغزنويين من ناصر سبكتكين إلى مسعود بن محمود بن سبكتكين شوكة الأمراء والراجحات في الهند، وفرضت عليهم هيبة المسلمين بانتصارهم الساحق في المعرك المتالية، فقد شن محمود الغزنوي حوالي ١٧ غارة مكثفة، انتصر فيها، وعاد إلى "غزنة" بأموال وغنائم لا تحمد، ونال تقدير الخليفة العباسى في بغداد على انتصاراته الساحقة.

وكان يرافق محمود الغزنوي عدد من العلماء وال فلاسفة والدعاة ٢ ، ورغم عودة محمود إلى غزنة كان كثير منهم يبقون في الهند، ويختلطون بسكانها، كان في مقدمتهم أبوالريحان البيروني ٣

١ - راجع: "الإعلام" الجزء الأول "الهند في العهد الإسلامي" للشيخ عبد الحي الحسني.

٢ - ورد في كتب التاريخ والسير أن السلطان محمود الغزنوي قد حضر لدى الشيخ الكبير أبي الحسن الخرقاني (م/١٠٤٢ هـ)، وأنه دعا له ونصبه، ولم يقبل منه شيئاً. راجع: (سير أعلام النبلاء) للذهبي و(تاريخ فرشته) بالأردية لمحمد قاسم فرشته وغيرهما من الكتب.

٣ - أبوالريحان محمد بن أحمد البيروني المنجم أحد الحكماء المشهورين والعلماء المذكورين والأفضل في الصناعة الطبية والأمثال في علم الهندسة والهندسة والنجوم

الذى ألف كتاباً خاصاً عن الهند وحضارتها وتاريخها والحياة الاجتماعية فيها، عرف هذا الكتاب كمصدر رئيسي عن الهند.

حطمت حملات الغزنوين صلب المقاومة الهندية، لأنها كانت متكررة ومتالية ومتوسعة توغل فيها الغزنويون إلى أماكن بعيدة متaramية حول "دلهي" إلا أنه لم يستهدفوا "دلهي" والمناطق المركزية.

توجه محمود الغزنوی وشهاب الدين الغوري إلى "غجرات" أيضاً، وتكررت حملاتهما على هذه المنطقة الساحلية، وصل إليها شهاب الدين الغوري في عام ٥٧٤ هـ عن طريق "ملتان"، لكنه انهزم أمام قوة راجه بهيم ديو حاكم "غجرات"، ولكن الله تعالى عوض هذه الهزيمة بانتصار قطب الدين أيك الذي كان ملوكاً له في "أجمير"، ثم تقدم قطب الدين بأمر السلطان شهاب الدين الغوري إلى "غجرات"، وهزم بهيم ديو، واستولى على "نهر والا".

وفي عام ٦٩٦ هـ غزت قوات المسلمين "غجرات" مرة أخرى في عهد علاء الدين الخلجي، وأقيمت دولة إسلامية في "نهر والا"، وأقيم أول مسجد فيها.

### قدوم الشيخ الإمام معين الدين الجشتى

وقدم الهند الشيخ الإمام شيخ شيوخ المسلمين في الهند معين الدين الحسن بن الحسن السجزي الولي الكبير المشهور، الذي اهتدى به إلى الإسلام ألوف من المشركين، وأقبل عليه الناس جماعات

---

وحكمة الهندود، دخل بلاد الهند وسكن بها علة سنين، وتعلم من حكمائها فتونهم وعلمهم وطرق اليونانيين في فلسفتهم، ولم يكن له في زمانه نظير، ولا كان أحنق منه بعلم الفلك بكل دقائقه، كان من رجال القرن الخامس الهجري (راجع الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ج ١).

وزرافات، فانتفعوا به، وأنابوا إلى ربهم، ولد سنة سبع وثلاثين وخمسمائة (٥٣٧ هـ) ببلدة "سجستان"، سافر إلى "سمرقند" فحفظ القرآن الكريم، وقرأ العلم حيالاً أمكن له، ثم دخل "هارون" - قرية من أعمال نيسابور- وأدرك بها الشيخ الكبير عثمان الهاروني فلازمه ملزمة حسنة، وصحبه عشرين سنة، ثم قدم الهند وأقام بمدينة "لاهور"، ثم قدم "دلهي" - عاصمة الهند - ثم سار إلى "أجمير" وسكن بها، وكانت تحت سلطة المندو في ذلك الزمان، فأسلم على يده خلق كثير، وفي ذلك الوقت غزا الهند السلطان شهاب الدين الغوري وهو الذي رسخت به قدم المسلمين في بلاد الهند، وقامت لهم دولة مستقلة، فكان دعاء الشيخ سلاحاً للغوري وجنة، توفي يوم الإثنين

سادس رجب سنة ٦٣٢ هـ . ١

وكان خليفة في "دلهي" الشيخ قطب الدين بختيار الكعكي ٢ ، وكان من كبار مشايخ الهند، ومن السالكين المرتاضين والداعية

١ - وجاء في بعض الروايات ٦٣٣ هـ و ٦٢٧ هـ .

٢ - هو الشيخ العارف الزاهد الكبير المجاهد قطب الدين بن كمال الدين الكعكي الأوشى ، وكان يشتغل بالذكر والفكير على الدوام فارغاً قلبه عن هوا جس الخطرات، ويستغرق في بحار المعارف . ولد في "أوش" في حدود ما وراء النهر ، توفي والده حين كان ابن سنة وستة أشهر فربى في حجر والدته العفيفة، وسعد بملزمة الشيخ الإمام معين الدين الجشتي الأنجيري وحاز ثقته ، واستفاد من الشيخ شهاب الدين السهوروبي والشيخ بهاء الدين زكريا الملتحاني ، سافر إلى دهلي وتوطن بها، وكان الملك شمس الدين الألتمش يكرمه غاية الإكرام ، وكان يتتردد إليه في كل أسبوع ، واستفاد منه خلق كثير من العلماء والمشايخ لا سيما الشيخ الكبير فريد الدين مسعود العمري الأجوهري . الذي استفاد منه الشيخ علي صابر كليري (م ٦٩٠ هـ ) ، والشيخ نظام الدين محمد بن أحمد البدايوني الدهلوبي (م ٧٢٥ هـ ) ، وتوفي الشيخ قطب الدين بختيار الكعكي في يوم الإثنين ١٤ / ربيع الأول ٦٣٣ هـ .

الإسلاميين والمجاهدين في سبيل الله، وكان دعائه سلاحاً لقطب الدين أيك وجنة، كما كان دعاء الشيخ معين الدين الجشتى لشهاب الدين الغوري، ويقول المؤرخون:

"في الحقيقة أن الذي فتح هذه البلاد وأخضعها للإسلام، هو الرجل الصالح الشيخ معين الدين الجشتى الذي اهتدى به إلى الإسلام أwolf من المسلمين.

كتب الأستاذ عبد المنعم النمر المصري في كتابه "تاريخ الإسلام في الهند" عن الشيخ معين الدين الجشتى :

"ويتناقل الناس أنه أسلم على يديه كثير من الهندوس يبلغون تسعة ملايين لما رأوه من كراماته وأحواله العجيبة، وإليه وإلى تلامذته يرجع الفضل في إسلام الكثير من الهندوس.

ويقول: قد سمعت منشيخ الإسلام مولانا مدنى<sup>١</sup> أن تسعة ملايين دخلوا الإسلام على يديه وأجل كراماته" انتهى.

### حملات الغوري

استهدف هذه المناطق الرئيسية السلطان شهاب الدين الغوري وملوكيه قطب الدين أيك في القرن السادس للهجرة، وانتصرا على أكبر قوة في ذلك العصر، وهي قوة "برتهوي راج جوهان" الذي كان يحكم دهلي وأجمير، وكان انتصارهما في هذه المعركة تمهدًا لإنشاء دولة إسلامية راسخة امتدت إلى قرون باختلاف الأسر الحاكمة.

كان السلطان الغازي المجاهد في سبيل الله شهاب الدين محمد الغوري من ملوك غزنة، سار إلى الهند سنة ٥٧٢ هـ ، فانتزع ملтан

١ - يعني به الشيخ المجاهد مولانا حسين أحمد المدنى .

وما والها من أيدي القرامطة، ثم حاصر "أوج" وبها ملك من المشركين، فلم يظفر بطالئ، وعاد إلى غزنة، ثم سار منها سنة ٤٥٧٤ هـ عن طريق ملتان إلى غجرات، فلقيه صاحبها بهيم راج وقاتلته، فانهزم المسلمون، فعاد إلى "غزنة" ثم رجع منها سنة ٤٥٧٥ هـ وقصد "لاهور" و"بيشاور" وفتح، ثم رجع إلى غزنة، ثم خرج في ٤٥٧٩ هـ وسار نحو لاهور في جمع عظيم وغلب على أهلها، ورجع إلى غزنة، وقصد بلاد الهند في ٤٥٨٣ هـ ففتح قلعة "بهتندة" فلما سمع برتھوي راج ملك أجمير ودلهي جمع العساكر، وأكثر، وسار إلى "دلهي" مع أخيه كهاندي رأى نائبه بأرض دلهي، وأكثر ملوك الهند، وقامت الحرب فانهزم، ثم رجع، ثم وقعت بينه وبين برتھوي راج معارك عديدة وانتصر في المعركة الأخيرة ١.

يقول العلامة الشريف عبد الحفيظ الحسني عن "قطب الدين

أبيك"

"سار نحو الهند في سنة ٤٥٨٨ هـ فشن الغارة إلى "ميرت" فملكها، ثم سار إلى "دلهي" سنة ٤٥٨٩ هـ، وقاتل صاحبها أشد قتال، فهزمه، ودخل دلهي، وجعلها دار ملكه، ثم سار إلى قلعة "كول" ففتحها، وفتح قطب الدين "قنوج" وأجمير ونهر والا و"كانجر" و"بدايون"، وهو الذي أتم بناء الجامع الكبير ببلدة دلهي سنة ٤٥٩٢ هـ ٢.

وقد توفي قطب الدين أبيك في عام ٦٠٧ هـ ببلدة لاهور.

١- وكانت للغوري علاقة محبة ومودة من العلماء والمشايخ الكبار ، كالشيخ الإمام فخر الدين الرازي صاحب التفسير الكبير (م ٦٠٦ هـ) ، والشيخ الإمام معين الدين حسن الجشتي (م ٦٢٢ هـ) فكان يجلس لديهما ويستنصر بهما ، توفي في غرة شعبان سنة ٦٠٢ هـ (مارس ١٢٠٦ م) قتيلاً بين لاهور وراولبندي).

٢- الهند في العهد الإسلامي ، للعلامة الشريف عبد الحفيظ الحسني ، ص: ١٦٤

## مكانة العلماء والشayخ لدی الملوك والأمراء

وكان قطب الدين أبيك ملكاً عادلاً، باذلاً كريماً، بأسلاً مقداماً، يضرب به المثل في الشجاعة والكرم، وكان يعطي الناس أكثر مما يستحقونه، وكان يكرم العلماء والصالحين ويحضر مجالسهم، ويقول المؤرخون: إنه كان من محبي الشيخ الكبير قطب الدين محمد المدني الجد الكبير للإمام أحمد بن عرفان الشهيد، يقول عنه مؤرخ الهند العلامة عبد الحي الحسني :

"قدم الهند لعله في أيام قطب الدين أبيك مجاهداً معه في سبيل الله، وفتحت على يده الكريمة قلعة "كره" و"مانكبور" و"هنسوة"، وغيرها من القلاع الحصينة".

كان السلطان شمس الدين التمشي الذي تولى الحكم بعد قطب الدين أبيك، وقد رياه قطب الدين، يكرمه غاية الإكرام، وكتب القاضي شهاب الدين أحمد بن عمر الدولة آبادي<sup>١</sup> في هداية السعداء أن السلطان المذكور كان يجلسه في صدور المجالس، ويقبل يده، ويبارك به، وكانت وفاته سنة ثلات وثلاثين وستمائة هـ ..

كذلك كان الشيخ معين الدين الجشتى (م ٦٣٢ هـ) والشيخ قطب الدين بختيار الكعكي (م ٦٣٣ هـ) والشيخ فريد الدين غنج شكر مسعود الأجوودهنى (م ٦٦٤ هـ) موضع إكرام وتقدير لدی الملوك

١ - كان علامة الزمان وأحد الأئمة بأرض الهند، بُرز في الفقه والأصول والعربية، وصار إماماً في العلوم لا يلحق غباره، له مصنفات جليلة ممتدة، ذكرها الجلبي في "كشف الظنون" ومن أهم مصنفاته "شرح كافية لابن الحاجب" و"هداية السعداء" وله "البحر الموج في تفسير القرآن الكريم" توفي ٢٤٩ جمادى الأولى ٨٤٩ هـ بمدينة جونفور بالهند.

٢ - راجع: "الإعلام" الجزء الأول .

والسلطان يتبركون بهم ويحضرون مجالسهم للدعاء ويستصحونهم.

كان السلطان غياث الدين بلبن (م ٦٨٦هـ) من خيار

السلطان، عادلاً فاضلاً حليماً كريماً، بذل جهده في تعمير البلاد،

وسد الثغور، ورفع المظالم، والإحسان إلى الخلق، وكان في ذلك

على قدم السلطان شمس الدين الألتمنش، وكان محبًا لأهل العلم،

محسنًا إليهم، يتردد في كل أسبوع بعد صلاة الجمعة إلى بيوت الشيخ

برهان الدين القلبي، والشيخ سراج الدين السجزي، والشيخ نجم

الدين الدمشقي، ويحظى بصحبتهم، ويتردد إلى مجالس الذكر، ويداوم

على الصلاة بالجمعة.

كذلك كان ابنه محمد غياث الدين (م ٦٨٣هـ) ١ معروفاً بالعدل

والإحسان، يكرم العلماء، كان بأسلاً مقداماً شجاعاً عظيم الهمية،

جليل الوقار، محبًا لأهل العلم، محسنًا إليهم، يجتمع بالأمير خسرو

البخاري الذهلي (م ٧٢٥هـ) ٢، والأمير نجم الدين حسن بن العلاء

السجزي الذهلي (م ٧٣٧هـ) ٣ والفضلاء الآخرين.

١ - كان والياً لأبيه ببلاد السنديان ساكناً بمدينة ملтан، وقد قتل في حرب له مع التتر، وأنه أرسل إلى المصلح الكبير الشيخ سعدي الشirazi أن يقدم عليه وبينى له زاوية

ملتان، ولكنه اعتذر كل مرة لكبر سنّه.

٢ - كان من أشهر مشاهير الشعراء في الهند، لم يكن له نظير في العلم والمعرفة والشعر

وفنون أخرى، وكانت له معرفة تامة في اللغة والبلاغة، ولد في "أيته" بالولاية الشمالية

سنة ٦٥١هـ، بايع الشيخ الكبير نظام الدين الذهلي (م ٧٢٥هـ)، وصرف أكثر عمره في

الصيام والقيام والتعبد والتلاوة والذكر، وكان صاحب مصنفات كثيرة ممتعة، وبلغ

صيته إلى أقصى إيران، وسارت بصفاته الركبان.

٣ - أحد الرجال المشهورين بالفضل والصلاح، كان شاعراً مجيد الشعر، حسن المخاضرة،

حلو الكلام، صاحب أخلاق رضية، عاش مدة من الزمان في زي الأمراء عند ملوك

عصره، ثم انقطع إلى الله سبحانه وتعالى، وبابع الشيخ نظام الدين، وكان عديم

أما ناصر الدين محمود بن شمس الدين الألتمنش، فقد كان نموذج الخلفاء الراشدين، قام بالحكم في ٦٤٤هـ فنادى برفع المظالم، وأكثر من العدل والكرم، وكان عادلاً فاضلاً ورعاً متعبداً راغباً إلى الخيرات، يكتب القرآن الكريم نسختين كل سنة، فيبيعهما ويقتات بشمنهما، وكانت وفاته في سنة ٦٦٤هـ.

وكان السلطان غيث الدين تغلق عادلاً فاضلاً، كريماً حكيناً، متورعاً، حسن الأخلاق، راجح العقل، متين الدين، يلازم الصلوات الخمس بالجماعية، ويجلس للناس في الديوان العام، ويتفقد بنفسه أحوال الناس، ويكرم العلماء والمشايخ، ويعظمهم تعظيماً بالغاً، وكانت وفاته في عام ٧٢٥هـ.

وكان محمد تغلق (م ٧٥٢هـ) شديداً في إقامة الصلاة، يعاقب على تركها أشد العقاب، وكان فيروز شاه تغلق (م ٧٩٩هـ) ملكاً عادلاً صالحاً، سعى إلى قمع البدع والمنكرات ورفع كلمة الإسلام، وقد ألغى الضرائب والرسوم التي كانت تأخذها الحكومات السابقة، وأمر بمعاقبة من يتطاول على الخلفاء الراشدين، ومنع زيارة القبور ومشاهد الأولياء، ومنع استخدام أواني الذهب والفضة، ولبس الملابس الحريرية، وقام ببناء المساجد والمدارس، وغرس الأشجار، وأنشأ المستشفيات الخيرية، ودفع الديمة عن الذين قتلهم ابن عمه الملك محمد تغلق ظلماً، وردَّ الأراضي المغصوبة إلى أهلها، وقام بالدعوة الإسلامية باستعمال قلوب أهل الذمة، وجعل مملكته تابعة للخلافة العباسية، وفي عهد آل تغلق كان العبد الصالح الشيخ نظام الدين في

النظر في الرسوخ في العقيدة، واستقامة العقل، وله كتاب بسيط في ملفوظاتشيخ الشیخ نظام الدین محمد بن احمد البدایونی .

دلبي (٧٢٥هـ) أحد الأولياء المشهورين بأرض الهند، وكانت له زاوية عامرة يؤمها مئات من الطالبين، فكانت إمارة روحية في جنوب إمارة مادية تفوقها في السلطان على القلوب يكرمه الأمراء والسلطانين ويعظمونه.

كذلك كان ملوك الأسرة اللودھیة، فقد كانوا متمسكين بالتقاليد الأفغانية، وقد كان الأفغانیون عامة معروفيون بتقيدھم بالذهب السنی الحنفي، وتصلبھم في اتباع التعالیم الدينیة غير متسامھین فیھما، وكان الملك سکندر بن بھلول اللودھی (م ٩٢٣هـ) من أكثرھم تديناً، وتقديرًا للعلماء، وتشجیعاً للعلوم الإسلامیة، وفي عهد اللودھین ازدهرت مدینة "جونفور"، وبلغت أوجها في عهد ابراهیم شاه الشرقي (م ٨٤٤-٨٠٤هـ)، وكذلك مدینة "أحمد آباد" في غجرات خاصة في عهد مظفر شاه الخلیم (م ٩١٧-٩٣٢هـ)، فاجتمع العلماء فیھما، وكثرت المدارس والجوامع.

### حكم المقول

وفي سنة ٩٣٣هـ جاء بابر التیموري من کابل وأسس الإمبراطورية المغولیة، وفي عهد ابنه نصیر الدین همایون (م ٩٦٣هـ) سعدت الهند بحكم الملك شیرشاھ فرید خان السوری (٩٤٦-٩٥٢) الذي لم ینھض في تاريخ الهند الإسلامي ملك متدين عالم أحسن منه تنظیماً، وأکثر منه توفیقاً للأعمال الخیریة، وتنفیذاً للمشاریع الإعماریة في رفاهیة الشعب، ولا تزال الهند رغم رقیها تعتمد على کثير ما نفذه هذا الملك، وكان أفغانیاً، وقد وزع أوقاته شطراً منها للعبادة، وشطراً للعدل والقضاء، وبعضاً منها لإصلاح العسكر، وإنه أسس دولة منظمة لم تسبق، وكانت أعماله لو وزعت

على عدة ملوك لوسعتهم، أنشأ شارعاً مسيرةه أربعة أشهر، غرس عليه الأشجار، وبنى عليه المنازل، والمساجد، وكان يريد أن يحدث شارعاً آمناً إلى مكة المباركة، ولكن الأجل لم يمهله، توفي في الثاني عشر من ربيع الأول سنة ١٥٩٢ هـ.

مرت الهند باضطراب سياسي بعد شيرشاه السوري، وقد بذل همایون خليفة الملك بابر<sup>٢</sup> جهده لترسيخ قدمه في أرض الهند مرة ثانية، لكن جهده باء بالفشل، وأجبر على الخروج من الهند، فلتحق بملك إيران، وطلب منه المساعدة، وبمساعدةه أسس الدولة المغولية التي دامت إلى القرن الثاني عشر بعد حكم دام مائتين وأربعين عاماً.

تولى الحكم الملك أكبر بن همایون التيموري عام ٩٦٣ هـ وكان أمياً، وكان في بداية عهده راسخ العقيدة، متৎساً مع التقشف في الحياة، وكان يعاقب الناس على مخالفته عقائد الجمهور، وكان يقدم النذور إلى ضرائح الأولياء، ويستغل بالأذكار والأوراد، ويصاحب العلماء.

وبعد مدة انقلب أكبر بيعاز بعض علماء السوء الذين أحاطوا

١ - راجع الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام .١٣٣/٤ .

٢ - هو السلطان ظهير الدين محمد بابر شاه التيموري (٨٨٨-٩٣٩ هـ) سلطان الشیخ الكبير عبد الله الأحرار البسمري الذي يظهر الدين محمد ولكنه اشتهر ببابر شاه، وقعت له معركة بين إبراهيم اللوهي سنة ٩٣٢ هـ في ساحة باني بنت فغلب عليه بابر التيموري، وسخر بلاد الهند أكثرها، وقام بالملك بعده ولده ناصر الدين همایون، وكان ملكاً فاضلاً دائم الصحة للعلماء وأهل الفضل، وكان أكبر أبناء بابر و ساعده الأئمـ عند ما توجه أبوه لفتح الهند، وفي عهد همایون سنة ٩٤٧ هـ نهض شيرشاه السوري فانتزع البلاد من أيدي المغول وفر همایون إلى إيران، ثم عاد وانتزع من السوريين السلطة سنة ٩٦٢ هـ .

به، وتأثير بعض رجال البلاط من غير المسلمين، وخاصة زوجاته الهندوكيات، فقام بنشر نظرية الدين الإلهي الذي ابتدعه، وأظهر التسامح البالغ مع الأديان الأخرى، بل عاند الدين الإسلامي، وأحل حرامه وحرم حلاله، واتخذ إجراءات قاسية لفرض دينه الجديد، وأباح للMuslimين الارتداد عن دينهم، ومنع المسلمين من الحثّان، وأباح بيع الخمر وشربها، وأباح البغاء والربا، وأوجب على الناس سجدة التحية للملك، وأوجب على رجال حاشيته ارتداء الحرير، ومنع الأذان والصلوة في دار الشورى، ومنع الصوم في رمضان، ومنع تأدية الحج، وعطّل أعياد المسلمين، وأمر بحلق اللحمة، وألغى التقويم الهجري، وجعل يقدس مياه الأنهر.

ومات أكبر بعد ما أفسد جو الهند، وغير مجراه، وخلفه ابنه جهانكير، فبذل الإمام أحمد بن عبد الأحد الفاروقى السرهندي المعروف بـجدد الألف الثاني جهده لتحويله إلى المجرى القديم، وإعادة ما كانت عليه البلاد قبل أكبر، فأصدر جهانكير المرسوم الملكي لمحو آثار أبيه، كان من بنوده تحريم سجدة التحية للملك، والإذن بذبح البقر، وتعيين القضاة والمحاسبين، وإعادة بناء المساجد المنهدمة، وإلغاء القوانين غير الشرعية.

وقد كان السلطان جهانكير على خلاف والده يكرم العلماء والصالحين، وقد كان هناك سوء تفاهم بينه وبين الإمام أحمد السرهندي في أول الأمر لكنه عاد إلى إجلاله وتكريمه، وتغيير نظام الدولة بتأثير صلة الإمام السرهندي، وبدأ تعظيم الشعائر الدينية، وسُحبَت الأوامر التي كان أصدرها أكبراً.

١- راجع للتفصيل رجال الفكر والدعوة في الإسلام للشيخ الندوبي ج ٣/ .

وكان ابنه السلطان شاه جهان (م ١٦٨٠ هـ) طيب النفس، معظمًا للشريعة الإسلامية، شغوفاً ببناء المساجد، ملتزماً بالفرائض الشرعية، يدّني إلية العلماء والصالحين ويقرّبهم، وقد غير شاه جهان كثيراً من نظام الدولة وسياستها، وقد وظف القضاة والمعلمين ليعلموا الناس أحكام الشريعة وأداب العبادة.

أما السلطان أورنچ زيب بن شاه جهان بن جهانكير (م ١١١٨ هـ) فكان وثيق الصلة بالشيخ محمد معصوم بن الإمام أحمد السرهندي، وقد كانت هذه الصلة صلة التربية والاسترشاد، وقد اعنى الإمام محمد معصوم بتربيته قبل توليه الحكم عندما كان ولـي العهد، وكان يرعايه.

يقول المؤرخون: إن السلطان أورنچ زيب كان يزداد كل يوم اهتماماً بإجراء الأحكام الشرعية وتنفيذها ومراعاة الأوامر الإلهية، فألغى معظم الأوامر التي أصدرها جده أكبر، وأصدر أوامره بإغلاق الحانات والخمارات، ومكامن الربيبة والفساد، وأقام نظام الحسبة وكانت معطلة في العهود السابقة فأعاد للإسلام مكانه ونفوذه وسيادته في نظام الدولة .٢

### تفكك السلطة السلطانية

بعد وفاة السلطان أورنچ زيب عالمكير في ١٧٠٧ م بدأ تفكك الهند

- كان عهده عهد الخير والإصلاح التدريجي قد بدأ من عام ١٦٣٦ هـ واستمر بأبهته وعظمته ٣١ سنة، وكان صاحب الآثار الجميلة في الهند، بنى جامعاً كبيراً والقلعة الحمراء في دلهي والنتائج محل في آجره - وهي الدرة اليتيمة في البناء .
- ٢- رجل الفكر والدعوة في الإسلام ج ٢/٣ .

- السلطان أورنچ زيب عالمكير هو الملك المظفر المنصور ، فتح الفتوحات العظيمة ، وصرف أوقاته بمصالح الناس وبميرضى به رب العالمين ، أمر بتدوين الفقه فجمعه نجحة

سياسيًا، وأن خلفاء أورنوك زيب لم يكونوا رجالةً أكفاء في الدين والسياسة، وبذلك ويسرب مؤامرات الأمراء تفرقت كلمة المسلمين، فحدث انفصال عدة أجزاء من الحكومة المركزية بدلهي، وكان في مقدمتها حكومة "آصف جاه نظام الملك" في دكن، وسعادت علي برهان الملك في أوده، وعلى وردي مهابت جنك في البنغال، وقد مهد هذا الانفصال الطريق لتوزع قوة المسلمين وتشتت شملهم وغبة الأعداء، وشجع ضعف قوة المسلمين المركزية القوى الانفصالية الأخرى لغير المسلمين على الاستيلاء على مناطق جديدة، كان في مقدمتهم المراهنة الذين كانوا يضمرون في قلوبهم حقداً وكراهيّة لل المسلمين، وكانوا يتحينون الفرصة للانتقام منهم، فاستولوا على عدة مديريات لآجرا وإله آباد، وشنوا غارات على العاصمة المغولية دلهي، وكانت قبائل جات أيضاً تشن الغارات على العاصمة دلهي، وأجرا، وكانت القوة الثالثة قوة الشيخ الذين استولوا على بنجاب عام ١٧٦٣م، وأنشأوا دولة موحدة بقيادة رنجيت سنغ قامت باضطهاد المسلمين، وزاد الطين بلة حملات نادر شاه الذي هاجم دلهي كال العاصفة عام ١١٥١هـ الموافق ١٧٣٨م، ودمرت قواته دلهي وقادت بجزرة هزت كيان الدولة المغولية، وأزالت هيبة المسلمين من النفوس، فلم تبق سلطة المغول إلا في داخل أسوار القلعة الحمراء، وجاء أحمد شاه الأبدالي (م ١١٨٦هـ - ١٧٧٢م) عام

---

من علماء الهند الراسخين وطبع باسم "الفتاوى العالكيرية" في مجلدات ضخمة كبار، وأبطل المكوس والمظالم عن المسلمين، وضرب الجزية على المشركين، ونصب المحتسبين، وأقام دولة العلم والدين، لقب بسادس الخلفاء الراشدين، كانت له علاقة وطيدة بالعلماء الربانيين والشيوخ الكبار، وكان عالماً فقيهاً حافظاً للقرآن الكريم، وكانت له معرفة بالحديث النبوى الشريف، توفي سنة ١١١٨هـ في أورنچ آباد بدكن .

١٧٥٧م بدعوة الشيخ ولی الله الدھلوي مدعماً برؤساء قبائل روهيلا "نجیب الدولة" و "سعد الله خان ٢" و "الحافظ رحمت ٣" فكسرروا شوکة المراھة في الحرب الثالثة في ساحة بانی بت في عام ١٧٦١م، لكنه لم يمکث في الهند وعاد بعد تدمیر هذه القوة التي كانت تهدد حکومة المسلمين إلى حيث أتى ، فلو كان أحمد شاه آخر البقاء في الهند، ولم يرجع إلى مقره لبقيت سلطة المسلمين مدة أطول، وامتدت سلطتهم من أفغانستان إلى بنغال ، لكنه رجع مسرعاً من الهند ، وامتد الصراع بين الأمراء ، واستغل البريطانيون هذا الصراع ، وقد كانت لهم منشآت ومعسكرات في مختلف أنحاء الهند ، ومراكز للتعليم ، فشدوا خناق الحکام المغول ، ولم يلتق البريطانيون مقاومة تذكر في بسط نفوذهم إلا من السلطان تیبو حاکم "میسور".

### البطل المجاهد الفیور السلطان تیبو

كان فتح علي خان المشهور بـ "تیبو سلطان الشهید" بن الأمير حیدر علي مؤسس الدولة الإسلامية في "میسور" مغموراً بعاطفة الجهاد ، وقد حاول السلطان تیبو كسب تأييد الفرنسيين والأفغان والعثمانيين ، لكنه سقط شهیداً في ٤ / مايوا ١٧٩٩م ، وعندئذ قال

- ١ - هو نجیب خان بن أصالح خان الأفغاني كان في عساکر علي محمد خان وبعد وفاته سار نحو دلهي ، وتقرب إلى غازی الدين خان ، ولقبه أحمد شاه الدھلوي بـ "نجیب الدولة" اعترافاً لخدماته ، فكان أكبر شخصية في دلهي في الفترة ما بين ١٧٦٠ - ١٧٦١ . وكان الشیخ الإمام ولی الله الدھلوي يحبه ويراسله لعمله في صالح الملة الإسلامية .
- ٢ - سعد الله خان بن النواب علي محمد خان الكتھري اجتمع الناس عليه بعد وفاة أبيه عام ١١٦١ھ .

- ٣ - كان الحافظ رحمت خان الأفغاني من الأمراء المشهورين ، قدم الهند من جبل "روہ" التي سی المتسببون إليها بـ "رهیله".

القائد الإنجليزي الجنرال هارسن : "من اليوم الهند لنا".

يقول الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوبي :

"حين احتل الإنجليز هذه البلاد، وبدأ الأخطبوط الإنجليزي ينفتح سمومه، ويبتلع هذه البلاد قطعة قطعة وإمارة إمارة، فأول من انتبه لهذا الخطر الملك الهمام الشهم الغيور فتح على خان المشهور بالسلطان تييو (١٢١٣هـ - ١٧٩٩م) الذي عرف ببعد نظره وأمعيته أن الإنجليز سيزدردون هذه البلاد كلقطة سائفة إذا لم تقم في وجههم قوة منظمة، فحارب الإنجليز بكل ما كان يملكه من قوة جريئة وعدة وعتاد، وحرض أمراء الهند وأقاليها على القضاء على هذه الجرثومة الإنجليزية السامة، وحاول الاتصال بالسلطان سليم العثماني والملوك المسلمين وأمراء الهند وراسلهم، وظل يحارب الإنجليز حرباً عنفية لا هوادة فيها، وكاد ينهار كل ما بناه الإنجليز وأملوه في الهند لو لا أنهم نجحوا في ضم أمراء الهند في جنوب الهند إلى معسكرهم، وسقط الملك المجاهد صريعاً في المعركة (في اليوم الرابع من مايو سنة ١٧٩٩م) وفضل الموت في المعركة على الأسر في أيدي الإنجليز والحياة في ظلهم وتحت رحمتهم، وقال كلمته الخالدة المأثورة في التاريخ : "يوم من حياة الأسد خير من مائة سنة من حياة ابن آوى" وما بلغ القائد "هارس" شهادة السلطان حضر ووقف على جشه وقال : "من اليوم الهند لنا".

ولم تعرف الهند في تاريخها الطويل قائداً أعلى همة ، وأبعد نظراً ، وأشد غيرة على الدين ، والوطن ، وأعظم عداء وبغضاً للمحتل الأجنبي من "تيوسلطان" ، ولم تكن في الهند شخصية أبغض إلى الإنجليز وأثقل عليهم من تييو حتى ظلوا زماناً طويلاً (وقد أدركنا ذلك العصر) يسمون كلامهم باسمه شفاء لقلوبهم وإهانة لرموز الوطنية والجهاد ، وكتب الزعيم غاندي مقالة في صحيفة (Young India)

أشاد فيها بعظامه السلطان ووطنيته وتساحه وقال: لا نعرف أعظم منه في شهداء الوطن والأمة<sup>١</sup>.  
ويقول أيضاً:

"كان سليم العقيدة، مستقيم السيرة، صاحب غيرة دينية، ومحمية إسلامية، له ميل إلى معالي الأمور، ومعرفة للأدب، وصحبة أهل الفضائل، حصلت له ألقاب السلطة من سلطان تركيا، وأخلاقه وأخباره تدل على أنه كان لابد على اتصال بمركز تربوي توجيهي سني، ولا غرابة في أن يكون هذا المركز أسرة السيد علم الله الحسني في رأي بريلي، وقد بلغت المؤلف أخبار المراسلات والاتصالات بين أفراد هذه الأسرة الحاكمة في الجنوب وشيخ هذه الأسرة الداعية إلى الله في الشمال من ثقات هذه الأسرة وشيوخها"<sup>٢</sup>.

مات السلطان الشهيد موت الأحرار الأبطال في ساحة القتال  
دافعاً عن دينه ووطنه، وبعد حادثه الأليمة قد استولى الإنجليز على  
الهند.

### استيلاء الشركة البريطانية

وكان الإنجليز قد استولوا على "بنغال"، و"أريسا" و"بهار" في عام ١٧٦٥ م، واستولت الشركة البريطانية على أجزاء في الجزء الشمالي للهند كبنارس وغازيبور، ولم يعد الملك المغولي إلا خاضعاً لأوامر الشركة البريطانية يعيش على ما تقدمه هذه الشركة من مكافأة، وأصدرت الشركة في عام ١٧٨٧ م - ١٢٠٢ هـ عندما كان السيد أحمد ابن عرفان الشهيد قد بلغ سنتين من عمره نشرة رسمية "كلكته جازيت"

١ - المسلمين في الهند ١٦٢-١٦٣.

٢ - في مسيرة الحياة ٣٧/١ للشيخ الندوبي.

أن حكومة المسلمين ضعيفة ذليلة لا حول لها ولا صولة، أما الهندوس فلا يخافهم ، وفي عام ١٧٨٨ م - ١٢٠٣ هـ سمل غلام قادر روهيلا عين الملك شاه عالم، وأذل هذا السلطان المغولي الذي ورث سلطنة أورنج زيب ، وفي عام ١٨٠٣ م (١٢١٨ هـ) دخلت قوات الإنجليز دلهي بقيادة اللورد ليك ، وعيّنت راتب السلطان المغولي مائة ألف روبيه ، فأصبح الملك المغولي أسيراً في القلعة ، وفي عام ١٨٥٧ م استولى الإنجليز كلياً على الهند بعد فشل محاولة الثورة التي قادها العلماء ، وتوفي آخر الملوك المغول بهادر شاه ظفر إلى "رنجون" عاصمة "بورما" ، وبها توفي سنة ١٢٧٨ هـ.

### الوضع الديني والعلمي

ومن الغريب أن هذا العهد الذي كان انتشر فيه الفساد الخلقي ، وتزعزع فيه الكيان السياسي للمسلمين ، وزالت هيبة المسلمين من النفوس ، وغلبت عليهم قوى الأعداء ، وخرجت من سيطرتهم الهند كلها ، كان عامراً بالشخصيات العلمية ، فقد كانت دلهي عامرة بشخصيات كالشيخ عبد العزيز الدھلوی ، والقاضي ثناء الله البانی بتی اللذین کانا مرجعین للعلماء والصالحین ، كما کان الشيخ عبد القادر الدھلوی مرجعاً في القرآن الكريم ، والشيخ سلام الله ۱ في الحديث النبوی الشريف ، والشيخ عبد الحکیم البرهانوی في الإفتاء ، والشيخ

١- الشيخ العالم اخذت سلام الله بن شیخ الإسلام بن فخرالدین الدھلوی أحد كبار العلماء کان من نسل الشیخ عبد الحق بن سیف الدین البخاری الدھلوی ، له مصنفات متعددة أشهرها : "الكمالین علی الجلالین" في التفسیر و "الخلی" شرح "الموطأ" في الحديث ، وله شرح على شائل الترمذی ، و "خلاصة الماقب" في فضائل أهل البيت ورسالة في أصول الحديث ، ورسائل أخرى ، توفي في شهر جمادي الآخرة سنة ١٢٢٩ هـ .

محمد إسحاق بن محمد أفضل العمري الدهلوi في الحديث ، كما كان في العلوم العقلية ملك العلماء الملا عبد العلي بحر العلوم الكنوي ، والشيخ رفع الدين الدهلوi ، والشيخ فضل إمام الخبرآبادي ، والشيخ حيدر علي الرامبورi من المجتهدين في علومهم ، وكان كل واحد منهم حجة في مجال علمه ، وفي التربية والسلوك الشيخ غلام علي الذي كان مرجعاً للعرب والعجم ، وقد كان الشيخ خالد الكردي من المستفیدین به في دلهي ، وفي لكتاؤ الشیخ محمد آفاق وغیرهم من أصحاب التربية والتزکیة ، وكانت المدارس بفضل هؤلاء العلماء عامرة ، ولكن هيبة الدين كانت تضمحل باستمرار ، والفسق والفحور ينتشر.

### تفکك قوّة المسلمين

كان القرن الثالث عشر للهجرة والثامن عشر للميلاد فترة حاسمة في تاريخ الإسلام في العالم كله باعتبار التحديات التي كان يواجهها المسلمون ، والوهن الذي أصاب الحكم الإسلامي في الهند وفي أجزاء أخرى من العالم الإسلامي كان أخطر من غزو التتار لبغداد لأن الإسلام في هذا العهد كان يواجهه الخطر من جهتين جهة أعدائه من الداخل وجهة أعدائه من الخارج .

كانت الهند تواجه تفكك الحكومة المغولية ، وكانت القوى المعادية للإسلام كالشيخ والمرهنة تشن الغارات عليهم ، وكلما كان يحمل حضارة وعقيدة ونمطاً للحياة متنافياً مع عقيدة الإسلام ونمط حياته جوهرياً ، وحاول كلّاهم أن يخل محل الإسلام لفظاً ومعنى .

توزعت قوّة المسلمين بسبب المؤامرات في البلاط المغولي ، وانتقال الحكم إلى من كان غير مؤهل له ، فقلصت دولتهم بانفصال الأجزاء الرئيسية التي كانت مصدر قوّة ودعم للعاصمة الإسلامية ،

ولم يبق في السلطة المركزية إلا أجزاء هامشية، واستولى الإنجليز على أجزاء أخرى، وكانوا ينظرون إلى دهلي بنهاة، ويدبرون للاستيلاء عليها، واستولى الشيخ والمرهنة على أنحاء أخرى، واستقلت عدة أجزاء ومقاطعات.

وقد وصف الشيخ عبد العزيز الدهلوi هذا العهد بالكلمات الآتية :

"ما أعجب هذا الوضع، لقد غالب الكفار من الشيخ والمرهنة والجات على مدن المسلمين، ونهبوا أموالهم، وانتهكوا حرماتهم، فزال النوم عن العيون، وانتقلت مع أهلي إلى مراد آباد، وإن المنطقة الواقعة بين النهرين (نهر غنغا وجمنا) تداس بأقدام هؤلاء المفسدين".

وكتب مرتضا مظهر جان جانان<sup>١</sup> في رسالة له "لقد تضاعفت وسائط بالفوضى والأخطار التي تتكرر في دلهي".

وكتب في رسالة أخرى يقول: "إن الفتنة تتوجه من كل صوب إلى دلهي".

وكتب الدكتور لوتراب ستودارد (Lothrob stoddard) الكاتب الأمريكي الشهير في كتاب حاضر العالم الإسلامي (New World of Islam) معلقاً على الوضع السياسي والديني والخليقي لهذا العصر، وصدق الأمير شكيب أرسلان<sup>٢</sup> في قوله:

"لو أن فيلسوفاً من فلاسفة الإسلام، أو مؤرخاً عبقرياً بصيراً بجميع أمراضه الاجتماعية أراد تشخيص حالته في هذه القرون الأخيرة ما أمكنه أن يصيب المhz، وأن يطبق المفصل تطبيق هذا الكاتب

<sup>١</sup> من كبار المشايخ الربانيين في دلهي ، وكان الشيخ غلام علي من مسترشديه في عهد الشيخ عبد العزيز الدهلوi .

الأمريكي ستودارد :

"في القرن الثامن عشر كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ، ومن التدني والاختطاط أعمق درجة، فاريد جوّه، وطبقت الظلمة كل صفع من أصقاعه، ورجا من أرجائه، وانتشر فيه فساد الأخلاق والأداب، وتلاشى ما كان باقياً من آثار التهذيب العربي، واستغرقت الأمم الإسلامية في اتباع الهوى والشهوات، وماتت الفضيلة في الناس، وساد الجهل، وانطفأت قبسات العلم الضئيلة، وانقلب الحوكمة الإسلامية إلى مطايها استبداد وفوضى واغتيال.

فليست يرى في العالم الإسلامي، ذلك العهد سوى المستبددين الغاشمين كسلطان تركيا وأواخر ملوك المغول في الهند، يحكمون حكماً واهناً فاشي القوة متلاشي الصبغة، وقام كثير من الولاة والأمراء بخروجهم على الدولة التي هم في حكمها، وينشئون حكومات مستقلة ولكن مستبدة كحكومة الدولة التي خرجموا عليها، فكان هؤلاء الخارج لا يستطيعون إخضاع من في حكمهم من الزعماء هنا وهناك، فكثر السلب والنهب، وفقد الأمن، وصارت السماء تنظر ظلماً وجوراً، و جاء فوق جميع ذلك رجال الدين المستبدون يزيدون الرعيات إرهاقاً فوق إرهاق، فغلّت الأيدي، وقعدوا عن طلب الرزق، وكاد العزم يتلاشى في نفوس المسلمين، وبارت التجارة بوارداً شديداً، وأهملت الزراعة أيا إهمال.

وأما الدين فقد غشته غاشية سوداء فالبيت الوحشانية التي علمها صاحب الرسالة الناس سجفاً من الخرافات وقشور الصوفية، وخللت المساجد من أرباب الصلوات، وكثير عدد الادعاء والجهلاء، وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون في

أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات ، ويوهمون الناس بالباطل ، والشبهات ، ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء ، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفنه القبور ، وغابت عن الناس فضائل القرآن فصار يشرب الخمر والأفيون في كل مكان ، وانتشرت الرذائل ، وهتك ستر الحرمات على غير خشية ولا استحياء ، ونال مكة المكرمة والمدينة المنورة ما نال غيرهما من سائر مدن الإسلام ، فصار الحج المقدس الذي فرضه النبي على من استطاعه ضربا من المستهزئات ، وعلى الجملة فقد بدل المسلمون غير المسلمين ، وهبطوا مهبطا بعيداً القرار ، فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر ورأى ما كان يدهي الإسلام لغضبه وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين كما يلعن المرتدون وبعدة الأوثان<sup>١</sup> .

كان لهذا الانهيار السياسي أثر كبير في حياة المسلمين ، وذكر المؤرخون لهذا العصر دخول عادات قبيحة في حياة المسلمين ، وتفشى حياة الخلاعة والمعاصي ، وارتكاب الزنا وأعمال الفحشاء علينا ، وعمت الملاهي ونحوادي الطرب والغناء ، وكثرة شرب الخمر ، وكان عدد من النساء المسلمات في دور التجار والحكام من غير المسلمين من النصارى والهنود ، واتخذ أهل البدع شريعة خاصة لهم ، يقدسون القبور ، وصار المشايخ ورجال الدين ككهنة النصارى وأحبار اليهود ، ودخلت عادات هندوكية وشيعية في حياة أهل السنة ، ويمكن أن يقاس ذلك بأن الناس كانوا قد تركوا التحية بالسلام ، وكانوا يحيون بطرق غير إسلامية ، وعم ذلك حتى في البيئات الدينية وبيوت المشايخ ، وأسقطت طائفة من العلماء فرضية الحج لأن

١ - حاضر العالم الإسلامي ، للأمير شبيب أرسلان ، ٣٣ / ١ .

السفن كانت مهددة ، والسفر كان غير آمن .  
وقد كان الوضع السياسي أخطر من ذلك فقد شهد هذا

العصر :

- 1 الصراع الذي اشتد بين السنة والشيعة ، والذي أدى إلى الحرب الأهلية .
- 2 استقلال أمراء الولايات ، ونشوء حكومات إقليمية ، وعجز الملك المغولي عن السيطرة عليهم .
- 3 تصاعد قوة المراهنة في جنوب الهند .
- 4 قيام حكومة الروحيلية شمال شرقي الهند ، وانفصال منطقة أوده عن النظام المركزي .
- 5 نشوء قوة الجات في جنوب غربي دلهي .
- 6 ثورة السيخ وإنشاء دولة لهم في شمال غربي دلهي ، واضطهاد المسلمين واستعانتهم بالعناصر الأوروبية ، وكانت هذه الصراعات الداخلية قد جلبت القوى الأجنبية كنادر شاه ، وأحمد شاه الأبدالي اللذين نهبا العاصمة ، وأقاما مجزرة بشرية هائلة .

وبالإضافة إلى هذه القوى الداخلية التي كان مقرها الهند وأفغانستان تصاعدت نشاطات وتدخلات القوى الأوروبية ، فقد احتل البرتغاليون ساحل غربى الهند ، ويسقطت شركة شرق الهند البريطانية نفوذها ، واحتلت مناطق شاسعة في البنغال وجنوب الهند ، واستغلت هذه الشركة هذه الخصومات ، وبينما كان الأبدالي يقضى على قوة المرهنة في ساحة "باني بت" كان الإنجليز يحتلون البنغال بعد قتل سراج الدولة ، ونالت شركة الهند الشرقية تأييد عدد من العناصر كـ "شجاع الدولة" في بنغال ، وشاه عالم الذي أصبح أسير البريطانيين ، ثم نالت

تأييد أمراء دكن الذين كانوا يتربصون بالملعون الدوائر، وكانوا مصدر قلقهم، وقد حاكوا للتحقيق ذلك مؤامرات ضدهم.

### سيطرة الإنجليز في عصر الإمام أحمد بن عرفان

وتوسع نفوذ الإنجليز وسيطرتهم الكاملة في القرن الثامن عشر للميلاد وهو العصر الذي نشأ فيه الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، وما كتبه الشيخ عبد العزيز الذهلي يحكي أحوال بلاده:

إن حكم النصارى ساري المفعول بدون أي رادع، وتعنى سيطرتهم ونفاذ حكمهم أن الإدارة والحكم، ورعاية شؤون الرعية، والخراج، والعشر، والمكوس، والتجارة، ومعاقبة قطاع الطريق، واللصوص، وإدارة الشؤون العامة، والمحاكم، ومعاقبة الجرائم، والشرطة، والبولييس كله تابع لحكمهم، وخاضع لأمرهم، ويبعدهم السلطة الكاملة، ولا يملك الهندو أي صول أو طول، إنهم لم يمنعوا من الصلاة، أو الأذان، أو ذبح البقر، لكنهم سلبوا الحرية المدنية، وحرية الرأي، ويهدمون المساجد بسهولة تامة، ولا يسمح للتجار الهنود، أو المسلمين، أو المسافرين بالتحرك بحرية إلا بإذنهم، ويمتنع حكمهم من "دلبي" إلى "كلكتا".

ولم يبق في الهند سوى بقاع محدودة، قبل حكامها سيادة الإنجليز، أو خضعوا لهم إلا أنهم يملكون بعض الحريات، ولا ينفذون أوامرهم، ولذلك أصبحت البلاد كلها "دار الحرب".

نشأ الإمام أحمد بن عرفان الشهيد في هذه البيئة، وازدادت معرفته وإدراكه بوخامة الوضع وخطورة الموقف بصلة أسرته بالشيخ عبد العزيز الذهلي.



الباب الثاني

**أسرة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد**

السيد قطب الدين محمد المدنى

كان السيد قطب الدين محمد بن رشيد الدين أحمد المدنى في الجيل الثاني عشر لمحمد ذي النفس الزكية الشهيد بن عبد الله الحض بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عالماً، عارفاً بالله، وشيخاً صاحب عزيمة وهمة عالية، متورعاً، بطلاً مغواراً شجاعاً، يحمل عاطفة وقادة للجهاد، والسوق إلى الشهادة، رأى السيد قطب الدين محمد المدنى في المنام أن الرسول صلى الله عليه وسلم يأمره بالتوجه إلى الهند للجهاد، فتوجه إلى شرق الهند بطريق غزنة مع جماعة كبيرة من المجاهدين، وفي هذه المنطقة كانت عدة إمارات هندوسية فأغار عليها وفتح "قنوچ"<sup>١</sup>، ثم "مانك بور" و"كرا" و"هنسوه" وغيرها من القلاع الحصينة المتينة، وأدخلها في دولة إسلامية، وشغل مدة طويلة منصب شيخ الإسلام في دلهي في أيام بهرام شاه، وكان موضع إكرام وحب لدى سائر العلماء والسلطانين<sup>٢</sup> ،

<sup>١</sup> - وهي الآن مديرية من مديريات الولاية الشمالية بالهند.

<sup>٢</sup> - ذكر الشيخ فخر الدين بن عبد العلي الحسني في كتابه سيرة السادات (خطوط)

ومن دلهي انتقل إلى "كرا" ، واستوطنها ، وتوفي بها في ٣ / رمضان سنة ٦٧٧ هـ وقد بلغ من العمر ٩٦ سنة ، وكان ابن أخت الشيخ الكبير عبد القادر الجيلاني البغدادي رحمة الله ، وإنه أخذ العلم والمعرفة عن والده العلامة رشيد الدين أحمد بن يوسف<sup>١</sup> ، وابن خاله الشيخ عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلاني ، والشيخ العارف الكبير أبي الجناب نجم الدين الكبرى ، وكان من مواليد عام ٥٨١ هـ.

كان له ثلاثة أبناء ، نظام الدين ، قواه الدين ، وتابع الدين ، ونبع من ذريته رجال العلم والمعرفة كالقاضي ركن الدين بن نظام الدين ، والشيخ فضل الله ، والشيخ محمد تقى درويش ، والقاضي محمود بن العلاء التصيرأبادى ، ومن أعقباته العلامة الشريف خواجه أحمد بن إسحاق ، والشيخ هداية الله ، والعارف بالله علم الله الحسني الرائي بربليو.

### الشيخ علم الله الحسني

كان الشيخ علم الله من مسترشيدي السيد آدم البنوري أكبر تلاميذ ومستشاري محمد الأول الثاني الشيخ أحمد بن عبد الأحد

أن الشيخ السيد قطب الدين محمد بن رشيد الدين أحمد المدنى دخل دلهي في عهد الملك قطب الدين أيك ، وكان الشيخ قطب الدين مختار الكعكى والشيخ جلال الدين التبريزى بموافقته ، وكانت مصلحين فى دلهي ، فاستقر الشيخ الكعكى فى دلهي ، واتنقل الشيخ التبريزى إلى الل肯هونتى ، واتنقل الشيخ قطب الدين المدنى إلى منطقة "كرا" مع أقوابه وأولاده وعشائره .

<sup>١</sup> - كان العلامة رشيد الدين أحد من العلماء المجاهدين ، قصد "غزنه" مع ثمان وعشرين وسبعين مجاهداً من العلماء والدعاة ، واستشهد مع ثمان وعشرين مجاهداً ، ولد في ٥٢٨ هـ ، وعش ثماني سنّة ، كما في "بحر الأنساب" (راجع سيرة السادات للشيخ فخر الدين الحسني الرائي بربليو).

السرهندي، وعرف الشيخ علم الله بورعه وزهده واتباع سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وقد قضى فترة في بلاط الملك شاه جهان بن جهانكير<sup>١</sup>، ثم انقطع إلى العبادة ، والترية ، والقيام بالمعروف والنهي عن المنكر ، والعمل لتصحيح العقيدة ، وإحياء السنة ، وقد ذكر العلامة الشريف عبد الحي الحسني أن عالمكير بن شاه جهان صاحب الهند قد عرض عليه أقطاعاً من الأرض فلم يقبلها ، واستأثر الفقر والفاقة .

كان مقر أسرة السيد قطب الدين "جائس" ، و"نصيرآباد"<sup>٢</sup> ، فانتقل الشيخ علم الله إلى "رأيي بريلي"<sup>٣</sup> ، واختارها مقرًا له على شاطئ نهر "سي" ، وحج في سنة ١٠٧٥ هـ ، ثم سافر إلى الحجاز مرة ثانية للحج في عام ١٠٨٢ هـ ، وأنشأ بعد عودته مسجدًا مربعاً على غرار مبني الكعبة في عام ١٠٨٣ هـ ألقى في أساسه ماء زمزم الذي حمله لدى عودته من الحج ، وأمر أولاده أن يجعلوا هذا المكان موطنًا جديداً على سنة سيدنا إبراهيم عليه السلام بنية «ربنا ليقيموا الصلاة .... الخ» [٤] إبراهيم : ليكون مقرأً للعبادة ، ومنطلقاً

<sup>١</sup> - لعله كان في لاهور سنة ١٠٤٨ هـ قاله المؤرخ الكاتب الأستاذ غلام رسول مهر في كتابه "السيد أحمد الشهيد" بالأردية ، ص : ٤١ ، وجاء في بعض الروايات : في عهد أورنوك زيب عالمكير (م ١١١٨).

<sup>٢</sup> - نصير آباد وجائس هما قريتان جامعتان متقاربتان بمديرية رائي بريلي ، أما "جائس" فهي تقع على ثلاثة كيلو مترًا من مدينة رائي بريلي ، أول من نزل فيها من أسرة الشيخ الكبير قطب الدين المدنى كان السيد قطب الدين محمد الثاني ، ونصيرآباد تقع على ست ك.م. منها ، وينسب إليها القاضي محمود بن العلاء النصيرآبادى ، واتخذها ذريته مقراً لهم .

<sup>٣</sup> - رائي بريلي هي بلدة عاصمة على نهر "سي" تقع على ٨٢ كيلو مترًا من لكتناؤ على جهة الشرق ، كانت فيها قلعة بناها السلطان حسين الشرقي

للدعوة، ومركزًا للتربية والتزكية.

يقول العلامة الشريف عبد الحفيظ الحسني عن الشيخ علم الله "السيد الشريف العفيف ناصر السنة البيضاء، قامع البدعة الظلماء، عمدة العلماء الربانيين، ووارث الأنبياء والمرسلين، الإمام الهمام، الداعي إلى دار السلام السيد علم الله بن فضيل بن معظيم النصيرآبادي البريلوي كان من نسل الأمير الكبير بدر الملة المثير شيخ الإسلام قطب الدين بن محمد بن أحمد المدني الكروي، ينتهي نسبه إلى سيدنا الإمام حسن السبط الأكبر عليه وعلى جده السلام".

ولد في الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٠٣٣ هـ (٢٤/ديسمبر عام ١٦٢٣ م) صباحاً ببلدة "نصيرآباد"، فربى في مهد خاله أبي محمد بن فتح عالم بن محمد بن محمود النصيرآبادي<sup>١</sup>، وقرأ العلم على ابن عمّه خواجة أحمد بن إسحاق الحسني البريلوي<sup>٢</sup>، سافر مع خاله إلى دار الملك، ورافقه زماناً للاسترزاق، ثم تناهى عنه واعتزل، ولازم الشيخ آدم البنوري مدة، وأخذ عنه الطريقة، ونال حظاً وافراً من العلم والمعرفة، وانقطع إلى العبادة وتربية النفوس، بعد أن نال الإجازة من شيخه المذكور الذي أنابه وفوض إليه أمر الإصلاح

<sup>١</sup>- كان عالماً كبيراً وقاضياً في "نصيرآباد".

<sup>٢</sup>- الشیع الفاضل العلامة أَحْمَدُ بْنُ اسْحَاقِ الْحَسَنِيِّ النَّصِيرِآبَادِيُّ، وُلِدَ وَنَشأَ بِنَصِيرِآبَادَ ثُمَّ سَافَرَ إِلَى إِلَهِ آبَادَ، وَلَازَمَ الشِّيْخَ حَبَّ اللَّهِ إِلَهَ آبَادِيَّ حَتَّى بَرَزَ فِي الْعِلُومِ أَصْوَلًا وَفَرُوعًا، وَتَاهَلَ لِلْفَقْوَى وَالْتَّدْرِيسِ، فَرَجَعَ إِلَى بَلْدَتِهِ وَاشْتَغَلَ بِالدُّرُسِ، وَالْإِفَادَةِ مُدْلَةً طَوِيلَةً، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى الشِّيْخِ الْعَارِفِ السِّيدِ آدَمَ بْنِ إِسْمَاعِيلِ الْبَنُورِيِّ فَلَأَخْذَ عَنْهُ وَنَلَّ الْخَلَاقَةَ مِنْهُ حِينَ رَحْلَتِهِ إِلَى الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ. وَكَانَ عَالِمًاً كَبِيرًاً كَثِيرًاً الْعَبَادَةَ، وَالْتَّائِلَةَ وَالْمَرَاقِبَةَ، وَالْخَوْفَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مُتَوْرِعًاً تَقِيًّاً، وَمِنْ مَصْنَفَاتِهِ "رَسَالَةُ فِي حَرَمَةِ الْفَنَادِ" تَوَفَّى سَنَةُ ١٠٨٨ هـ بِنَصِيرِآبَادَ، وَدُفِنَ بِهَا، نَيْغَ مِنْ ذَرِيْتَهِ الشِّيْخُ الْعَالَمُ الْمُصْلِحُ الْكَبِيرُ خَوْاجَةُ أَحْمَدُ بْنُ يَاسِينِ النَّصِيرِآبَادِيُّ (مِنْ ١٢٨٩ هـ) رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

والترية وهو يهاجر إلى الحجاز<sup>١</sup>.

كان الشيخ علم الله عالماً رياضياً، عارفاً بالعلوم الشرعية والمعارف الإلهية، زاهداً قنوعاً، عفيفاً ديناً، ملازماً لأنواع الخير، قوياً في دينه، حميد التفقه، كثير الصدقات والإيثار في حضره وسفره مع فقره وقلة ذات يده، كان أحسن الناس وجهها، وأتقهم خلقة، قد غشيه نور الإيمان وسيماء الصالحين، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحتسب على كل من رأى عليه أثراً خلافاً للشرع، سواء كان ملكاً قاهراً، أو عالماً كبيراً، وكان يكثّر الرد على المبتدعين، ويظهر فضائحهم مع استيلائهم على بلاد المسلمين في عصره، وذكر مؤلف "بحر زخار" (مخطوطه) وصاحب "أعلام الهدى" (مخطوطه) أن أهل مكة والمدينة لما رأوه وصفوه بقولهم "هذا كأبي ذر".

وقال السيد الإمام أحمد بن عرفة الشهيد عنه في رسالة له إلى ملك "بخارا": "أنه قد سبق العلماء والمشايخ في عصره في إحياء السنة الحمدية المطهرة وإشاعة هديه الشريف".

وفي در المعرف للشيخ رؤوف أحمد الرامضاني (م ١٢٤٩هـ) أن الشيخ غلام علي العلوي الدهلوi (م ١٢٤٠هـ) كان يقول إن

<sup>١</sup> كان الشيخ العارف آدم بن إسماعيل الحسيني الكاظمي البينوري من السادات المربين الداعين إلى الله، أخذ عنه خلق كثير حتى قيل إن أربع مائة ألف مسلم بايعوه على اتباع الشريعة الحمدية، واقتداء آثار السنة السنّية، ونال عنـه ألف رجل منهم حظاً وافراً من العلم والمعرفة، وقيل: إن زاويته قديماً كانت تخلو عن ألف رجل كل يوم، كلهم يأكلون الطعام من مطبخه ويستفيدون منه، توجه إلى لاـهور سنة اثنتين وخمسين وألف (١٠٥٢هـ) وكان معه عشرة آلاف من السلامة والمشايخ من كل طبقة، وأوجس منه سلطان الهند (شاه جهان) خيفة، وكان بلاـهور بذلك الزمان، فأوعز إليه بأن يسافر إلى الحرمين الشريفين فسافر وحط رحاله بالمدينة المنورة، ومات بها سنة ثلاث وخمسين وألف (١٠٥٣هـ) (من كتاب "المترتضى" للشيخ أبي الحسن على الحسني الندوـي).

عالمكير بن شاه جهان رأى في المنام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي تلك الليلة، فعرض على العلماء والشيخ وسائلهم تأويله، فأولوه بأنه توفي في تلك الليلة من كان له نسبة صحيحة بالنبي صلى الله عليه وسلم وقدم راسخة في اتباعه، ثم أخبر بأن السيد علم الله توفي في تلك الليلة، فأجمع العلماء والشيخ بأنه هو المعتبر عنده بذلك المنام.

توفي في ٩ / ذي الحجة عام ١٠٩٦ هـ عن عمر يبلغ ٦٣ سنة وله أربعة أولاد وابنات أكبرهم السيد آية الله<sup>١</sup> ، والسيد محمد هدى ، والسيد محمد أبو حنيفة ، والسيد محمد جي ، وجميعهم من كبار العلماء والصالحين وأصحاب المعرفة ، وقد توفي السيد أبو حنيفة في حياة والده سنة ١٠٨٨ هـ ، عن عمر يبلغ ٣٢ سنة ، وبقي آخرون ، كلهم كانوا على قدم والدهم وخير خلف له ، وكان السيد محمد هدى ابن الشيخ علم الله الجد الأكبر للإمام أحمد بن عرفان البريلوي .

#### السيد محمد هدى بن الشيخ علم الله

كان السيد محمد هدى بن الشيخ محمد علم الله الحسني معروفاً بالورع والزهد في الدنيا ، وكان يضرب به المثل في الجحود ، وقد انطبق عليه ما قاله الشاعر الأموي الفرزدق عن الإمام علي زين العابدين (م ٤٩ هـ) في قصيده المشهورة :

ما قال "لا" قط إلا في تشهده  
لولا التشهد كانت لاؤه نعم

وكتب مؤرخ الهند الشهير العلامة الشريف عبد الحفيظ الحسني

<sup>١</sup> - كان السيد آية الله الجد الأكبر للسيد الإمام أحمد بن عرفان من جهة الأم ، وكان عالماً مجاهداً مغواراً ، توفي في شهر رجب سنة ١١١٦ هـ ، ودفن عند الله .

في كتابه "الأعلام" بن في تاريخ الہند من الأعلام" عنه: "لم يكن في زمانه مثله في الإعطاء والكرم" ، وكتب الشيخ محمد نعمان في كتابه "أعلام الہدی": "أن الشيخ محمد هدی ما كان يعرف لا" ، وكان عند العطاء لا يعد ولا يحصي ، ولا يفرق بين مائة وألف ، ولا يفكّر في ما يبقى عنده شيء ، كان كما جاء في القرآن الكريم: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةً) <sup>١</sup> وللإنفاق المفرط كان يقضى أياما طاوياً ، وإذا وصل إليه مال ، ووصل سائل ذو حاجة ، أعطاهم ما كان عنده ، وأحياناً يعطي ما يجد في بيته من حلبي زوجته".

وقد كان موظفاً ، وكان يتلقى من الحكومة مرتبًا معقولاً ، لكنه كان لا يدخل منه شيئاً ل حاجاته ، فوصفه صاحب "أعلام الہدی" بأنه كان فقيراً وهو غني ، وزاهداً ومسكيناً ، وهو على منصب كبير ، وكان عمله على الآية الكريمة (لَنْ تَنَالُوا الْبَرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) <sup>٢</sup>

وحكى معاصروه من كراماته ، وزهرده ، وجوده وسخائه ، وتضحياته ، وعلو نسبته ، وتأثيره على النفوس ، ما لا يقبله العقل ، ويبدو مبالغ فيه ، ولكن الذين رووا هذه الروايات هم ثقات ، وهم من أهل الورع ، والأمانة في الرواية ، كذلك قصص إيمانه وثقته بوعد الله ونصرته ، ومحافظته على أوقاته ، وبطولته وجرأته الإيمانية ، وحسن بلائه في الجهاد ، والدعوة إلى الله.

توفي في برهان فور في ١٩ / ربيع الأول هسنة ١١٩ هـ ودفن هناك ، ثم نقل جثمانه بعد عام إلى رائ بربلي في تابوت ، ولم يتغير جسمه ، ويقول ابنه السيد محمد نور إنه كان كأنه توفي قبل ساعات ،

<sup>١</sup> - سورة الحشر: ٩

<sup>٢</sup> - سورة آل عمران: ٩٣

وقد انقضى على وفاته عام كامل، وكان للسيد محمد هدى ابناء، السيد محمد نور، والسيد محمد سنا<sup>١</sup>.

### السيد محمد نور بن السيد محمد هدى

السيد محمد نور هو جد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، كان يصل الرحم، ويسبق غيره في السلام، تهُمُّه أمور الفقراء والمساكين، ويعينهم، بعيداً عن العصبية والخوص فيما لا يعنيه، قوي الذاكرة، حاضر البديهة، رقيق القلب، خاشعاً الله، وكان متورعاً متزهدًا قانعاً في الحياة، مثل والده السيد محمد هدى، وجده السيد علم الله، يحتذر كل الاحتراز عن المشتبهات في المأكل والمشرب، في غاية من الحياء، مواطباً على التلاوة والذكر والدعاء والأعمال الباطنية، شجاعاً جواداً، بعيداً عن المبالغة في الكلام، نفوراً عن الكذب والغيبة، بل لا يحتمل ذلك من غيره.

قضى فترة في خدمة الأمير محمد أعظم بن السلطان أورنچ زيب عالمكير، لكنه رغم هذه الوظيفة في الديوان كان يعمل على الشريعة، ويختبئ عن تقليل التعظيم الزائد للأمراء والسلطانين والخضوع لهم، وكان دائمًا يحيي الأمير بتحية الإسلام "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته" وينصح الأمير بما فيه خير له، فقضى ١٤ عاماً، ولما علم ميل

<sup>١</sup>- وكان للسيد محمد سنا ابن كبير الشأن السيد محمد حياعنة الشيخ عبد الحفيظ الحسني من العلماء الراسخين، ووصفه بقوله: لم ير له نظير في زمانه في العفة والطهارة، والتقوى، والعمل بالعزيمة، وذكر قصته عن خدمته للخلق قائلاً: كان مجذوم في "نصير آبلاد" له رائحة كريهة ينفر عنه الناس ويتقنرون به فقام بمداواته ومعملة شؤونه وخلعه وعرض عليه الإسلام فشفى وأسلم، وربما حمل بعض المرضى المهجونين المزدريين من الكفار على أكتافه وعلجه ودعاه إلى الإسلام فشفه الله من المرضين، وإنه في آخر عمره أقام بالمدينة المنورة، وتوفي بها، ودفن بالبقعع عام ١١٦٨هـ.

الأمير إلى التشيع ترك الوظيفة، وعاد إلى وطنه.  
توفي في ٦ / ربيع الأول سنة ١٤٨ هـ ودفن في نصیرآباد.

### الشيخ أبو سعيد بن محمد ضياء الحسني

#### جد الإمام أحمد بن عرقان الشهيد من جهة الأم

هو السيد الشريف أبو سعيد بن محمد ضياء بن آية الله بن الشيخ الأجل علم الله الحسني البريلوي أحد العلماء الربانيين، وأحد خاصة أصحاب الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوi، ومن خلفائه الأجلاء، ولد ونشأ ببلدة رائي بريلي، وكان أبوه السيد محمد ضياء أحد الرجال المعروفي بالفضل والصلاح<sup>١</sup>.

كان كثير التقدير وكبير الاهتمام بازدهار الإسلام وعلو نجمه في هذه البلاد، وبقائه واستحكامه فيها، وكانت له مساع وجهود في توحيد صفوف المسلمين، وقد شوهد أنه دخل لظى الحرب ليصلح بين الفتنتين المتقائلتين من المسلمين، فكشف الله به شر الحرب ، فأبدى الإمام الدهلوi على هذا الحادث سروره واغباطه<sup>٢</sup>. وكان السلطان تيبو الشهيد حاكم ميسور (١١٦٣-١٢١٣هـ) الذي تصدى للتخلص من نفوذ الأخطبوط الإنجليزي في البلاد الهندية وأسرته يتصل بالشيخ اتصال استرشاد وسلوك ، وبابنه الشيخ أبي الليث أيضاً.

<sup>١</sup> - كتب الشيخ عبد الحي الحسني في كتابه "الإعلام": وقد استخلفه وأنابه والده السيد آية الله بن الشيخ علم الله حين توجه إلى "دكن" (جنوب الهند) فناب عنه في الدعوة إلى الله، وإصلاح النفوس وتربية الطالبين توفي في يوم الجمعة ١٢ رمضان سنة ١١٦٦هـ " ٦ / ٣٣٤".

<sup>٢</sup> - راجع "رجل الفكر والدعوة" ١٠٢٤، (رسالة السيد محمد نعمان إلى الشيخ أبي سعيد الحسني)

وكان شيخاً جليل الوقار، عظيم الهيئة، كريم النفس ، مسدي الإحسان، ومقرى الضيافان، متصلباً في التوحيد والسنة السننية ، متصدياً لها ، سافر إلى الحجاز سنة ١١٨٧ هـ و McKث هناك ستة أشهر بعقيدته الخالصة مع دعوته إليها ، واستفاد أيضاً من كبار علماءها في العلم والدين ، ثم رجع إلى الهند ، ودخل "مدراس" وأقام بها زماناً، ورزق حسن القبول في تلك الناحية ، وانتفع به كبار العلماء والمشايخ وأخذوا عنه في الهند ، والهجاز ، مات في تاسع رمضان سنة ١١٩٣ هـ في وطنه ببلدة رائي بريلي ، وقام ابنه الشيخ أبو الليث مقام أبيه في الإرشاد والتلقين ، وأقام بولاية "ميسور" زماناً طويلاً حتى توفي سنة ١٢٠٨ هـ . وقبره في كوريال بندربـ "منكلور" في ولاية كرناٹكا ، وكان خال الإمام أحمد الشهيد.

#### السيد محمد نعمان عم الإمام الشهيد

السيد محمد نعمان بن السيد محمد نور حفيد الشيخ علم الله الرائي بريلوي ، من العلماء الصالحين الأفذاذ ، لازم الشيخ ولی الله الدھلوي فاستفاض منه استفاضاً كثيراً ، وكان من أخص أصحابه . ولد السيد محمد نعمان بن محمد نور في نصیر آباد ، وقرأ الكتب الابتدائية في وطنه ، ثم سافر إلى لکناؤ ، وقرأ على الشيخ عبد الله الأمیتھوی ، وكان ينوي أنه بعد إكمال المرحلة الدراسية سيحصل الطريقة من والده ، لكنه توفي في طفولته ، فحزن حزناً شديداً على وفاة والده ، وعدم الاستفادة من تریته الروحانية ، فعاد إلى رائي بريلي ، ولازم صحبة الشيخ السيد محمد جي أصغر أولاد العالم الرباني الكبير الشيخ علم الله الحسني وأحب مسترشديه . وقضى مدة في صحبته ، فلما توفي السيد محمد جي في سنة ١١٥٦ هـ لازم صحبة ولده وخليفة

الشيخ محمد عدل المعروف بـ "الشيخ لعل" <sup>١</sup> ، وأخذ عنهما الطريقة، ثم سافر إلى مدن الهند المختلفة، واستفاد من علماء ومشايخ عصره، كان منهم الشيخ محمود رسن تاب الخور جوي أحد أصحاب السيد علم الله الحسني، والشيخ يوسف بن فتح محمد الأنباري وغيرهم.

ثم توجه إلى "برهانه" <sup>٢</sup> في عام ١١٧٥ هـ، وبaidu الشیخ احمد ابن عبد الرحيم المعروف بالشيخ ولی الله الدھلوي، وأقام عنده إلى وفاته في عام ١١٧٦ هـ ليستفيد من إرشاده وتوجيهه وتربيته.

ثم توجه إلى الحجاز في عام ١١٩٢ هـ للحج والزيارة، وبعد أداء الحج وزيارة الحرمين الشريفين سافر إلى القدس والخليل أرض الأنبياء الكرام ، فأصيب بمرض ذات الْجَنْبِ، وتوفي في ٥ / جمادي الآخرة ١١٩٣ هـ - ١٧٧٩ م، ودفن في حظيرة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام.

ومن مؤلفاته رسالته في منهج السلوك النقشبendi ، وكتاب في تراجم أعلام أسرته الحسنية وترجمة الشيخ علم الله الحسني "أعلام الهدى" ورسالة في ملفوظات جده الشيخ علم الله وغيرها من الرسائل والكتب.

<sup>١</sup> - كان الشيخ محمد عدل بن الشيخ محمد بن علم الله الحسني (م ١١٩٢ هـ) من كبار مشايخ عصره، استفاد منه خلق ، وكان منهم العلماء الكبار والمشايخ الأجلاء، وأنه أخذ عن أبيه وقرأ العلم على أخيه الشيخ محمد حكم (م ١١٥٠ هـ) ، وكان الشيخ محمد حكم عالمة زمانه، وصاحب التصانيف المهمة منها تفسير القرآن الكريم المسمى بـ "محكم التنزيل" بالعربية، و "تلخيص الصراح" في اللغة، ورسائل في الفقه والمواريث ، والبلاغة والنحو وغير ذلك .

<sup>٢</sup> - البلدة المجاورة لدلهي عاصمة الهند، ومن أعمال مظفر نغر ، كان الإمام ولی الله الدھلوي في ذلك الوقت نزيلاً هناك ثم انتقل إلى دلهي مريضاً وتوفي بها .

## السيد محمد عرفان والد الإمام أحمد الشهيد

كان السيد محمد عرفان حفيد السيد محمد هدى بن الشيخ الكبير علم الله الحسني - رحمهم الله تعالى - ولد في نصيرآباد، ونشأ في ظل تربية والده السيد محمد نور، وقرأ الكتب الابتدائية في بيته، والكتب الدراسية على علماء عصره، وأخذ الطريقة من مشايخ أسرته، وكان منهم الشيخ أبو سعيد، والشيخ محمد واضح ، والشيخ محمد عدل، وشقيقه الأكبر الشيخ محمد نعمان ، وهم من كبار مشايخ العصر، وكانت لهم صلات بالشيخ ولی الله الدهلوی ، إلا أنه لم يثبت تاريخياً أنه من كان منهم شيخه الذي لازم صحبته ، واستفاد منه أساسياً ، وقد ثبت أنه كان من الذين فازوا بدرجة الإجازة في التربية والسلوك ، وقد تاب على يده عدد كبير من الناس في وطنه في الهند ، والمناطق المجاورة ، وصلحت حياتهم ، وكان يسافر إلى المناطق المجاورة ، وخاصة لكتاؤللدعوة والإرشاد ، وإصلاح الناس ، وكان معروفاً بالجود والسخاء ، والتوكيل والقناعة ، والصبر والشکر ، والتوزع ، وتزوج بابنة شيخ وقته السيد أبي سعيد الذي كان من مسترشي الشیخ ولی الله الدهلوی ، رزق منها ثلاثة أولاد ، السيد محمد إبراهيم ، والسيد محمد اسحاق ، والسيد أحمد ، وأربع بنات ، فاعتنى بتعليمهم وتربيتهم ، وكان السيد أحمد أصغرهم.

توفي السيد محمد عرفان في عام ١٢١٤هـ ولم يتجاوز عمر السيد أحمد ١٤ سنة ، فتولى تربيته شقيقه السيد محمد إبراهيم ، والسيد محمد اسحاق<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> - أما الأخوات للإمام أحمد فكانت صاحبة النساء في حرم الشيخ معصوم أحد بن الشيخ محمد واضح الحسني ، وكذلك السيدة خنيفة بعد وفاة شقيقتها ، وتوفي السيد

## السيدة نجية أم الإمام أحمد بن عرفة

كانت السيدة نجية<sup>١</sup> بنت الشيخ أبي سعيد سيدة صالحة قانتة، نشأت في رعاية والدها المصلح الرياني الكبير، وكانت متورعة، عابدة زاهدة تحب الجهاد في سبيل الله، وقد حدث في طفولة السيد أحمد صراع في قرية مجاورة، فأراد السيد أحمد أن يخوض المعركة وهو حدث، فمنعه مربيته، وكانت السيدة تصلي، فلما فرغت من الصلاة، أُعربت عن امتعاضها على منع ابنتها من التوجه إلى موضع القتال، فأذنت له أن يذهب، وقالت له: اذهب يا بني فاشترك في الجهاد، ولكن عليك أن تصمد في ميدان القتال، ولا تول ظهرك، بل استقم وإلا فلا أرى وجهك إذا فررت من القتال، وبذلك نفخت روح الجهاد والشوق إلى الشهادة في قلب ابنتها الصغير، وكان ذلك الدرس الذي لم ينسه الإمام في حياته، وكانت وفاتها في عام ١٢٢٩ هـ (١٨١٤ م)، ودفنت عند والدها الشيخ أبي سعيد الحسني رحمهما الله، وفي ذلك الوقت كان السيد أحمد الشهيد في معسكر النواب أمير خان حاكم طوك<sup>٢</sup>.

معصوم أحمد سنة ١٢٦٤ هـ، وكان من وجهاء الأسرة وعلمائها، والحقيقة الأخيرة السليلة صالحة كانت في جرم السيد محمد مصطفى بن السيد محمد الثاني بن السيد العلامة محمد حكم الحسني، وتوفي السيد محمد مصطفى سنة ١٢٦١ هـ، وكان عالماً عالماً، وأصلاً جواداً، والأخت الكبرى كانت من بطن السليلة نقية بنت الشيخ السيد محمد معين شقيق السيد أبي سعيد الحسني المذكور، تزوج بها السيد عبد السبحان بن محمد عثمان بن السيد محمد نور، وكانت أم المجندين السيد أحمد على الشهيد والسيد محمد علي والسيد حميد الدين والسيد عبد الرحمن رحهم الله تعالى جميعاً.

<sup>١</sup> - عرفت بـ "ناجة" ذكره المؤرخ الأستاذ غلام رسول مهر في كتابه "السيد أحمد الشهيد" ص ٥٦، وجاء في بعض الروايات اسمها نجية وعافية".

<sup>٢</sup> - راجع : السيد أحمد الشهيد للأستاذ غلام رسول مهر ص: ٥٧

## الشقيقان للسيد الإمام

كان السيد محمد إبراهيم الشقيق الأكبر للسيد الإمام، وكان رجلا صالحاً رشيداً، توفي في ٤ / شوال سنة ١٢٢٤ هـ، وكان السيد محمد إسحاق الشقيق الثاني للسيد الإمام من كبار علماء عصره، قرأ الكتب الدراسية العالية على الشيخ عبدالقادر الدهلوi، وكتب الفقه والحديث على الشيخ عبد العزيز الدهلوi، وأخذ منه الإجازة في الحديث والطريقة، وكان متورعاً ومصلحاً كبيراً، وكان شاعراً وأديباً، وخطيباً مؤثراً، قضى حياته كلها في الدعوة والإرشاد، والتدريس والوعظ، وإصلاح الناس، والتأليف، نظماً ونشرها، توفي ٧ / جمادي الآخرة عام ١٢٣٤ هـ، ودفن ببلدة رائي بربلي في زاوية جده لأمه الشيخ الأجل السيد أبي سعيد، ووصفه الشيخ عبد الحفيظ الحسني في كتابه "الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام": أنه كان آية من آيات الله في التقوى، والعمل، وتأثير الوعظ، وقلة الأمل، وإثارة القناعة في الملبس والمأكل.

وما تتميز به هذه الأسرة العظيمة أن جميع المتسبين إليها اشتراكوا في الدعوة والإصلاح، واشترك عدد منهم في الجهاد، ونالوا شرف الشهادة.

## مزايا الأسرة

كان من مزايا هذه الأسرة أن أفرادها انتسبوا إلى الشيخ أحمد السرهندي وأصحابه، ثم الشيخ ولی الله الدهلوی، وأبنائه البررة، فجمعوا بين العلم والتربيۃ، والدعوة، والجهاد، والتورع، والزهد . فقد كان الشيخ محمد واضح، والشيخ أبو سعيد، والسيد محمد معین، والسيد محمد نعمان عم الإمام الشهید من مسترشدی الشيخ ولی الله الدهلوی وتلامذته، والشيخ قطب المدی بن الشيخ محمد واضح، والشيخ محمد إسحاق أخو الإمام الشهید من مسترشدی الشيخ عبد العزیز الدهلوی، والشيخ عبد القادر الدهلوی وتلامذتهم، فحصلت لهذه الأسرة الكريمة عصارة تعالیم الإمام السرهندي والإمام الدهلوی كلهما .

ولمعرفة الصلة القائمة بين هذه الأسرة والشيخ ولی الله الدهلوی نورد ما كتبه الشيخ ولی الله الدهلوی في رسالة له إلى الشيخ محمد واضح<sup>١</sup> بن الشيخ محمد صابر بن آیة الله بن الشيخ الأجل السيد علم الله الرائي بربلوي "إن الله سبحانه وتعالى قد خصكم بنعم عظيمة منها الجمع بين النسب العلوي الهاشمي والتمسك بعقيدة أهل السنة، وبين العلم والتقوى، والجلوس على مسند الأولياء الكرام، ثم

<sup>١</sup>- وهو من أجداد أم الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوی وأجدادنا، وكلنا عالماً حدثنا فقيهاً، أخذ الحديث عن الإمام ولی الله الدهلوی، ولبس منه الخرقة ، واستفاض أيضاً عن العلامة الكبير الشيخ نظام الدين الكنوی المعروف بـ بلا نظام الدين الفرنجی محلي، فبرز في الفضائل، ورسخ في العلوم حتى درس ، وأفاد، وجلس على مسند الإرشاد مقام أبيه الشيخ محمد صابر بن آیة الله الحسني، توفي في أوائل المائة الثالثة عشر من المجرة وكانت جلة الإمام أمد بن عرفان من جهة الأم شقيقة الشيخ محمد واضح الحسني .

الاتصال بالتواضع، وهو من الأضداد الذي لا يتفق إلا نادراً وناهيك فضلاً.

يقول الشيخ أبوالحسن الندوبي عن خصائص وميزات متوارثة في كتابه "في مسيرة الحياة":

"كلما أمعنا النظر في تاريخ أسرتنا القديم، وحدّقنا النظر في عهدها الأخير الذي عاصرته، وجدنا عدداً من الأمور المشتركة (Common Factors) لم تزل هي الغالبة في جميع أدوارها وعهودها، ويقتضي منا الإنفاق أن نشير إليها، ومهمما تلمست قلبي وعقلي، وحاسبت نفسي، لا أجد في ذكرها وتحديدها من عصبية للأسرة أو اندفاع عاطفي (وهما مما يصعب التحرر منها والتخلي عنهما) والعلم عند الله تعالى، وهي كما يلي:

١ - في ضوء ما حفظ من تاريخ الأسرة، وما اطلع عليها، من أحوالها وأوضاعها يمكننا القول بأن هذه الأسرة قد حافظت على نسبة إلى حد المبالغة والمغالاة الذي لم تتكلّف الشريعة به، ولم يعتبر شيئاً ضرورياً في كثير من البلدان لا سيما البلدان العربية (التي نزحت منها هذه الأسر للأشراف وغيرهم من الأسر الكريمة)، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى جو الهند وهيكلها الطبقي والاجتماعي، وعاطفة الحفاظ على ميزات الأسرة وخصائصها وتقاليدها الموروثة، وصيانة العرق والدم في هذه البلاد التي يسكنها الأكثريّة غير المسلمة، فشعرت معظم الأسر والقبائل العربية الأصل بهذه الضرورة، ووصف ذلك بالغالطة والبالغة، لأن هذه الأسرة لم تصاهر إلا في (الأشراف) (ذرية الرسول صلى الله عليه وسلم من أولاد الحسن أو الحسين رضي الله عنهما) أو في بعض الأحيان من يسمون في الهند بـ"الشيوخ" (أى البكرىن والعمريين، والعثمانيين، والعلويين) من يعرف نسبهم، وإذا

صاهر أحد منهم في غير "الأكفاء" فإن الأسرة مع اعتباره من أفرادها ومعاملته بالمساواة والأخوة الدينية ، قطعت علاقات المصاهرة معه ، وصرحت في الأنساب أنه انحرف عن القاعدة المقررة في الزواج<sup>١</sup> ، وتناقل ذلك أفراد الأسرة ، وتوارثوا العلم به .

وقد أفاد ذلك من ناحية الحفاظ على الخصائص والتقاليد السُّلالية إلى حد كبير ، ولاسيما بقيت العقائد الصحيحة محفوظة لم تنحرف عن الجادة ، ولم تتمكن البدع والأعمال الشركية من التسلل والتسرب ، ثم بلغت المغالاة في هؤلئة إلى حد أن ضاقت الدائرة جداً ، وانحصرت في حدود ضيقـة ، فانتـج ذلك تأثيراً سيئاً على الصحة البدنية في الأجيال اللاحقة وملكاتهم العقلية والفكـرية ، وتـوارثـتـ الأسرة بعض العلل والأمراض ، ويدركـناـ ذلكـ بـوصـيـةـ مـريـيـ الأمـةـ الكـبـيرـ سـيـدـناـ عمرـ بنـ الخطـابـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ التـيـ أـوـصـىـ بـهـ إـحـدـىـ الـقبـائـلـ الـعـرـبـيةـ ،ـ فقدـ شـاهـدـ عمرـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ أـنـ أـفـرـادـ تـلـكـ الـقـبـيلـةـ نـحـافـ قـصـيرـوـ الـقـامـةـ بـصـورـةـ مـتـمـيـزةـ ،ـ فـسـأـلـهـمـ (ـمـاـ لـكـمـ ضـوـيـتمـ؟ـ)ـ قـالـوـاـ:ـ قـرـبـ أـمـهـاتـنـاـ مـنـ آـبـائـنـاـ يـاـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـينـ)ـ فـقـالـ لـهـمـ (ـأـغـرـبـوـاـ أـنـجـبـوـاـ)ـ وـهـنـاكـ مـنـ الشـوـاهـدـ وـالـدـلـائـلـ فـكـلاـ الطـرـفـينـ ،ـ وـمـنـ التـجـارـبـ الـمـتـارـضـةـ مـاـ لـاـ تـدـعـ مـجـالـاـ لـأـنـ تـؤـخـذـ هـذـهـ كـلـيـةـ مـطـرـدـةـ فـيـ كـلـ عـهـدـ مـنـ الـعـهـودـ وـفـيـ كـلـ فـرـةـ مـنـ الـفـرـاتـ .ـ

٢ - يطلعنا تاريخ الأسرة القديم والمعاصر على حقيقة لها شأنها ، وهي أن هذه الأسرة منذ قدوتها إلى الهند (وقد تم ذلك بورود الأمير الكبير السيد قطب الدين محمد المدنی مؤسس هذه الدار في الهند في أوائل القرن السابع الهجري كما مر<sup>٢</sup>) إلى عهدها هذا لم تزل متمسكة

<sup>١</sup> انظر "سيرة السادات" بلدي السيد فخر الدين بن عبد العلي الحسني .

بعقيدة التوحيد الخالص، بعيدة عن الأعمال الشركية، متوجبة للبعد والمحدثات، مصونة من تأثير العقائد الشيعية<sup>١</sup>، وكانت الدعوة إلى التوحيد واتباع السنة المطهرة شعارها الدائم وميزتها البارزة.

ومن الأدلة على ذلك أنه لا يوجد لأحد من العلماء والصالحين من هذه الأسرة الذين كانوا من كبار مشايخ عصرهم، وكانوا يعدون من الأولياء والصالحين المعروفين قبر مخصوص، ولا توجد على قبر أحدهم قبة ولا عمارة، وإذا وجد هناك قبر مخصوص أو حائط يضم عدة قبور بصورة استثنائية فذلك للحفاظ من الفيضانات، أو من صنع بعض المريدين والمحبين، لا من صنع أفراد الأسرة، ولم يسمع كذلك في تاريخ الأسرة بالاحتفال بمناسبات الميلاد أو الاجتماع على القبور، أو العمل بالطقوس والتقاليد التي راجت في الهند، واتخذها الناس شعاراً على قبور الأولياء والصالحين، أما القبور التي هي في قرية نصيرآباد، بمديرية - رائي بريلي - مركز هذه الأسرة الأول، وبداراة الشيخ علم الله - على مقربة من مدينة رائي بريلي - المركز الثاني، فهي تشبه قبور جنة القيع في المدينة المنورة، وجنة المعلقة في مكة المكرمة في عهد المملكة السعودية، فهي قبور طينية عاديّة لا كتابة عليها، ولا لوحة ولا شيء من المعالم، ولا تزال الأسرة - حفظها الله وحمها من

<sup>١</sup> قد تشيع عدد كبير من الأسرة الشريفة الأستقراطية التي تنسب نفسها إلى ذرية الرسول، لرغبة في الإقطاعات التي تقطعها الأسرة الشيعية الحاكمة في الولاية الشمالية، أو بتأثير المصاهرة في البيوتات الشيعية الإمامية، وقد حفظ الله الأسرة الحسينية القطبية من هذه المساومة، وقد جاء في بعض رسائل الإمام الذهلي الشيخ أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الذهلي إلى بعض شيوخ هذه الأسرة (إن وجود الشريف السُّنِي في البيوتات الكريمة أصبح من النادر، وقد امتازت بذلك أسرة السيد علم الله الحسيني).

الشروع والفتن - في حدود علمي - رغم ما تكون فيها من علات ومواطن ضعف - بعيدة عن الأشراف والبدع والمحاذات إلى هذا اليوم ، والغيب عند الله ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً.

٣- يستفاد من كتب التراجم والأنساب ، وكتب التاريخ المستفيضة لهذه الأسرة أن خصيصةها المميزة التي ما زالت في مختلف أدوارها وعهودها ، هي خصيصة الرجلة والحمية الدينية وعاطفة الجهاد التي يمكن أن تعبر عنها بالجملة كلمة "الفتوة".

وقد كان من نتيجة ذلك أن ظهر في هذه الأسرة مرات على مدار التاريخ قادة كبار ، ورجال أبطال من أولي العزم الأكيد والهمة العالية ، قاموا في عهودهم بالجذب والجهاد ، وخاضوا معارك حرية ، وسعدوا بنعمة الشهادة ، فقد شارك ثلاثة من أبناء الشيخ علم الله في الجهاد ، واستشهد إثنان من أحفاده السيد عظيم الدين بن السيد آية الله ، والسيد محمد جامع بن السيد محمد أحسن بن السيد آية الله ، وأحد أبناء أخيه وختنه السيد عبد الرحيم بن السيد هداية الله في معركة الجهاد<sup>١</sup>.

وتغريد القصص التي تناقلها أفراد الأسرة والكتب التي ألفت في حياة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد : أن السلطان تيو الشهيد الذي كان يصدق عليه قول العلامة الدكتور محمد إقبال : (إنه السهم الأخير في كنانة مسلمي الهند) والذي كان آية في غيرة المسلم ، وفراسة المؤمن ، وحمية المجاهد الإيمانية ، والذي آثر أن يعيش كالأسد لحظة على أن يعيش كابن آوى قرناً كاملاً<sup>٢</sup> ، وبين وجهه بسعادته بالشهادة

<sup>١</sup> انظر "تذكرة الأبرار" و "سيرة السادات" (هما بالفارسية) و "سيرة السيد أحد الشهيد" (بالأردية) ج ١، ص ٩٤-٩٣

<sup>٢</sup> كلماته المأثورة التي رددتها المؤرخون واستشهد بها مرة الزعيم غاندي إعجاباً وتقديراً.

في معركة "سرنغابتن" الخامسة ضد الإنكليز، وبيض وجوه المسلمين وحُمّى عزهم ومجدهم، كان هذا السلطان الشهيد وأسرته كلها على اتصال بالشيخ أبي سعيد، وابنه الجليل الشيخ أبي الليث - الذي كان خال الإمام أحمد بن عرفان الشهيد - اتصال بيعة واسترشاد وسلوك.

وقد بقيت هذه العاطفة الجهادية في هذه الأسرة متجلية واضحة إلى أواسط القرن الثالث عشر الهجري، ولا عجب إذا كان لها دور يذكر في تنشئة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد تنشئة عقلية وفكرية خاصة، وتكون سيرته وحياته على النحو الذي عاشها، ولقد كان من نتائجها أن اشترك أفراد هذه الأسرة ذوو قربى الإمام الشهيد في حركته الجهادية بشوق ورغبة وحماس، فكان في رفقة السيد في سفره للجهاد ثلاثة من أبناء أخته، وهم السيد حميد الدين، السيد أحمد علي، والسيد عبد الرحمن، وأحد أسباطه السيد حسن مثنى بن السيد أحمد علي، وعدد من أفراد أسرته شخص منهم بالذكر السيد أبو محمد، والسيد أبو الحسن التصيري آبادي<sup>١</sup>، وقد لقي منهم السيد أحمد علي وابنه البافع الناهض السيد حسن مثنى، وإثنان من أقربائه الآخرين السيد أبو محمد، والسيد أبو الحسن الشهادة ببطولة نادرة وشجاعة باهرة.

وقد كانت الأسرة بجملتها تؤيد هذه الحركة وتواлиها، وقام حي "القافلة"<sup>٢</sup> في مدينة "طوك" على أساس هذه العلاقة الحركية والعاطفة

<sup>١</sup> - بعضهم خاضوا معارك حربية في بلادهم وسعدوا بتحمة الشهادة كالسيد محمد مقيم بن السيد محمد أمين التصيري آبادي، وشقيقه السيد محمد سليم سنة ١٢٤٣ هـ (المؤلف)

<sup>٢</sup> - سمعت الحارة بالقافلة، لأن فل المُجاهدين تحت راية السيد في الحدود الشمالية، الغربية، الذي عاد إلى الهند على دعوة حاكم إمارة تونك الأمير وزير الدولة تدير هناك وألقى رحله.

الجهادية، ولم تزل شرارة هذه العواطف مشتعلة تحت الرماد، وقد كانت هذه العاطفة والحمية الدينية التي حملت أحد أبناء السيد أحمد على بن أخت الإمام الشهيد السيد أبي القاسم الطوكي، أن يسجل فتوح مصر وبهنسه في منظومة كبيرة باسم "قمقام الإسلام" كما دفعت حفيد السيد حميد الدين بن أخت السيد أحمد الثاني وهو السيد عبد الرزاق "كلامي"<sup>١</sup> بن السيد محمد سعيد، ابن السيد حميد الدين، أن ينظم ملحمة مؤثرة مثيرة لفتح الشام باسم "صمصام الإسلام" الذي يحتوي على خمسة وعشرين ألف (٢٥٠٠٠) بيت.

وكانت عواطف هذه الأسرة وميلها في الفتنة المائلة عام ١٨٥٧ م مع أولئك المواطنين الذين كانوا على حرب ضد الإنكليز، وأدى ذلك إلى أن لجأ أحد أفراد الأسرة من أعيانها ووجهائها وهو جدي السيد فخر الدين إلى الاختفاء والتستر في بعض القرى لمدة طويلة<sup>٢</sup>، وقد آثر أفراد الأسرة في تلك الفترة أن يتوظفوا في الولايات الهندوسية بينديل كهند مثل "ناكود" و"ريوان"، أو الولايات الإسلامية كحيدر آباد، وبهوفال، وطونك على أن يتوظفوا في الحكومة الإنكليزية ويعاونوا معهم.

٤ - يقدر من دراسة تاريخ الأسرة وكتب التراجم والأنساب المعتمد عليها أن هذه الأسرة ظلت على اتصال متين بأي وجه من الوجوه بـ "الشريعة والطريقة" كما يقولون، أي بالناحتين العلمية

<sup>١</sup> لقب شعري على عادة شعراء إيران والهند.

<sup>٢</sup> وكان السيد محمد أسلم الطبيب من الذين استشهدوا في تلك الفتنة المائلة، انظر "خانواره علم الهي" (كتاب في تراجم أعمال أسرة الشيخ علم الله الحسني الرائي بريلوي) للشيخ محمد الثاني الحسني، ط : مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد برائي بريلي (المؤلف)

المضحة والروحية والسلوكية، فإذا كان يظهر فيها العلماء الراسخون في جانب، يظهر المشايخ الروحيون في جانب آخر، ومنهم من وصلت سلسلته إلى الأصقاع النائية البعيدة، وتعلق بها كبار المشايخ الربانيين والشيوخ المربين، كما أن أفراد هذه الأسرة (الذين كانوا يظ茅ون إلى تزكية النفس والتكميل الروحي) لم يتعدوا لحظة في الرجوع إلى مشايخ عصرهم من أصحاب الفضل والكمال والعقيدة السننية الصحيحة، والدعاة إلى الالتزام بالسنة، فاستفادوا منهم وتربيوا على أيديهم وجمعوا بين تحصيل العلم وتزكية الروح، ولم يمنعهم من ذلك أبداً - الإدلال بالنسب أو الشعور بالكرياء أو الحياء، ولم يبالوا في سبيل ذلك يُبعد الشقة وطول العنااء والمسافات الشاسعة، ولذلك فإن جميع أفراد الأسرة بعد دور الإمام السرهندي التجديدي والإصلاحي في الهند <sup>١</sup> اتصلوا بخليفة الجليل السيد آدم بن إسماعيل البنوري (١٠٥٣هـ)، كما أنهم لم يزالوا على اتصال بأبناء المجدد السرهندي وأحفاده للاستفادة منهم والرجوع إليهم، ثم اتصلت الأسرة بعد وفاته بالإمام ولی الله الدھلوی (م ١١٧٦هـ) وابنه الجليل الأکبر الشیخ عبد العزیز الدھلوی، وأصبحت من حملة أفکاره وآرائه ودعوته وإصلاحه، وجنت نسخها في سبيل ذلك .

٥ - ويفيد تقسي أحوال هذه الأسرة دراسة حياة أفرادها أيضاً أنها لم تكن في أي فترة من فترات التاريخ ذات ثروات طائلة وأموال سائلة، بل قضت أكثر حياتها في التقشف والضنك والمکابدة، وأكثر ما تيسّر لأحدهم هو قدر الكفاف لا ينقص ولا يزيد، ولعله من ثمرات الدعاء النبوی الکريم الذي دعا به صلی الله عليه وسلم لآلہ قائلاً :

<sup>١</sup> اقرأ كتاب المؤلف "الإمام السرهندي" طبع دار القلم الكوريتية .

"اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً".

هذه هي بعض الخصائص والميزات المشتركة بين أفراد الأسرة التي حاولنا تحديدها بطريقة الاستقراء، والتبع للأمثلة، ولا يمكن الادعاء في تحديدها وتعيينها بالحياد التام، والتحرر المطلق مائة في المائة من الحب الكامن في اللاوعي، أو التفكير الناشئ، الممزوج بالرغبة والاتجاه النفسي، فكثيراً ما تخلق الرغبة والرضا صوراً وأشكالاً لا وجود لها، ورضي الله عن الإمام الشافعي إذ يقول:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة  
كما أن عين السخط تُبدي المساوايا<sup>١</sup>



<sup>١</sup> - رواه مسلم في كتاب الزهد والرفاق .  
- في مسيرة الحياة للشيخ الندوبي ، ج: ١ ، ص: ٤٠ - ٣٣ ، ط: دار القلم دمشق .



الباب الثالث

الإمام أحمد بن عرفان الشهيد



## الفصل الأول

### من الولادة إلى التربية

#### مولده ونشاته

ولد السيد أحمد بن عرفان بن محمد نور بن محمد هدى بن السيد علم الله ١ في دارة الشيخ علم الله المعروف الآن بـ "تكية كلان" بمديرية "رائي بريلي" في صفر سنة ١٢٠١هـ (نوفمبر ١٧٨٦م) في بيت علم وورع ٢ ، فقد كان والده وعمه وخاله وجدها من كبار الصالحين وأهل العلم ، نشأوا في تربية الشيخ ولی الله الدهلوی ، ومشايخ أسرتهم كانوا دعاة مصلحین ، ومجاهدين في سبيل الله ، يتولون

١- ابن الشيخ فضيل بن الشيخ محمد المعظم بن القاضي أحمد بن القاضي علاء الدين بن القاضي قطب الدين محمد الثاني بن صدر الدين بن زين الدين بن أحمد بن علي بن قيام الدين بن صدر الدين بن القاضي ركن الدين بن الأمير نظام الدين بن شيخ الإسلام الأمير قطب الدين محمد المدنی بن رشید الدين أحمد بن يوسف بن عيسى بن حسن بن أبي الحسن على بن أبي جعفر محمد بن القاسم بن أبي محمد عبد الله بن الحسن الأعور الجواد نقیب الكوفة بن محمد الشانی ابن أبي محمد عبد الله الأشتر بن محمد صاحب النفس الزکیة بن عبد الله الحضر بن الحسن المثنی بن الحسن سبط النبي صلی الله عليه وآلہ وسلم.

٢ - وصرح الأستاذ غلام رسول مهر في كتابه "السيد أحمد الشهید" أنه ولد في السادس من صفر المظفر ١٢٠١هـ (٢٩/من نوفمبر ١٧٨٦م) ، وذلك يوم الإثنين .

مناصب القضاء، والإرشاد، وكانوا منابر العلم والعرفان، وكان أخوه السيد محمد إسحاق من كبار العلماء، درس العلم في "لكتناؤ"، ثم توجه إلى "دلبي"، وقرأ على الشيخ عبد القادر الدھلوی، وبرع في الفقه والحديث، ثم أخذ الإجازة في الحديث من الشيخ عبد العزيز الدھلوی، وقضى عمره في التدريس والإصلاح.

فلما بلغ من العمر السنة الـ ١٧ تحقق بأحد الكاتيب كأبناء الأشراف، وكان والديه السيد محمد عرفان وأخوه السيد إبراهيم والسيد إسحاق يهتمون بغایة الاهتمام بتعليمه، ويراعون نشاطاته ويرشدونه، وحفظ بعض أجزاء القرآن الكريم، وتعلم الكتابة إلا أنه كان أكثر اهتماماً بالتمرينات والألعاب التي تتصل بالفروسية والتربية البدنية ، كان الجهد كان همّه المنشود وهدفه منذ طفولته ، فقد نشأ على قصص الجناد والبطولة في مهد أمه، وكانت الظروف والأحداث المفعمة التي كانت تحدث في المناطق المجاورة والصراعات التي كانت تقع بين المسلمين وغير المسلمين تقلق باله، وتثير غيরته، وحميته الدينية، فكانت تشغل باله أكثر من العكوف على التعلم والانصراف الكامل إليه .

#### دراسة الابتدائية

أغفل المؤرخون مراحل تعلمه، وركزوا على انصرافه إلى الألعاب الرياضية، والرياضة البدنية، والفروسية، وشغفه الزائد بالجهاد والاستعداد له ، الذي كان قد غلب عليه في آخر أيام حياته ، وحاول البعض إثبات كونه أمياً، لكن الروايات التاريخية المختلفة عن كفاءاته العلمية وصلاحياته الذهنية لا تدع مجالاً للشك أنه درس المقررات الدراسية في ذلك العصر بصورة غير نظامية في "رأيي بريليسي" و"لكتناؤ" و"دلبي" ، وشهد معاصروه وزملاؤه في الدرس أنه كان في متنه الذكاء،

وكان لديه قابلية فائقة للقبول والفهم لما يلقى عليه من الدروس ، وقد تعلم الفارسية والعربية ، وكان يفهم كتب الحديث والقرآن الكريم ، وله بعض رسائل في تفسير سورة الفاتحة ، ورسالة في الصلاة فسر فيها السور والأدعية التي تقرأ في الصلاة ما يدل على فهمه الدقيق لغة العربية ، كما تفيد بعض الروايات أنه حفظ قدرًا كبيراً من الشعر .

ويقول صاحب أمير الروايات أمير شاه خان نقلًا عن أستاذه ميان جي محمدى أنه قال : إنه يدرس كتاب "الكافية" في النحو ، ويبدأ السيد أحمد "الميزان" وبعد مدة قليلة لحق به في الكافية ويبدأ يقرأ المشكاة على الشيخ عبد القادر الدهلوى<sup>١</sup> ، وتعلم من تفسير القرآن الكريم ، وكان يستشهد بالأيات والأحاديث النبوية في كلامه بسهولة تامة ، وبين النقط الدقيقة للشريعة الإسلامية.

#### شفهه الزائد بالألعاب الفروضية

ذكر الشيخ أبو الحسن علي الحسني التدوى نقلًا عن مصادر موثوق بها في الأسرة "أن الشيخ أحمد كان له شغف زائد بالألعاب الرياضية منذ طفولته وخاصة الألعاب التي تبني قوة الجسم ، وأحياناً كان يقسم أصحابه من الأطفال و يجعلهم فريقين ، ويهاجم أحد الفريقين الفريق الآخر .

ولغبة حب الجهاد في سبيل الله كان السيد أحمد يجري تمرينات مضنية ، ويعود نفسه على تحمل الشدائد ، فكان يقوم بتمرينات شاقة للرياضة البدنية عدة ساعات ، وتعلم خلال هذه التمارينات القتال

<sup>١</sup> - هو العالم الجليل المصلح الكبير عبد القادر بن الإمام ولي الله الدهلوى ، كان من كبار المخلصين والعلماء الربانيين ، وهو أول من نقل معانى القرآن الكريم إلى لغة "أردو" الفصيحة ، ونفع الله بهذا العمل خلائق كثيرة ، وصحت عقائدهم وأخلاقهم .

بالسيف ، والرماح ، والسهام ، وإطلاق النار من البندقية ، وبرع في إصابة الهدف ، وقد كان يحمل أثقل الأشياء ، وتعلم السباحة أيضاً من الشيخ عليم الله الدهلوi<sup>١</sup> وتمهر فيها.

### رحلته إلى لكتناؤ<sup>٢</sup>

لما بلغ السيد أحمد السابعة عشرة من عمره توجه مع جماعة من أقاربه وأحبائه إلى "لكتناؤ" ، وكانت هذه الجماعة تشتمل على سبعة أشخاص ، ولم يكن لدى هذه الجماعة إلا فرس واحد ، وكانوا يتناوبون ركوبها ، وأثر السيد أحمد أن يسافر راجلاً ، فقطع المسافة كلها وهي ثمانون (٨٠) كيلو متراً راجلاً ، وحمل في بعض الأحوال أمتعة أصحابه ، وكانت "لكتناؤ" عندئذ تحت حكم التواب سعادة علي خان خلف التواب شجاع الدولة ، كان التواب ذا همة عالية وقدرة إدارية فائقة ، لكن كان الوضع الاقتصادي سيئاً للغاية ، فقد كانت البطالة فاشية والجهل سائداً ، والجرائم منتشرة ، ويواجه السكان المؤس والشقاء والحرمان إلا من كان يشغل مناصب عالية ، أو يملك إقطاعات ، أو يشتغل بالتجارة.

وتفرق جميع رفقة الذين جاءوا إلى لكتناؤ طلباً للرزق ، وحصل بعضهم على وسائل الرزق ، أما السيد فقد كان ضيفاً على أحد الأثرياء الذي كان يضم لأسرته احتراماً وإجلالاً ، فكان السيد

١ - كان من أشهر وأشهر سباحي دلهي عاصمة الهند .

٢ - لكتناؤ مدينة العلم والأدب والثقافة كانت عاصمة إمارة أوده (OUDH) في الولاية الشمالية في آخر أيام الدولة المغولية ، كانت تحكم فيها أسرة إيرانية الأصل شيعية الذهب ، استقلت في أوائل القرن الثالث عشر المجري ، وانقرضت هذه الحكومة في سنة ١٨٥٧ م بالاحتلال الإنجليزي ، وكان شاه غازي الدين حيدر الشيعي ملك البلاد حين زار السيد لكتناؤ ، ومعتمد الدولة آغا مير رئيس الوزراء والآن هي عاصمة الولاية الشمالية في الهند .

أحمد كلما ورد إليه غداً وقدمه إلى أصحابه، وأثر أن يأكلوه منه، ويكتفي هو بما يعدونه من طعام خفيف.

قضى السيد أحمد أربعة أشهر في هذا الحال يخدم الناس، ويدعوهم إلى الخير، ويتحمل المشاق، وذات يوم توجه والي لكتاف للسيد إلى منطقة جبلية، ورافقه كذلك مضيف السيد أحمد فصحبه السيد أحمد أيضاً مع رفقائه.

إلى دلهي ١.

وفي هذه الرحلة خطر بيد السيد أحمد أن يسافر للإستفادة العلمية والدينية من أبناء الشيخ ولی الله الدهلوی كالشيخ عبد العزیز، والشيخ عبد القادر الدهلوی، وقد كان أخوه الأکبر السيد محمد إسحاق قد أقام مدة في دلهی، واقتبس من معارف الشيخ عبد العزیز،

١ - "دلهی" (Delhi) قاعدة بلاد الهند، وهي المدينة العظيمة الشأن الفخيمة الجامعة بين الحسن والحسنة فوق ربعة على ساحل جناته فيها الأبنية القديمة التاريخية الفاخرة والقلاع التي لا يوجد لها نظير، منها "القلعة الحمراء" فهي من عجائب الدنيا، "الجامع الكبير" و"منارة عظيمة" ارتفاعها ٢٤٢ قدمًا، وهي منارة مسجد "قوة الإسلام" والصحيح كما يقول الشيخ عبد العزیز الدهلوی رحمه الله يا من يسائل عن "دلهی" ورفعتها على البلاد وما حازته من شرف إن البلاد إماء وهي سيدها لأنها درة والكل كالصدف فاقت بلاد الورى عزًا ومنقبة غير الحجاز وغير القدس والنجل وأول من جعلها دار ملکه "قطب الدين أيك" بعد فتحها سنة تسعة وثمانين وخمس مائة هجرية .

وفي تاريخ مدينة "دلهی" كتاب بسيط باسم "آثار الصناديد" للسيد أحمد بن المتقى الدهلوی مؤسس جامعة علي جراه الإسلامية وكتاب آخر "دلهی اور اس کے اطراف" (للشيخ عبد الحی الحسني) طبعتها أکادمیہ اردو بدھی، وللاظلاع على مدن الهند وأثارها يراجع كتاب "المهد في العهد الإسلامي" للعلامة الشريف عبد الحی الحسني .

ويرع في الفقه والحديث والإصلاح الباطني، ونال الإجازة منه، وكان جده من جهة الأم الشيخ أبو سعيد الحسني البريلوي من مسترشيدي الشيخ ولد الله الدلهلي وأنجب تلامذته، وكان أعضاء أسرته الآخرون من أعمامه وأخواه أيضاً قد نهلوا من هذا المنهل العذب، وقد كانت دلهي عامرة بالعلماء والمشايخ، كان يؤمهم الناس من كل حدب، ويسعدون في العلوم والمعارف، ويعودون إلى أوطنهم، حاول السيد أحمد أن يقنع رفقاء على أن يرافقوه في هذه الرحلة العلمية، لكنهم كانوا منهمكين في كسب الرزق، ولم يرافقوه، فسار وحده.

قطع السيد أحمد المسافة كلها من "لكتاؤ" إلى "دلهي" راجلاً يخدم المسافرين، يتحمل الظماً والجوع حتى نسبت قدماه بالمشي الطويل على الأقدام.

### في حضرة الشيخ عبد العزيز الدلهلي

وصل السيد أحمد إلى دلهي، وتوجه إلى مجلس الشيخ عبد العزيز الدلهلي، فسأله عن سبب رحلته، فقال: إنه قادم من رائي برييلي لطلب العلم، فسألته هل يعرف الشيخ أبي سعيد والسيد نعمان، فقال: الشيخ أبو سعيد جدي من جهة الأم، والشيخ نعمان عمي، فعائقه وقربه إليه، واعتنى به اعتماءً بالغاً، وأنزله في منزل شقيقه الشيخ عبد القادر وأوصاه بالاعتناء به.

أقام السيد أحمد في حجرة من المسجد الأكابر آبادي، واشترك في حلقات الدرس فيه، وكان الشيخ عبد القادر الدلهلي يدرس فيه، وبعد وفاته تولى أخيه الشيخ رفيع الدين الدرس فيه، وكان هذا المسجد بمثابة دار العلوم في دلهي، وكان مركزاً كبيراً للإشعاع العلمي،

وقد شيدته الملكة إعزاز النساء زوجة الإمبراطور شاهجهان في عام ١٦٥٠هـ (١٦٥٠م) وسمى المسجد بلقبها "أكبر آبادي" ، وقد هدم الإنجليز مبني المنطقة التي كان يقع فيها المسجد فتهدم المسجد أيضاً، وأنشأوا محله حديقة ، ونصبوا فيها تمثلاً لأحد القادة الإنجليز.

أقام السيد أحمد في هذا المسجد ، وبدأ يدرس في حلقة الشيخ عبد القادر الدهلوبي ، وطبقاً لمؤلف "الأرواح الثلاثة" درس كتب النحو والحديث ، وكان السيد أحمد عندما يقرأ الكتاب تغيب أحياناً الحروف عن عينيه فجأة ، فلما سمع ذلك الشيخ عبد العزيز الدهلوبي قال : إنه لا يحتاج إلى الكتاب فإن الله سيزرقه العلم من عنده ، وهكذا كان ، فقد أتى السيد أحمد من فقه القرآن والحديث ، فوق ما كان يحمله كبار العلماء ، وكان له ذوق خاص ، فقد كان أحياناً يفسر ويشرح معاني الحديث ، وبين مكانته العلمية التي تحار عنده عقول العلماء كالشيخ إسماعيل والشيخ عبد الحي ، ويقول السيد جعفر علي النقوي الحسيني الذي حضر حرب "بالاكوت".

"كان السيد أحمد قد أمر بأن يقرأ نصل من "المشكاة" ١ بعد صلاة الصبح والظهر والعصر ، وكان الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدهلوبي يقرأ من هذا الكتاب ويشرح معاني الحديث ، فكان السيد أحمد يشرح أحياناً بنفسه وبين حكمة الحديث وأسراره بعد العصر حتى غروب الشمس".

ويقول الشيخ جعفر على : "كان السيد أحمد يوازن على

١ - هي مشكاة المصباح للشيخ ولد الدين الخطيب التبريزى ، وهي من كتب الحديث ذات قيمة حظيت بالقبول والاختيار درساً وشرحاً ، وفي شبه القارة الهندية بصفة خاصة ، فقد دخلت في المناهج الدراسية ولا تزال تدرس في سائر المدارس الدينية .

مطالعة المشكاة، وكان لا يتردد إذا وجد فيه لفظاً مشكلاً في أن يراجع من يجلس بجواره، أو يمر به من أهل العلم.

وقد شرح السيد معنى العلم والعلماء، وقد كان الشائع في ذلك العصر أن علم المعقولات هو العلم، وان العقوليين هم العلماء، وقد سأله أحد المسترشدين أن بعض المشايخ اشترطوا العلم لمن يتولى منصب الإرشاد فقال:

"ليس معنى العلم أن يقرأ العالم "صدراً" و "الشمس البارزة" ١ إن العلم هو معرفة الله، وعلم ما يرضاه الله ورسوله، فإن أبا بكر الصديق وعمر الفاروق لم يقرأا الهدایة وشرح الوقایة ٢، وإن أقوال هؤلاء الهدامة للدين هو موضع الاستشهاد لدى هؤلاء الفقهاء والمؤلفين ومحك الرائق والصحيح".

فالعلم الصحيح هو معرفة ما يرضي الله، وبقية الأمور هي تابعة للعلم وزينة، وإنما العالم هو من كان عمله طبقاً لعلمه ، وحياته صورة لعلمه، كذلك كانت حياة السيد أحمد تجسيداً لعلمه، ولم يكن هو مصداقاً لعلمه، بل كان يحرص على أن يصبح كل من اتصل به - -

١ - "صدراً" و "الشمس البارزة" هما من الكتب في العلوم الحكمية يحملان صيتاً ذاتياً، وكان العلماء وأساتذة الفن يعتنون بهما اعتناء كبيراً، ويقيسون بمعروفهما العلم والنبوغ ، قررا في المناهج الدراسية في الهند من القرن الحادى عشر المجري ، والشمس البارزة للعلامة محمود بن محمد الجونفوري (م ١٠٦٢هـ) له شروح كثيرة لعلماء الهند أما "صدراً" فالمراد به "شرح هداية الحكم" للعلامة صدر الدين الشيرازي (م ١٠٥٠هـ) وهو كتاب يعرف بـ "صدراً" في الأوساط الدراسية .

٢ - "هداية" للشيخ العلامة برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني (م ٥٩٣هـ) ، و "شرح الوقایة" لصدر الشریعة عبید الله بن مسعود كتابان معروfan في الفقه ، وهما من الكتب الدراسية القيمة الخالدة التي لا تزال مقررة في مناهج المدارس الدينية والجامعات الإسلامية في شبه القارة الهندية وفي أفغانستان وتركستان طوال قرون .

بصيغة العلم الرباني، وينفح فيه روح العلم الحقيقي الذي ينبع من معرفة الله، واتباع رضوانه في كل عمل، وجاهد من أجل هذه الحقيقة التي كانت نصب عينه وغايته، ومن أجلها نال الشهادة.

وقد صرّح السيد أحمد مرة أنه منذ أن نشأ فيه الشعور لم يأت بعمل إلا ما كان للحصول على رضا الله، ولم يأت بأي عمل إتباعاً لهوى نفسه.

### الشيخ عبد العزيز الدھلوي

الشيخ الإمام العالم الكبير العلامة المحدث عبد العزيز بن ولی الله بن عبد الرحيم العمری الدھلوي سید علماء زمانه وابن سیدهم، لقبه بعضهم "سراج الهند" وبعضهم "حجۃ الله".

ولد ليلة الخميس الخامس ليال بقین من رمضان سنة تسع وخمسين ومائة وألف، كما يدل عليه لقبه المؤرخ لموالده "غلام حلیم" حفظ القرآن وأخذ العلم من والده، فقرأ عليه بعضاً وسمع بعضاً آخر بالتحقيق والدرایة والفحص والعنایة حتى حصلت له ملکة راسخة في العلوم، ولما توفي أبوه إلى جوار رحمة الله تعالى ورضوانه وله ست عشرة سنة أخذ من الشيخ نور الله البرهانوی<sup>١</sup> ، والشيخ محمد أمین الكشمیری<sup>٢</sup> ، وأجازه الشيخ عاشق الفلتی<sup>١</sup> ، كانوا من أجلة أصحاب

١ - كان الشيخ نور الله البرهانوی ، من أخص تلامذة الإمام الدھلوي ، وقد نال صيغة ذائعاً في حياة الإمام الدھلوي وقرأ عليه الشيخ عبد العزيز الدھلوي ، الذي كان خته أيضاً ، كتب الفقه ، توفي قريباً من عام ١١٨٧هـ .

٢ - كان الشيخ محمد أمین الكشمیری من أجلة أصحاب الإمام الدھلوي يتسبّب إلى شیخه ويعرف بالنسبة إليه بالولي اللهی ، أخذ عنه الشيخ عبد العزيز بعد وفاة والده ، توفي قريباً من عام ١١٨٨هـ .

والده ، فاستفاد منهم ما فاته على أبيه ، وله رسالة فصل فيها ما قرأ على والده وعلى غيره من العلماء ، فقال :

"إنه أخذ بعض كتب الحديث مثل أحاديث "الموطأ" ضمن المسوى" ٢ و "مشكاة المصايح" بتمامه قراءة على والده ، و "الحسن الحسين" ٣ و "شمائل الترمذى" سمعاً عليه بقراءة أخيه الشيخ محمد ، و "صحيح البخاري" من أوله إلى كتاب الحج سمعاً عليه بقراءة السيد المولوى ظهور الله المراد آبادى ، و "مقدمة صحيح مسلم" وبعض أحاديثه وبعض "سنن ابن ماجه" سمعاً عليه بقراءة محمد جواد الفلتى ، والمسلسلات وشيئاً من "مقاصد جامع الأصول" بقراءة مولوى جار الله نزيل مكة ، وشيئاً من "سنن النسائي" سمعاً عليه وبقية هذا الكتاب من الصالحة ستة قرأتها سمعاً على خلفاء والده كالشيخ نور الله وخواجه محمد أمين ، وأخذ غير ذلك من الكتب إجازة عامة من أفضل خلفائه ، وابن خاله الشيخ محمد عاشق الفلتى وخواجه محمد أمين ،

١ - هو الشيخ محمد عاشق بن عبد الله الصديقي الفلتي بضم الفاء أحد كبار المشايخ ، صحب الإمام الذهلي في السفر والحضر وأخذ عنه وعن أساتذته كأبي طاهر الكروبي المدني ، وأخذ عنه الشيخ عبد العزيز والشيخ رفيع الدين والشيخ أبو سعيد الحسني ، توفي نحو ١١٨٧هـ ، وكان الشيخ عبد الله السندي يقول : لا يتجاوز عدد من أدرك آراء الإمام الذهلي ونظرياته بصورة متكاملة أربعة من أصحابه ، (١) ابن خاله الشيخ عاشق الفلتي (٢) الشيخ محمد أمين الكشميري الولي اللهي (٣) الشيخ نور الله البرهانوى (٤) الشيخ أبو سعيد الحسني البريلوي جد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد من جهة الأم (راجع رجال الفكر والدعوة ج ٤ ص ٣٠٣).

٢ - "المسوى" هو كتاب جليل في شرح المؤطأ للإمام مالك بالعربية للشيخ ولی الله الذهلي .

٣ - "الحسن الحسين" للشيخ محمد بن محمد الجزري الشافعى ، كتاب في الأذكار والأوراد والأدعية ، تلقى القبول لدى المشايخ الربانيين .

وإجازة والده لهما مكتوبة في "التفهيمات الإلهية" و"شفاء العليل"، وهؤلاء قرأوا على والده مع أن الشيخ عاشق كان شريكاً في السمع والقراءة والإجازة لوالده عن شيخه أبي طاهر المدنى، وأسانيده مذكورة في كتابه "الإرشاد في مهمات الإستاد" وفي غير ذلك من الرسائل".

وكان طويلاً القامة، نحيف البدن، أسمراً اللون، أجلل العينين، كث اللحية، وكان يكتب النسخ والرقاع بغاية الجودة، وكانت له مهارة في الرمي والفروسية والموسيقى.

وقدقرأ عليه إخوهه عبد القادر ورفيع الدين وعبد الغنى<sup>١</sup> وختنه عبد الحى بن هبة الله البرهانوى، وقرأ عليه المفتى إلهى بخش الكاندھلوى، والسيد قمر الدين السنوى بتى مشاركاً لإخوته في القراءة والسمع، وقرأ عليه الشيخ غلام بن عبد اللطيف الدهلوى "صحيح البخاري" وقرأ عليه السيد قطب الهدى بن محمد واضح السيريلوى الصحاح الستة، وأما غيرهم من أصحابه فإنهم قرأوا على إخوته وأسندوا عنه وحضرروا مجالسه وسمعوا كلامه في دروس القرآن واستفادوا منه ما شاء الله، وأما سبطه إسحاق بن أفضل العمرى فإنه كان مقرئه يقرأ عليه كل يوم ركوعاً من القرآن وهو يفسره، وهذه الطريقة كانت مأثورة من أبيه الشيخ ولی الله، وكان آخر دروس الشيخ ولی الله المذكور، «اعدلونا هو أقرب للتقوى» ومن هناك شرع سبطه إسحاق بن أفضل كما في "مقالات الطريقة".

١- الشيخ عبد الغنى هو أصغر أبناء الشيخ ولی الله الدهلوى سنًا وأسبقهم وفاة، توفي سنة ١٢٢٧هـ وخلفه الشيخ إسماعيل الشهيد ابنًا، الذي رفع راية التوحيد والسنة والجهاد مع شيخه الإمام أحمد بن عرفان الشهيد واستشهد معه في معركة "بالاكوت" سنة ١٢٤٦هـ.

وكان رحمة الله أحد أفراد الدنيا بفضله، وأدابه، وعلمه، وذكائه، وفهمه، وسرعة حفظه، اشتغل بالدروس والإفادة وله خمس عشرة سنة، فدرس وأفاد حتى صار في الهند العلم المفرد، وتخرج عليه العلماء والفضلاء، وقصدته الطلبة من أغلب الأرجاء، وتهافتوا عليه تهافت الظمان على الماء، هذا وقد اعترته الأمراض المؤللة وهو ابن خمس وعشرين، فأدت إلى المراق والجذام والبرص والعمى ونحو ذلك، حتى عد منها أربعة عشر مرضًا مفجعاً، ومن ذلك السبب فوض تولية التدريس في مدرسته إلى صنويه الشيخ رفيع الدين والشيخ عبد القادر ومع ذلك كان يدرس بنفسه الفيضة أيضاً ويصنف، ويفتني، ويعظ، ومواعظه كانت مقصورة على حقائق التنزيل في كل أسبوع يوم الثلاثاء، وكان في آخر عمره لا يقدر أن يقعد في مجلس ساعة فيمشي بين مدرستيه القديمة والجديدة، ويشتعل عليه خلق كثير من ذلك الوقت، فيدرس، ويفتني، ويرشد الناس إلى طريق الحق، وكذلك يمشي بين العصر والمغرب، ويدهب إلى الشارع الذي بين المدرسة والجامع الكبير فيتهادى بين الرجلين يميناً وشمالاً، ويترقب الناس قدمه في الطرق، ويستفيدون منه في مشكلاتهم، ومن تلك الأمراض المؤللة فقدان الاشتئاء إلى حد يقضي أيامًا ولسالى لا يذوق طعم الغذاء، حتى صار الأكل غبًا بطريق النوبة كالحمى، صرخ بها في تقريره على "المناقب الحيدرية" قال فيه:

"ويعتذر من التقصير في التقرير بأعذار صادقة وأمراض سابقة ولاحقة حتى أدت إلى فقدان الطعام بالمرة، وصار الأكل غبًا بطريق النوبة، كالحمى لغيبة المرة، وتساقطت القوى، واختلت الحواس وتهافتت الأعضاء والعظام والأضراس إلى غير ذلك".

وقال في كتابه إلى أمير حيدر بن نور الحسينين البلكرامي:

"إن سألكم عن حال هذا المحب، فهو في سقم واصب ليلاً ونهاراً، وكرب يزعجه سرا وجهاراً، وقرار زائل وقلق حاصل، وذلك لاجتماع أمراض، كل منها بانفراده يكفي لإزعاج الرجل وإكماده، منها: قبض ال بواسير، واحتباس الرياح في المعدة والأمعاء، ومنها: فقدان الاشتهاء إلى حد يقضي أياماً ولسالياً لا يذوق طعم الغذاء، ومنها: صعود الأخرنة إلى القلب فيحاكي حالة الانزهاق والاختناق، وربما تصعد إلى الدماغ، فتحدث شقيقة ثاقبة وصداعاً لذاعاً كأنها ضربات الدقاق، وإلى الله المشتكى وهو المستعان، فهذه لا يسع معها النطق ببنت شفة فضلاً عن إملاء كتاب، أو إنشاء صحيفة، أو خطاب إلى غير ذلك.

ولعلك تتعجب أنه كان مع هذه الأمراض المؤلمة والأسقام المفجعة لطيف الطبع، حسن الحاضرة، جميل المذاكرة، فصيح المنطق، مليح الكلام، ذات تواضع وبشاشة وتودد، لا يمكن الإحاطة بوصفه، ومجالسه هي نزهة الأذهان والعقول بما لديه من الأخبار التي تشنف الأسماع، والأشعار المذهبة للطبع، والحكایات عن الأقطار البعيدة وأهلها وعجائبها بحيث يظن السامع أنه قد عرفها بالمشاهدة ولم يكن الأمر كذلك، فإنه لم يعرف غير ملكته، ولكنه كان باهر الذكاء، قوي التصور، كثير البحث عن الحقائق، فاستفاد بذلك بوفود أهل الأقطار البعيدة إلى حضرة دهلي، ولأنه قد صنف الناس في الأخبار مصنفات يستفيد بها مما يقرب من المشاهدة، وكان الناس يقصدونه ليستفيدوا من علمه، والأدباء ليأخذوا من أدبه، ويعرضوا عليه أشعارهم، والمحاویج يأتونه ليشعرون لهم عند أرباب الدنيا، ويتواسعون بما يكتنه، وكرمه كلمة إجماع، والمرضى يلوذون به ل مدواتهم، وأهل الجذب والسلوك يأتونه ليقتبسوا من أشعة أنواره، وغرباء الديار من

أهل العلم والشيخة ينزلهم في منزله ، ويفضل عليهم بما يحتاجون إليه ، ويسعى في قضاء أغراضهم ، ونيل مطالعهم ، وإذا جالسه منحرف الأخلاق أو من له في المسائل الدينية بعض الشقاق جاء من سحر بيانيه بما يؤلف بين الماء والنار ، ويجمع بين الضب والنون فلا يفارقه إلا وهو عنه راض .

وقد قال الشيخ محسن بن يحيى الترهتي في "اليانع الجنـي" إنه قد بلغ من الكمال والشهرة بحيث ترى الناس في مدن أقطار الهند يفتخرـون باعتزائـهم إلـيهـ، بل بـأنـسـلاـكـهـمـ فيـ سـمـطـ منـ يـتـمـيـ إـلـىـ أـصـحـابـهـ ، قالـ: وـمـنـ سـجـاـيـاهـ الفـاضـلـةـ الـجمـيـلـةـ الـتـيـ لـاـ يـدـانـيـهـ فـيـهاـ عـامـةـ أـهـلـ زـمانـهـ قـوـةـ عـارـضـتـهـ، فـلـمـ يـنـاضـلـ أـحـدـ إـلـاـ أـصـابـ غـرـضـهـ وـأـصـمـىـ رـمـيـتـهـ وـأـحـرـزـ خـصـلـهـ، وـمـنـ ذـلـكـ بـرـاعـتـهـ فـيـ تـحـسـينـ الـعـبـارـةـ وـتـجـهـيزـهـاـ وـالـتـأـنـقـ فـيـهاـ وـتـخـرـيرـهـاـ حـتـىـ عـدـهـ أـقـرـانـهـ مـقـدـمـاـ مـنـ بـيـنـ حـلـبـةـ رـهـانـهـ وـسـلـمـواـ لـهـ قـصـبـاتـ السـبـقـ فـيـ مـيـدـانـهـ، وـمـنـهاـ فـرـاسـتـهـ الـتـيـ أـقـدـرـهـ اللـهـ بـهـ عـلـىـ تـاوـيلـ الرـؤـياـ، فـكـانـ لـاـ يـعـبرـ شـيـئـاـ مـنـهـ إـلـاـ جـاءـتـ كـمـاـ أـخـبـرـبـهـ كـأـنـهـ قـدـ رـآـهـ، وـهـذـاـ لـاـ يـكـونـ إـلـاـ لـأـصـحـابـ النـفـوسـ الـزـاكـيـاتـ الـمـطـهـرـةـ عـنـ أـدـنـاسـ الشـهـوـاتـ الـرـدـيـةـ وـأـرـجـاسـهـاـ، وـكـمـ لـهـ مـنـ خـصـالـ حـمـودـةـ وـفـضـائـلـ مشـهـودـةـ.

وـجـملـةـ القـولـ فـيـهـ: إـنـ اللـهـ تـبارـكـ وـتـعـالـىـ قـدـ جـمـعـ فـيـهـ مـنـ صـنـوفـ الـفـضـلـ وـشـتـائـهـ الـتـيـ فـرـقـهـاـ بـيـنـ أـبـنـاءـ عـصـرـهـ فـيـ أـرـضـهـ مـاـ لـوـ رـأـهـ الشـاعـرـ الـذـيـ يـقـولـ:

وـلـمـ أـرـ أـمـثـالـ الرـجـالـ تـفـاـوـتـاـ  
لـدـىـ الـمـجـدـ حـتـىـ عـدـ أـلـفـ بـوـاحـدـ

استبيان له مثل ضوء النهار أنه وإن كان عنده أنه قد بالغ فيه فإنه قد قصر ، فكيف الظن بأمثاله أن يحسن عد مفاحيره التي أكثر حصى من حصى الحصباء ونجوم السماء ....

وأما مصنفاته فأشهرها "تفسير القرآن المسمى بـ"فتح العزيز" ١ أصنفه في شدة المرض ولحقوق الضعف إملاءً، وهو في مجلدات كبار، صناع معظمها في ثورة الهند فما بقي إلا مجلدان من أول وأخر، ومنها "الفتاوى في المسائل المشكلة" ٢ وقد جمعت ما تحويها ضخاماً

١- المعروف بـ "التفسير العزيزي" ، هو كتاب مستقل مؤلف من إملاءات الشيخ عبد العزيز ، يشتمل حسب تصريح مؤلفه على تفسير سورة "الفاتحة" ، وسورة "البقرة" ثم سورة "الملك" إلى آخر القرآن الكريم ، إلا أن سورة "البقرة" لم تتم لأسباب لا نعلمها ، وقد صدرت لهذا الأصل الفارسي من التفسير علة طبعات ، يشتمل على ثلاثة مجلدات ، وقد ألف تلميذه العلامة حيدر علي الفيض آبادي (م ١٢٩٤هـ) تكملة لهذا التفسير في (٢٧) سبع وعشرين مجلداً ، كما ذكر الشيخ أبو الحسن الندوى في الجزء الرابع من رجل الفكر والدعوة في الإسلام .

٢- لقد كان الشيخ عبد العزيز الدلهلي عالي الكعب في الفقه الحنفي ، وكانت له قدم راسخة وبصيرة دقيقة فيه حتى يعتبره بعض العلماء من أصحاب الاختصاص ، إنه ينبع منه وآلته الإمام الدلهلي .

الدفاتر، والميسر منها أيضاً في مجلدين، ومنها: "تحفة إثنا عشرية" في الكلام على المذهب الشيعي، كتاب لم يسبق مثله، ومنها: كتابه "بستان المحدثين" ١ وهو فهرس كتب الحديث وترجم أهلها ببسط وتفصيل، ولكن لم يتم، ومنها: "العجالـة النافـعة" رسالة بالفارسـية في أصول الحديث، ومنها: "رسالة فيما يجب حفظه لطالبي الحديث"، ومنها: "ميزان الـبلاغـة" متن متين له في علم البلاغـة، ومنها: "ميزان الكلام" متن متين في علم الكلام، ومنها: "السر الجليل في سر مسألة التفضـيل" رسالة له في تفضـيل الخـلفاء لبعضـهم على بعضـهم ومنها: "الشهـادـتين" رسـالة نـفيسـة له في شـهـادـة الحـسـنـينـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـماـ وـمـنـهـاـ: "رسـالةـ فـيـ الـأـنـسـابـ"ـ وـمـنـهـاـ: رسـالةـ عـجـيـبـةـ لـهـ فـيـ الرـقـيـاـ،ـ وـلـهـ غـيرـ ذـلـكـ مـنـ الرـسـائـلـ،ـ وـأـمـاـ مـصـنـفـاتـهـ فـيـ الـنـطـقـ وـالـحـكـمـةـ،ـ فـمـنـهـاـ: حـاشـيـةـ عـلـىـ "مـيرـ زـاهـدـ رسـالـةـ"ـ وـحـاشـيـةـ عـلـىـ "مـيرـ زـاهـدـ مـلاـ جـلالـ"ـ وـحـاشـيـةـ عـلـىـ "مـيرـ زـاهـدـ شـرـحـ المـوـاقـفـ"ـ وـحـاشـيـةـ عـلـىـ "حـاشـيـةـ مـلاـ كـوسـيـجـ"ـ الـمـعـرـوـفـ بـالـعـزـيزـيـةـ،ـ وـحـاشـيـةـ عـلـىـ "شـرـحـ هـدـايـةـ الـحـكـمـةـ"ـ لـلـصـدـرـ الشـيـراـزيـ،ـ وـلـهـ شـرـحـ عـلـىـ أـرـجـوـزـةـ الـأـصـمـعـيـ،ـ وـلـهـ مـرـاسـلـاتـ إـلـىـ الـعـلـمـاءـ،ـ وـالـأـدـبـاءـ،ـ وـتـخـمـيـسـ نـفـيـسـ عـلـىـ قـصـيـدـتـيـ والـدـهـ "الـبـائـيـةـ"ـ وـ"الـهـمـزـيـةـ"ـ ٢ـ

وكان نسيجاً وحده في النظم والنشر، وقوة التحرير، وغضارة الإملاء، وجزالة التعبير، وكلامه عفو الساعة، وفيض القرىحة، ومسارعة القلم، ومسابقة اليد، وعندي بفضل الله جملة صالحة منها

١- يقدر من هذا الكتاب اطلاعه على كتب الحديث وطبقات المحدثين .

٢- يعتبر شعر الشيخ عبد العزيز الذهلي لا سيما قصيده اللامية من أرفع نماذج الشعر العربي ، ويظهر أنه يفوق شعر الإمام الذهلي ولا يجد مثل هذه العربية السليقية بعده إلا في شعر تلميذه النجيب المفتى صدر الدين خان آزرده .

وإن كان يسعها هذا المختصر لأوردت شيئاً كثيراً ههنا.  
وتوفي بعد صلاة الفجر يوم الأحد لسبعين خلون من شوال سنة  
تسع وثلاثين ومائتين وألف، وله ثمانون سنة، وقبره بدلبي عند قبر  
والده خارج البلد ١.

### في تربية الشيخ عبد العزيز الدهلوi

كان السيد أحمد رغم كونه طالباً للعلم وتزكية النفس لدى الشيخ عبد العزيز وشقيقه الشيخ عبد القادر الدهلوi، ورغم مكانتهما العالية في نفسه، وأهل أسرته الذين تلمذوا عليهما ، ونالوا إجازتهما في العلوم الإسلامية وتربية النفس ، كان إذا رأى شيئاً لا يقبله ذهنه الذي رسخت فيه عقيدة التوحيد ، ونفي كل شيء غير الله ، والاعتصام بالشريعة ، أظهر عدم ارتياحه ، وأبدى رأيه فيه بصراحة ، وقد شاهد في أسرة الشيخ عبد العزيز أن طريقة التحية لا تتفق مع الطريقة الإسلامية وإنما كان الناس يحيّون كما كان في العرف العام ، فكانوا مثلاً يقولون فلان يؤدي التحيات والتسليم فلما وصل السيد أحمد إلى مجلس الشيخ عبد العزيز حيّه بتحية الإسلام ، فقال : "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته" ، فسرّ الشيخ عبد العزيز بذلك غاية السرور وأمر أن يحيي الجميع من ذلك اليوم بالتحية الإسلامية ٢ .

١ - الإعلام بن في تاريخ الهند من الأعلام ج/٧ ورجال الفكر والدعوة في الإسلام ج/٤.

٢ - الأرواح الثلاثة ، هي مجموعة الروايات المسموعة من الشيخ أشرف على التهانوي والشيخ محمد طيب الديوبندي وأمير شاه خان ، وفيها قصص عن الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، والشيخ إسماعيل بن عبد الغني وغيرهما من مشايخ الهند الكبار والمجاهدين .

## الاحتراز عما لا يعنيه

كان السيد أحمد أثناء ملازمته بالشيخ عبد العزيز يبتعد عن جميع أشغال اللهو والتسلية ، ويحترز عما لا يعنيه ، فإذا وجد في الوقت سعة توجه إلى نهر اليمنا وقضى ذلك الوقت في السباحة ، وقد ذهب مرة مع أصحابه . وهو لا يعرف - إلى حفل للهندوس على شاطئ النهر ، وكان فيه عدد كبير من النساء ، فلما وقع نظره على هذا المنظر سقط مغمياً عليه ، فنقله أصحابه إلى المسجد ، فأفاق وذهب أصحابه إلى مجلس سماع مرة ، فلما سمع عزف المزامير أغمى عليه .

## الحس الشديد للتوجيد الخالص

كذلك كان يحترز عن طرق الصوفية المنافية للشريعة ، فقد لقنه الشيخ عبد العزيز خلال تربيته أن يتصور الشيخ كما كان شائعاً عند الصوفية ، فرفض السيد أحمد ، وقال بكل أدب واحترام متسائلاً أيها الشيخ ! ما هو الفرق بين الوثنية وتصور الشيخ ، فقرأ الشيخ عبد العزيز بيتاً للحافظ ١ معناه "يجب أن يصطبغ المسترشد بصبغة المرشد ، لأن السالك لا يعرف الطريقة ورسمها" ، فقال السيد أحمد: إنني مطيع لك ، منقاد لأمرك ، وقد جئت لاستفيد منك ، ولكنني أريد أن أفهم ما هو الفرق بين تصور الشيخ والوثنية ، فإذا ثبت ذلك من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكان مطابقاً للشريعة فالسمع والطاعة ، وإنما أرجو أن تعفيني عنه ، فلما سمع الشيخ عبد العزيز قبل جبينه ، وعائقه ، وقال: إن الله جل شأنه وهبك ولاية الأنبياء .

١- هو خواجه حافظ الشirazi من أكبر شعراء الحب والحنان والعاطفة والوجدان في عصره وبعد عصره ، والمكان الذي قبره فيه يسمى بـ "الحافظية" توفي سنة ٧٩٣ هـ .

وأسأله السيد أحمد عن الفرق بين ولادة الأنبياء وولادة الأولياء فقال الشيخ: إن الذي يحظى بولادة الأولياء يشغل سائر أوقاته في الرياضيات المضنية والمحايدة ، والمواظبة على التواوفل والصوم ، ويبتعد عن الخلق ، ويعتزل ويقضى جميع أوقاته في العبادة والمناجاة والتضرع إلى الله ، والتقرب إليه بالعبادات ، ولا شغل له من الوعظ والتذكير للكفار والفساق ، وفي لغة الصوفية ، هو التقرب بالنواوفل .

أما "ولادة الأنبياء" فلا يصل إلى هذه الدرجة إلا قليل من عباد الله الصالحين ، من كان قلبه معموراً بحب الله ، فلا مجال في قلبه لحب سواه ، وهو يختلط بالناس ، ويشغل نفسه بالوعظ والإرشاد ، والدعوة إلى الله ، ولا يخاف في التوحيد ونشره وإحياء سنن الرسول ﷺ لومة لائم ، بل يتصدى له ، ويصمد في سبيله ، ويواجه كل مكروه في سبيله ، ولا يثنى همته شيء ، ولا يقف في وجهه إغراء ولا خوف ، ولا يتزدد في بذل النفس والنفيس ، ويصبر على ما يصبهه من أذى في سبيل توصية الحق والبر والتقوى ، وذلك هو التقرب بالفرائض .

وعبر السيد أحمد بهذا الحس الشديد للتوحيد الحالص والتمييز بين ما هو مشروع وغير مشروع وما يستدل عليه من القرآن والحديث وما لا يستدل عليه ، مرحلة التربية والتعليم في فترة قصيرة للغاية ، إنه أدرك بذكائه المفرط أدق الأمور بمجرد الإشارة ، وبفهم المقامات العالية ووصل إليها بسهولة تامة ١ .

#### عنـاـيةـ الشـيـخـ عـبـدـ العـزـيزـ وـالـشـيـخـ عـبـدـ القـادـرـ بـهـ

كان مركز الشيخ عبد العزيز أكبر مركز للتعليم والتربية في عصره ، كان يؤمه رواد العلم من كل جهة ، ويعودون إلى أوطنهم بعد

١ - سيرة السيد أحمد الشهيد لغلام رسول مهر : ص : ٨١

التبحر في كل علم من العلوم الإسلامية كالفقه والحديث والتفسير والأدب ، أما الشيخ عبد القادر الدهلوi فقد كان صاحب مدرسة في التفسير وقد عرف بترجمان القرآن ، وقد استفاد السيد أحمد من الشيختين علمياً وتربوياً<sup>١</sup> ، واجتاز مراحل التربية والسلوك والإحسان في عنایتهما ، ونال الإجازة.

### عودته إلى وطنه

ثم عاد إلى وطنه "رأي بريلي" وقضى هذه الفترة منذ رحلته من لكانا إلى عودته إلى "رأي بريلي" في المجهادات المضنية ، فتغير تغييراً كاملاً لم يعرفه حتى أقرب أفراد أسرته ، فظنوا أنه مسافر أو عابر سبيل دخل المسجد ، فلما عرفه أقاربه ذهبوا به إلى البيت وأقام في وطنه عدة سنوات ، قضاهما في الدعوة والإرشاد وإصلاح أحوال الناس ، و التربية أصحابه تربية دينية ، وإعدادهم للجهاد ، وقد كان همه الاستعداد للجهاد ، وقد ازداد هذا الهم خلال إقامته في تربية الشيخ عبد العزيز الدهلوi ، فقد كان هو الموجه الأكبر إلى حركة الجهاد الذي اشتعلت نيرانه في الهند ضد أعداء الإسلام ، وقد أصدر الشيخ عبد العزيز الفتوى للحرب لإعادة كلمة الإسلام الذي كان يهدده تصاعد

١ - حينما توجه السيد أحمد الشهيد إلى دلهي وحضر مجلس الشيخ عبد العزيز الدهلوi وكان يريد أن يتربي في حجر الشيخ عبد العزيز الدهلوi فأبدى سروره البالغ بعد أن تعرف عليه فعائقه، ورحب به وأنزله في منزل شقيقه الشيخ عبد القادر وأوصاه به فتلقي منه شيئاً نزاراً من العلم والمعرفة ، وكان الشيخ عبد القادر مرجوعاً إليه في علوم الدين وترتكمية النفوس والدلالة على معالم الرشد وطرائق الحق ، وإنه وفق لترجمة معاني القرآن الكريم وتفسيره باللغة الأردية ، قد اعتنى به العلماء واتفقوا على أنه معجزة من معجزات النبي ﷺ ، وكان الشيخ عبد العزيز الدهلوi يرسل كثيراً من تلامذته ومسترشديه إلى صنوه المذكور، وإنه توفي سنة ١٢٣٠ هـ .

## نشاطات الإنجليز.

وفي هذه المدة توفي شقيقه الأكبر السيد محمد إبراهيم (١٢٢٤ هـ) وعالم أسرته الكبير الشيخ المحدث السيد قطب الهدى بن الشيخ محمد واضح الحسني ، وكان السيد الإمام حاضراً عند احتضاره في عام ١٢٢٦ هـ.

## الزواج

وأثناء إقامته في "رائي بربلي" تزوج بابنة السيد محمد روشن<sup>١</sup> بن السيد محمد شافع النصيرآبادى من ذرية الشيخ محمد إسحاق عم الشيخ الأجل السيد علم الله الحسني ، وكان في الثالثة والعشرين من عمره ، فولدت له ابنة في السنة التالية سماها "سارة" ، ثم تزوج بحليلة صنوه الراحل الشيخ محمد إسحاق<sup>٢</sup> لإحياء السنة النبوية ، لأن الناس كانوا يمتنعون عن زواج الأرامل بتأثير الثقافة الهندوسية ، وكان هذا أول زواج بأيم في السادة والأشراف بأرض الهند ، ثم تتابع الناس على ذلك ، وكان السيد الإمام آنذاك في الرابعة والثلاثين من عمره . وزوجته الثالثة كانت من أشراف جترال الحسينيين<sup>٣</sup> ، تزوج بها بعد حادثة التسميم التي وقعت في حرب "شيدو" لأن الأطباء أشاروا عليه بالزواج ، فولدت له ابنة كان اسمها السيدة هاجرة.

١ - اسمها السيدة زهراء توفيت في ٤/١٢٧٩ هـ بطورك .

٢ - كان اسمها السيدة ولية وهي ابنة خاله السيد أبي الليث بن الشيخ أبي سعيد الحسني ، توفيت في ٨/١٢٦٢ هـ .

٣ - اسمها السيدة فاطمة توفيت في أواخر القرن التاسع عشر المسيحي ، وكانت السيدة سارة في حرم السيد إسماعيل بن صنوه الشيخ إسحاق ، والسيئة هاجرة كانت في حرم السيد محمد يوسف بن يعقوب بن إبراهيم الشقيق الأكبر للسيد الإمام ، وانتشرت ذريتهما وبورك فيها.

### الرحلة الثانية إلى دلهي والانضمام إلى معسكر أمير خان

قام السيد أحمد برحلة ثانية إلى دلهي في عام ١٢٢٦هـ، وأقام مرة أخرى في المسجد الأكابر آبادى بدلهمي، ثم توجه إلى أمير خان ١ للتربيه العسكرية، وقد كان أمير خان مشغولاً في ذلك الوقت في الحرب مع بعض الراجوات، وقد كانت هذه الإقامة فرصة سانحة للتعرف على القوى العسكرية النشطة في الهند في ذلك العصر الذي كانت حكومة المغول فيه في حالة اندثار وتفكك بالإضافة إلى التربية العسكرية بالمشاركة العملية في العمليات الحربية، فكانت هذه الفترة حاسمة في حياة السيد أحمد الذي كانت إقامة الحكم الإسلامي أحلى أمانية، فإذا كانت إقامته بمركز الشيخ عبد العزيز والشيخ عبد القادر فرصة للتعليم والتربية وإصلاح الباطن وتزكية النفس، كانت إقامته في معسكر أمير خان فرصة للتجربة العملية للعمليات العسكرية ومعرفة القوى العسكرية التي كانت تهدد الكيان الإسلامي في الهند والقوى الكامنة في المسلمين التي يمكن استغلالها والاستفادة منها للجهاد وإنشاء الحكم الإسلامي في الهند، كما كانت صلات أمير خان ببعض الراجوات الذين كانوا متحالفين معه، تهيئ الفرصة للاستفادة

١ - كان التواب أمير خان قائداً أفغانياً الأصل ذا همة عالية، من سكان "ستنهل" (روهيلكند) ولد سنة ١١٨٢هـ، هيأ جيشاً لنصرة المسلمين في البلاد، وخرج قائداً من ستنهل سنة ١٢٠٢هـ والتف حوله عدد كبير من المغامرين من أصحاب الطموح والفتواه والفروسية والرفقاء الأوفياء المتحمسين، وذاع صيته كقائد عسكري وفارس وأصبح يخشي ويرجى في مناطق الأمراء الذين كانوا في صراع دائم ومعارك حربية مع الإنجليز حتى أصبح بمر الأيام تحدياً لم يكن الإنجليز ليغافلوا عنه ويستهينوا به، انضم السيد الإمام أحمد إلى عسكره للتربيه العسكرية ومقاومة خطط الزحف الإنجليزي ، ولكنه فارقه حينما دخل الأمير خان في صفقة مع الإنجليز رغم معارضته .

من هذه القوى لدعم حركته للجهاد ضد الإنجليز ومن والاهم ، وبينما تحالفت عدة إمارات لل المسلمين والهندوس مع الإنجليز الذين صاروا أكبر قوة تحدي الحكم الإسلامي ، كانت هناك إمارات عديدة لم تستسلم للإنجليز ، بل كانت مستعدة لقتالهم ، ولم يكن من المستبعد إنشاء جهة متحدة مع هذه القوى .

النواب أمير خان

عقد السيد أحمد أمله بـأمير خان الذي أنشأ قوة منيعة بعد انتصاره في عدة معارك ، وكان عسكره في موضع يبعد عن دلهي ، وكان الطريق شاقاً ومحفوفاً بالخطر ، ولم يكن الوصول إلى ذلك المكان مأموناً لظهور حالة الأمن والنظام ، وكان السيد أحمد يسافر وحده ، وقد وصف السيد محمد علي صاحب "مخزن أحمدي" <sup>١</sup> هذه الرحلة ، فكتب يقول :

"توجه السيد أحمد وحده متوكلاً على الله وواثقاً بنصره ، بهدوء كامل ، وطمأنينة قلب ، مسروراً مرتاح البال كأنه خرج لنزهة في بستان أو للقاء حبيب ، وشرف الجيش بقدومه ، وتحمل كل ما واجهه من شدائدي في الطريق مسروراً" .

ويبدو من "وقائع أحمدي" أن جنود جيش أمير خان لم يعرفوا السيد أحمد ، ولماذا التحق بهذا الجيش ، وإنما كان آخر ظنهم أنه رجل

<sup>١</sup> - هو الشيخ محمد علي بن عبد السبحان من ذرية الشيخ علم الله الحسني البريلوي ثم الطوكي ، كان ابن أخت الإمام الشهيد ولد سنة ١١٩٥هـ ، كان أكبر من خاله الإمام سناً ، وهو أول من بايعه ورافقه في سفر الحج وسافر معه إلى الحدود الشمالية الغربية ، له مصنفات منها "جلاء العيون في سيرة النبي الأمين المأمون" و"مخزن أحمدي" في أخبارشيخه وخاله الإمام المذكور ، توفي سنة ١٢٦٦هـ ببلدة طوك .

صالح من آل الرسول ﷺ وأن وجوده بين صفوفهم بركة. وبعد أيام ازدادت ثقتهم به واحترامهم له لما شاهدوا إصلاحه وورعه وزهده وتوكله على الله، وقبول دعائه عند الله، وجريوا فيه الورع، والقناعة، والصبر، والمواساة، وقول الحق، والإصلاح والإرشاد في الجيش.

كان السيد أحمد رغم اشتراكه في التمرينات العسكرية، وقضائه حياة عسكرية في الجيش، واتباع نظامه، يشغل نفسه بالإصلاح والإرشاد، وقد كان يحول الجيش الذي يرتفع عدد جنوده أحياناً إلى خمسين ألفاً إلى معسكر دعوة وتعليم، واهتم السيد أحمد بتعليم الجنود الذين كان معظمهم غير متعلمين، ولا يعرفون من أحكام الشريعة ومسائل العبادة شيئاً، فكان ينتهز كل فرصة لتراثهم، وإصلاح شؤونهم، وتصحيح عقيدتهم، وتراثهم تربية دينية، ونفح روح الجهاد والشوق إلى الشهادة، والتوكيل على الله، وابتغاء رضوانه في كل عمل، فإذا جاء إليه جندي في قضية أو مشكلة كان السيد ينتهز هذه الفرصة على سنة سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام، ويوصيه بالخير ويحل مشكلته، وقد روى التاريخ عجائب من شفاء المرضى الذين كانوا يأتون إليه، فكان أولًا يوصيهم بطاعة الله ورسوله، والمواظبة على الصلاة، والامتناع عن المنكرات، ويعدهم أنه سيدعو الله لهم بالشفاء، فكان هؤلاء المرضى يجربون استجابة دعواته، وبالشفاء العاجل، وانتشرت أخبار شفاء عدد من المصابين بالأمراض التي استعصى علاجها، فكان الناس يقبلون عليه، ويتوتون، وتغيرت حياة كثير من الجنود، وبالإضافة إلى عمله للإصلاح في الجيش، كان السيد أحمد إذا دعا أحد إلى بيته أو دكانه للدعاء كان يشترط أن يتوب صاحب الدعوة عن المعاصي كلها، وأن يوازن على الصلاة،

ويمثل بأوامر الله ، ويتمتع بما يصدر منه من الآثام والمنهيات ، فإذا وعد الداعي بإيفاء شروطه دعا له ، فكانت تصلح بذلك حياة رجال الأعمال والتجارة والأثرياء والفقراء وعامة الناس وخاصتهم ، وحدث بإقامته في ذلك الجيش انقلاب في حياة رجال الجيش ، ومن اتصل بهم في الخارج .

### لماذا التحق السيد أحمد ب العسكرية أمير خان ولماذا ترك؟

كان التحاق السيد السيد أحمد ب العسكرية أمير خان بالإشارة الغيبة كما صرحت السيد السيد أحمد نفسه ، فقد قال يوماً وهو في جيش أمير خان : "أُلقي في روعي في "رأيي بربلي" أن التحق بجيش النواب أمير خان ، فإن خدمة ذلك الجيش أُسندت إلى ، وأن الله تعالى سيأخذ مني خدمة أخرى ، والتحقت بجيش أمير خان بهذه الإشارة الغيبة".

وقد كان أمير خان رمزاً لقوة المسلمين الصاعدة في وجه الرمح الإنجليزي ، كما أنه كان يحظى بتأييد عديد من الراجوات الهندوس الذين كانوا يشكلون كتلة ضد الإنجليز ، وقد شن أمير خان وجسونت غارات مكثفة على القوات الإنجليزية ، وألحقت قواتهما خسائر فادحة ، وخاف الإنجليز أن السيخ (Sikh) وهم قوة أخرى كانت قد تطورت في بنجاب ، إذا دخلت في هذه الكتلة ، فلا يمكن لهم البقاء في الهند ، فاستمالوا الراجا الهندي "جسونت" (Jaswant) لكن أمير خان منعه من التحالف مع الإنجليز ، بل قال إنه سيذهب إلى "كابل" ويستعين بالملك شجاع الدولة لمحاربة الإنجليز ، وأوغر بعض مستشاري جسونت نفسه ضد أمير خان بأنه يشكل قوة للمسلمين ، فوافق جسونت على قبول شروط الإنجليز للصلح ، ثم أقفع أمير خان على أن يتخلى عن موقفه لمحاربة الإنجليز وأشركه في معاهدة الصلح .

فلما رأى السيد أحمد أن أمير خان الذي كان يشكل أكبر قوة لل المسلمين قد غير موقفه إزاء الإنجليز، وأنه قبل التحالف معهم ، كتب رسالة إلى الشيخ عبد العزيز يقول فيها:  
"اضطربت الأحوال في جيش أمير خان ، فقد لحق الأمير بالإنجليز فلا أرى لي مبرراً في البقاء هنا" ١

ويبدو من روایات التاريخ أن السيد أحمد قضى سبع سنوات في جيش أمير خان ، واشترك في عدة عمليات عسكرية ، وإنه قد نال ثقة أمير خان بحيث أنه كان لا يسمح له بأن يتبع عنه ، وكان السيد أحمد يحرضه على قتال الإنجليز والصمود في وجههم ، لكن دسائس الإنجليز ووسائل خداعهم قد غيرت الأمير ، فوقع في خداعهم لأنّه كان شجاعاً مقداماً ولكن لم يكن صاحب بصيرة نافذة ، فانفصل عنه السيد أحمد وعاد إلى دلهي .

#### من المعسكر إلى الدعوة والإصلاح

مكث السيد أحمد في جيش أمير خان سبع سنوات ، وواصل خلالها أعماله ووظائفه للإصلاح والتربية الروحانية بجانب الاشتغال بالأمور العسكرية ، فتحول الجيش إلى مجال لأعمال الدعوة والإرشاد ، وصلحت حياة الجنود ، وحدث انقلاب في حياة أمير خان ، ولما دخل أمير خان في صفقة مع الإنجليز رغم معارضته السيد الإمام ، تركه الإمام المجاهد ورجع إلى دلهي ، فاحتفى به الشيخ عبد العزيز غاية الاحتفاء ، وكان الشيخ عبد العزيز قبل قدمه رأى في المنام الرسول ﷺ ، وهو في المسجد الجامع ، ويتجه لزيارةه ألف من الناس من كل صوب ، ويتدفقون إلى جهة المسجد ، وأعطى رسول الله ﷺ

١ - سيرة السيد أحمد شهيد لغلام رسول مهر ص : ٩٣

الشيخ عبد العزيز عصاه وأمره بالوقوف على باب المسجد، وأن لا يسمح لأحد بالدخول إلا بإذنه، فامثل الشيخ عبد العزيز أمره، وسمح لعدة آلاف شخص بالدخول والزيارة بوساطته وهبَّ الشيخ من نومه، وفكَر في تأويل الرؤيا، ثم توجه إلى الشيخ غلام علي١ الذي كان من أكبر تلاميذ الشيخ ميرزا مظهر جان جانان الدهلوi ومستشاريه٢ وحكى عليه ما رأه في المنام وسأله تأويل الرؤيا، فقال الشيخ غلام علي١ "أنت أعرف بتتأويل الرؤيا مني، فلما أصرَّ الشيخ عبد العزيز قال إن الله تعالى سينشر بجهودك أو جهود أحد تلاميذك تعاليم رسول الله ﷺ، ويهدى الناس، وبعد أسبوع من هذا المنام وصل السيد أحمد فاستبشر به الشيخ عبد العزيز، وأنزله في المسجد الأكبر آبادى، وأكرم مثواه، وأوصى أولاد أسرته بالاهتمام به، وكان السيد أحمد قد أقام بهذا المسجد في المرة الأولى في رعاية وتربيَّة الشيخ عبد القادر.

١ - هو الشيخ الإمام العالم الزاهد غلام علي بن عبد اللطيف العلوi الدهلوi، اتفق الناس على ولايته وجلالته، فرأى صحيح البخاري على الشيخ الكبير عبد العزيز الدهلوi، وأسند عنه الحديث، وأخذ الطريقة عن الشيخ مظهر جان جانان الدهلوi، وقام مقامه بعد وفاته، فحصل له القبول العظيم وتکاثر عليه العلماء والمشايخ، وقصده الطالبون من البلاد العربية والعجمية، من الروم والشام وبغداد ومصر وما وراء النهر والصين والحبشة وغيرها، وفدوا عليه وبايعوه واستفادوا منه استفادة كبيرة ولم تبق مدينة من مدن الهند إلا وتشرفت بخليفة من خلفائه، وكان يسكن في زاويته زهاء خمسة من الطالبين المنقطعين إلى التربية والتزكية، وكان الشيخ متکفلاً بطعمهم وملابسهم، توفي سنة ١٢٤٠هـ بدلهي.

٢ - كان الشيخ ميرزا مظهر جان جانان الشهيد (١١٩٥-١١١١هـ) خليفة السيد نور محمد البدايوني، ومن كبار أصحاب التربية والتزكية، والذي قُل فيه الإمام ولي الله الدهلوi نفسه: "إن أمثل هؤلاء المشايخ لا يوجدون في عدد كبير في كل عصر، فكيف في هذا العصر الملئ بالفتن والفساد." (رجل الفكر والدعوة في الإسلام ج/٤)

أدى السيد أحمد صلاة تحيه المسجد أولاً، ثم دخل غرفة أستاذه ومربيه الشيخ عبد القادر الذي توفي قبل ستين، ثم جلس في فناء المسجد واستقبل الذين جاءوا للقاءه.

### العودة إلى الشيخ عبد العزيز

كان من عادة الشيخ عبد العزيز أنه إذا رأى مسترشدًا صاحب صلاحية واستعداد، وجهه إلى السيد أحمد للتربية، وكان منهم عالم من علماء بخاري، فلما رأى هذا العالم السيد أحمد في الزي العسكري وجه إليه عدة أسئلة عن مبلغ علمه، فسكت السيد أحمد ولم يجب، فقال له الشيخ عبد العزيز : ما فائدة هذه الأسئلة، إن ما يمكن أن تحصله عندي في عشر سنوات أو أكثر ستحصل عليه عنده في عشرة أيام، فألقى العالم البخاري رحله في الغرفة المجاورة لغرفة السيد أحمد، وعكف على العبادة، والاستفادة من تربيته الروحانية، وعاد إلى الوطن فائزًا موقًعا في مدة قصيرة، وقال السيد أحمد : ما رأيت مثل هذا الشخص في الشوق والاجتهاد في طلب العلم وابتغاء رضا الله.

وقال العالم البخاري : لقد طفت في أنحاء العالم وما رأيت مثل هذا المربى الشفوق .

### أعضاء أسرة الإمام ولي الله الدهلوi يدخلون في بيته

كان الشيخ عبد الحفيظ والشيخ إسماعيل بن عبد الغني من أبرز علماء أسرة الإمام ولي الله الدهلوi بعد أولاد الشيخ عبد العزيز والشيخ عبد القادر والشيخ رفيع الدين ، وقد سبقا أقرانهما في الرسوخ في العلم ، والصلاح في الدين ، والورع والتقوى ، وقد وصف الشيخ عبد العزيز في رسالة له إلى الشيخ خير الدين في "لكناؤ" الشيخ عبد

الحي بشيخ الإسلام والشيخ إسماعيل بحججة الإسلام، ولقبهما بتابع المفسرين وفخر المحدثين، وكتب أنهما لا يقلان في علم الفقه والحديث والتفسير والأصول والمنطق عنه.

وقد قضى الشيخ إسماعيل والشيخ عبد الحي<sup>١</sup> فترة في تربية الشيخ عبد العزيز والشيخ غلام علي ، فلما رأى الشیخان إقبال الناس على السيد أحمد، وعلو مكانته وترجيع الشيخ عبد العزيز إياه على نفسه دخلاً في بيته، ولازماً صحبته إلى آخر أيام حياتهما، وضحيًا في سبيله بكل ما كان لهما من مكانة ومتاع ، وأثراً أن يرافقاه في كل رحلة وإقامة مماثلين لأوامره مقتدين به كل اقتداء ، وانضم عدد آخر من أعضاء أسرة الإمام ولي الله الدهلوi ، وصار السيد أحمد مرجعاً للمسترشدين في حياة الشيخ عبد العزيز .

وفي هذه الإقامة بدلهي جاء شقيقه الشيخ محمد إسحاق الذي كان في طفولته يهتم غاية الاهتمام بتعليمه ويراعيه ، وكان يقلقه عدم تركيز السيد أحمد على طلب العلم واهتمامه الزائد بأعمال الرياضة والفروسية وخدمة الخلق ، فالتحقى الأخوان بعد ثمانى سنوات ، ثم عاد الشيخ محمد إسحاق بعد الاطمئنان على أخيه وسلماته ، وكانت أخباره قد انقطعت عنه هذه المدة الطويلة ، فاجتمع حوله أعضاء أسرته وسألوه عن السيد أحمد فقال :

"بفضل الله ومنه العظيم وصل السيد أحمد إلى مكانة عالية لا أستطيع أن أصفها ، وإننيأشهد إنني ما رأيت أحداً في مثل هذه المرتبة من العلم والصلاح ، فقد أعطاه الله بفضله من العلم الباطني ما لا يوجد عند أحد من العلماء والمشايخ في دلهي ، وقد خضع له

١ - كان الشيخ إسماعيل ابن أخي الشيخ عبد العزيز الدهلوi ، والشيخ عبد الحي خالته .

جميع العلماء والمشايخ في دلهي وقبلوا سيادته، وإن علمه علم وهبي لا كسببي".

ضحك الناس على كلامه، وقالوا أنت أخوه فتمدحه، ونحمل  
كلامك على المبالغة والإطراء، فقال: ستتجربون ما أقوله لكم عند ما يأتي.

وانهالت على السيد أحمد الدعوات لزيارة الأماكن المجاورة  
عند ما ذاع صيته، وازداد القبول والرجوع إليه بمر الأيام، فأرسل  
السيد أحمد هذه الرسائل إلى شيخه الشيخ عبد العزيز طلباً لأوامره،  
فألبسه الشيخ عبد العزيز قميصه وودعه بدعواته .



### الفصل الثاني

## النشاط الدعوي وإصلاح المجتمع واحياء السنة

**عودته من دلهي وخروجه إلى المناطق المجاورة للدعوة والإرشاد**

غادر السيد أحمد دلهي ، وزار غازي الدين نجمر (غازى آباد) و"مراد نجمر" و"ميرت" و"برهانه" و"فلست" و"مظفر نجمر" و"ديوبند" و"سهارنبور" و"أنيتة" و"كتکوہ" و"نانوتہ" و"تهانہ بهون" و"کاندھلہ" ورافقه في هذه الجولة الشيخ عبد الحفي الشیخ محمد إسماعيل ، وقد بدأ السيد أحمد هذه الرحلة في ذي القعدة ١٢٣٣هـ ، وأقام في بعض الأماكن خمسة أيام ، وفي أماكن عشرة أيام ، وخمسة عشر يوماً ، ووصل إلى سهارنبور في محرم ١٢٣٤هـ إلى "کاندھلہ" في ١٧ من ربيع الأول ١٢٣٤هـ ، ثم رجع إلى "دلهي" في الشهر التالي ، واستغرقت هذه الرحلة الدعوية الإصلاحية ستة أشهر قرابةً.

كانت هذه الرحلة مثل الغيث العظيم أو السيل الذي يخصب كل مكان يمر به ، وقد حكى الذين شاهدوه... مدى تأثير كلامه وسلوكه مع الناس ، وكيف كانت تتغير حياة الناس ، وكيف كانوا يتهافتون عليه ويتوهون من ذنوبهم ، حتى الذين كانوا تعودوا ارتكاب الجرائم وتعاطي المخدرات كيف كان يسهل عليهم هجر هذه العادات

القيحة ، ويقتنعون بالعيش بالكفاف ، ويجدون اللذة في ذكر الله ، والجلوس مع الصالحين ، والتضحية في سبيل الله .

كان السيد أحمد يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بأسلوب حكيم في اللقاءات وفي المآدب التي كان يقيمها الأشراف والأعيان في كل منطقة ، ويؤكد على إقامة الصلاة ، والمواظبة عليها في المساجد ، والتخليق بالخلق الإسلامي ، ومكافحة البدع والخرافات ، ونبذ التقاليد الوثنية والشيعية التي كانت تعم هذه المناطق ، ويقوم بإصلاح حياة الناس وحل قضاياهم والتصالح بين المسلمين الذين تفرقهم النزاعات أو الخصومات العائلية أو النظرية أو الفقهية ويوحد كلمتهم ، وكان يأمر الشيخ عبد الحي بالوعظ ، فكان يشرح أحكام الإسلام ، ويبين تعاليم الدين الخاليف ، ويصحح العقيدة ، فكان يتوب الناس مجتمعين ، رجالاً ونساءً ، وتتغير حياتهم ، فتعمر المساجد ، وتكسد الأسواق ، وكان يتوب عدد كبير من الهنادك على يده ، ويسلمون حيث يقيم مدة من الزمن .

لقد ظهرت آثار دعوة السيد أحمد في دلهي والمناطق المجاورة لها إلى سهارنفور ، وكانت هي المخطة الأولى له بعد عودته من عسكر أمير خان وفوزه بإجازة الشيخ عبد العزيز الدهلوi ، وفاقت هذه المناطق المناطق الأخرى في عموم الصلاح والسوء ، ولا تزال هذه المنطقة التي تقع بين النهرين "اليمنا" في دلهي و"الكنكا" مركز الصلاح والإصلاح ، والدعوة إلى الله والعلوم الإسلامية ، وقد أنجبت هذه المناطق كبار المشايخ والعلماء والقادة والمجاهدين في سبيل الله ، وأنشئت فيها شبكة للمدارس الإسلامية ومراكم التربية .

لقد بذر السيد أحمد بذور الإيمان والعلم والعمل الصالح والجهاد في سبيل الله في هذه الأرض التي طابت بدعوته ، وسعدت

بزيارتة الأولى والذين سعدوا بتربيته، وقبلوا دعوته، صلحت أولادهم، وبارك الله في أعقابهم، ودامت فيهم بركاته وفيوضه إلى يومنا هذا.

يقول الشيخ ذو الفقار علي ١ والد الشيخ الهند الشیخ محمود حسن الديوبندي "إن كل منطقة في ديواند وسها نفور وضواحيها التي سعدت بزيارة السيد أحمد من القرى والأرياف تمتاز عن غيرها حتى اليوم في الصلاح والسعادة، وأن المناطق التي حرمت زيارته لا تزال تعاني الشقاء والحرمان والبعد عن الدين" ٢ .

وكتب الشيخ عبد الحفيظ الحسني صاحب "الإعلام" مبن في تاريخ الهند من الأعلام" الذي زار هذه المناطق في عام ١٣١٢ هـ (١٨٩٥ م) أي بعد مرور ٦٦ سنة "أن كل شخص قابله تذكر زيارة السيد أحمد بالفاظ طرية، وقال: إنه عرف طريق الإسلام والإيمان به، وقال بعضهم: كنا مسلمين بالاسم لا نعرف من الإسلام شيئاً، فعرفنا طريق الدين بفضل زيارة السيد أحمد لهذه المنطقة.

وذكر العلامة عبد الحفيظ الحسني أن أهل هذه المناطق لما علموا انتسابه إلى أسرة الإمام أحمد تهاقروا عليه وقبلوا جبينه، وأكرموه غاية الإكرام والتجليل، وألحوا عليه أن يزور مناطقهم وبيوتهم للبركة، حتى العلماء وكبار الصالحين، كانوا يجدون نفحات زيارة الإمام أحمد تهيب من جديد، وذلك بتأثير ما سمعوا من كبار رجال أسرهم عن تأثير زيارة الإمام.

**يصف الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوبي آثار هذه الزيارة**

١ - كان عالماً أدبياً شاعراً، توفي سنة ١٣٢٢ هـ بدبيوند ..

٢ - مقتبس من كتاب "دلي وضواحيها" في الأردية للشيخ عبد الحفيظ الحسني رحمه الله (دہلی اور اس کی اطراف) .

"في كتابه" إذا هبت ريح الإيمان"

"قام السيد الإمام أحمد الشهيد بجولة إصلاحية دعوية، ما بين "دلهي" وـ"سهارنفور" في سنة ١٢٣٣هـ ، وزار القرى والمدن، ومكث بها أياماً وأسابيع، يدعو الناس إلى الله، والتمسك بالسنة، وهجر البدع والخرافات ، ويبحث على تزكية النفوس، وتهذيب الأخلاق، ويقوم شيخ الإسلام عبد الحفيظ البرهانوي وهو من أخص أصحابه، والمجاهد الجليل الشيخ إسماعيل بن عبد الغني بن ولی الله الدھلوي وغيرهما من علماء الجماعة بالوعظ ، والنصح ، والإرشاد ، وقد هدى الله في هذه الجولة الموقفة خلقاً يبلغ عددهم إلى الألوف ، وتاب على يد السيد أحمد خلق لا يعلم عددهم إلا الله ، وتابوا عن الشرك ، وعادات الجاهلية ، وشعائر الوثنية ، وبايعوا على الجihad في سبيل الله".

### اصلاح العادات والتقاليد غير الإسلامية

تاب على يد أصحابه الذين خرجوا في القرى يعظون ويعلمون الناس الدين ، غلام هندوكي في التاسعة من سنہ ، كان يحضر وعظه ، وشرح الله صدره للإسلام ، وأحب هذا الدين وأهله ، وأراد أن يسلم ، فذهب إلى الشيخ رمضان ، وهو الواقع الذي غرس في قلبه حب الإسلام ، فإذا جمع من الوثنيين من أهل قريته واقفون تحت المسجد يستمعون وعظه ، قال : فووقفت بينهم ، وتهييت لصغر سني ، ومكان هؤلاء ، ثم خامنني سرور عجيب لا عهد لي به ، واعتبرتني نشوة لم أعرفها من قبل ، فغلبت على أمري فتقدمت إليه ، وأنأ لا أملك من أمري شيئاً ، وقلت للشيخ : أنا أريد أن أدخل في الإسلام فلقيني الشهادة ، وأدخلني في زمرة المسلمين فأجلسني بجواره ، وأحدّ إلي النظر ، وقال : هل تريد أن تدخل في الإسلام حقاً؟ قلت نعم!

فأرسلني مع أخ له إلى السيد وهو في سهارنفور، وأسلمت على يده الكريمة وقد غمرتني موجة السرور، يقول من كان في هذا المجلس : إنه لما وصل هذا الغلام إلى السيد، أدناه بلطف وأجلسه في جنبه، وكان يمسح رأسه بلطف وشفقة مرة بعد مرة، ويقول : يا سبحان الله، ما أعظم هدایته إذا أراد الله بأحد خيراً، قذف في قلبه نوراً، فيبحث عن الصراط المستقيم، ثم التفت إلى الشيخ عبد الحي البرهانوي وقال : بالله لقنه كلمة التوحيد، ولا تتأخر في هذا البر العظيم طرفة عين، فلقنه الشيخ التوحيد ومبادئ الإسلام، وقال السيد : اختر له اسم إسلامياً ويادر الشيخ وقال : نسميه "كريم الدين" وكان في هذا المجلس جم حاشد من أعيان البلد ووجهائه وسراة الناس.

وكان اسم عدد منهم "كريم الدين" فقال بعضهم : لا تسموه بهذا الاسم، فإنه اسم كثير من أعيان الناس، وإنهم يأنفون من أن يكون لهم هذا الغلام سميّاً، وإنهم يشعرون في ذلك بإهانة، فابتدر السيد قائلاً : إذاً سموه باسمي، سموه "أحمد" فسكت الناس، وانقطع لسان المعرضين.

وأسلمه السيد إلى الشيخ "مغيث الدين" وهو من أخص أصحابه، وقال له : علمه الصلاة والقرآن وأحكام الشرع وأداب الدين، فإذا أعلمناك بقصدك للحج أخذته معك، فإنه سيسعد بالحج إن شاء الله تعالى، وكان كذلك، فقد رافق السيد في رحلته التاريخية للحج، واشتهر "بال الحاج أحمد".

وكان لا بد من الإنكار على هذه الحمية الجاهلية، والأنفة النسانية، فأقبل السيد على الشيخ عبد الحي ومولانا محمد إسماعيل ، وقال ! لاتزال في قلوب المسلمين وحياتهم في هذه البلاد بقايا جاهلية ،

وروا سب عهد الشرك والوثنية، إذا لم نقتلع جرثومتها من القلب،  
خاف أن يكون في ذلك زوال إيمانهم وخلل في دينهم.

منها: أنه إذا مات ولد أحدهم ورزقه الله ولداً آخر، لم يسمه  
باسم السابق تشاءماً، وحذراً من أن يموت.

ومنها: أن فقراء المسلمين لا يستطيعون أن يسموا أولادهم  
بأسماء الأغنياء والأعيان والوجاهاء.

ومنها: أن الأغنياء وأشراف الناس يستنكفون عن قبول دعوة  
الفقراء (إلى الطعام) ويرون في ذلك غضاضة وعاراً.

ومنها: أن الفقراء وعامة الناس لا يستطيعون أن يطبخوا في  
ولائمهم وما ذبائحهم الأطعمة التي يطبخها الأغنياء وأشراف، وإن  
ذلك يعتبر معارضة ومنافسة لهم فيما يعتقد من خصائصهم.

وذكر أمثال هذه "الأعراف" الجاهلية ، وما تواضعت عليه  
الطبقات الرفيعة وعلية القوم من مصطلحات وعادات ما أنزل الله بها  
من سلطان وما جاءت في الحديث والقرآن ، ولم تعرف في القرون  
المشهود لها بالخير ، وإنما هي أسماء سموها هم وآباؤهم واخترعوا  
كباراً لهم ورؤساً لهم ، ثم أمر الشيخ عبد الحفي بأن يلقى في هذا  
الموضوع خطبة ، وينبه الناس على ما فيها من مفاسد ومكايد  
للشيطان ، فألقى خطبة بلغة ، أخذت بجماع القلوب ، وذرفت  
العيون بالدموع ، حتى بلت الثياب ، وعلا هتاف الناس ، ويقولون :  
آمنا وصدقنا وسمينا وأطعنا ، ثم دعا السيد في ابتهال وخشوع ، وكان  
يوماً مشهوداً ، وتقدم الناس الذين منعوا من تسمية "كريم الدين"  
فباعوا السيد من جديد ، وتابوا على يده ١ .

١ - إذا هبت ريح الإيمان ص : ٥٤

### العودة إلى رأي بربلي وجولة المناطق الشرقية للدعوة واصلاح المجتمع

عاد السيد أحمد إلى دلهي بعد جولته الطويلة للمناطق الواقعة بين دلهي وسهرانبور، وكانت هذه الزيارة الأخيرة له لدلهي، وأخر لقاء مع الشيخ عبد العزيز الدھلوی، وعندما توجه إلى "رأي بربلي" كان معه خمسون أو أكثر من أصحابه، وأقام في طريقه في "غاري آباد" و"هابور" و"كره مكتشور" و"امروهہ" و"مرادآباد" وأقام مرادآباد عدة أيام ، ثم توجه إلى "رامبور" ثم "بريلی" وأقام في "بريلی" ، عدة أيام ، ثم في "شاهجهان فور" ، و"شاه آباد" ، وغيرها من القرى والبلاد ، فانتفع بمجلسه وبركته دعائه وطهارة أنفاسه وصدق نيته ، وصفاء ظاهره ، وباطنه وموافقة قوله بعمله ، وإنابته إلى الله تعالى خلق كثير لا يحصون بحمد وعد<sup>١</sup> ، ثم توجه إلى "رأي بربلي" ، وكان وصوله إلى "رأي بربلي" في ٢٩ من شعبان ١٢٣٤ هـ ، ويبلغ عدد أصحابه المرافقين له عند وصوله إلى "رأي بربلي" حوالي سبعين شخصاً.

عند ما وصل السيد أحمد إلى "رأي بربلي" كانت المنطقة تعاني حالة جدب ، وكان الفقر سائداً ، وقد صحبت السيد أحمد هذه الجماعة الكبيرة ، ولم تكن الوسائل المادية تكفي حتى لأفراد الأسرة المعدودين ، وكانت تمر أيام بدون أكل شيء ، فطلب منه بعض كبار الأسرة أن يدعوه الله تعالى ليفتح لهم باب الرزق ، فقال السيد أحمد إنه سيذعن الله تعالى للرزق إذا عاهد أهل الأسرة أن يتمسكون بتعاليم الدين ، وينبذوا كل ما يخالف السنة من أعمال وسلوك ، وأن يخلصوا الله ، ويوثقوا الإيمان بأنه

١ - وفي غاري آباد فوجئ بنعي وفاة شقيقه الشيخ محمد إسحاق برائي بربلي فتأثر بهذه الصدمة العنيفة .

٢ - تفاصيل تلك الرحلة موجودة في الكتب والرسائل .

هو الرزاق ذو القوة المتين فعاهد أعضاء الأسرة.  
وقسم السيد أحمد الوقت لأصحابه، فوقت للتمرينات العسكرية، ووقت للعبادة والتسبیح والذکر، ووقت لخدمة أهل الحاجة، وكان أكبر همه الإصلاح بين الناس، وترسيخ أواصر الأخوة بين المسلمين، وإزالة الخصومات، فكان لا يتردد في التدخل إذا سمع خصومة بين المسلمين، فيسع إلى الفرق المختلقة، أو يرسل من أصحابه شخصاً للإصلاح بينهما، كذلك كان حريصاً على إغاثة المظلوم، بينما كان يعفو عن من ظلمه أو اعتدى عليه، أو جاء للاعتداء فكان لا يسمح لأصحابه بالاعتداء عليه أو الثأر منه.

وساهم السيد أحمد وأصحابه أيضاً خلال إقامتهم برائي بربلي في بناء المساجد في المناطق المجاورة، كانت "نصر آباد" التي تبعد بحوالي ٣٥ كم من "رأيي بربلي" مسرحاً للصراع بين أهل السنة والشيعة، وأحياناً كانت تحدث اشتباكات مسلحة بينهما، فكان السيد أحمد إذا سمع حدوث أي اشتباك أسرع إلى المنطقة لمعالجة الوضع، وإذا طلب الوضع الاشتراك الفعلي في القضية كان لا يتردد في تأييد صاحب حق ١.

#### إعداده للجهاد

بدأ السيد أحمد بعد وصوله إلى "رأيي بربلي" إعداد النفوس للجهاد، فكان يبحث على التمرينات العسكرية كالرمادية، والسباحة،

١ - وفي حرم الحرام سنة ١٢٣٥هـ وقع الصراع بين أهل السنة والشيعة بـنصر آباد، وكان الشيعة أكثر عدداً وقوة، فأتاه بعض أقاربه مستغيثين فأتاهم، وأيد الله تعالى به أهل الحق، وتصالح الفريقان، وكان الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدھلوی يقول: كان هذا لأمر مقدمة للجهاد ظهر فيه عزمه وحزمه، وتديره للأمور بدقة وإتقان، ومواهبه في القيادة والسياسة وتفطن له المترسون حتى علموا أنه سيكون له شأن عظيم فيما يأتي من الزمان، انتهى ملخصاً من كتاب السيد أحمد الشهید للأستاذ غلام رسول مهر.

والفروسيّة، والرياضيّة البدنيّة، وقد أبدى بعض أصحابه الذين كانوا يصرّفون أوقاتهم أكثر في التوافل والتسبّيح والذكر ومجاهدة النفس، وكانوا يقضون ساعات في المراقبة، رغبتهم في مواصلة ذلك الشغل، فقال لهم السيد أحمد: إن هذه الأعمال كلها تابعة للجهاد، وقال: إذا صام أحد يومه وقام ليلة كاملة حتى تورّمت قدماه في التوافل، وغيره ينهمك في إعداد نفسه للجهاد، ويشتغل بالرميّة فهو أفضل من ذلك العابد.

وقد شرح السيد أحمد منهجه أن الذي يسعى لإقامة الدين، ونشر تعاليمه، ودعوة الناس إلى الله، وتنفيذ أوامره في العالم خير من ينهمك في الذكر والسلوك ولا يهمه أمر المسلمين.

لقد اختار السيد أحمد هذا الطريق بعد أن فرغ من تربية أصحابه تربية دينية، وقام بتزكية قلوبهم، فقد قضى بنفسه في دلهي فترة في رياضة النفس، والاشتغال بالعبادة والذكر حتى كانت تتورّم قدماه في الصلاة، وكان يحيي الليالي كلها، وخاصة في رمضان كان يعبد طول الليل، كان لا تكتحل عينه بنوم، ولكن انتصر همه الآن إلى إقامة الدين، وإزالة العقبات التي تعترض في سبيله، واعتبر بعض أصحابه تحولاً في موقفه أو عدوًّا عن منهج حياته فوجهوا إليه الأسئلة عن سبب هذا التحول.

ويمكن فهم هذا الاتجاه إلى الطبيعة العسكريّة من الحوار الآتي الذي جرى بين الشيخ محمد إسماعيل والشيخ السيد أحمد، قال الشيخ محمد إسماعيل: كنا في الماضي في نشوة في ذكر الله، فكنا لا نبالي بالأكل والشرب واللباس شيئاً، ولا نجد لذة في شيء، إلا في ذكر الله. فقال السيد أحمد: لقد انقضى ذلك العهد، إنه كان منزلة، فقد كان اللطف الإلهي قد شملنا في ذلك الوقت، وصرفنا إلى ذلك

الم جانب ، فكنا في حال أن أي شخص إذا جلس ببرهة في مجلسنا ارتقى ارتقاء (روحياً) باطنيناً في ساعات ، وكان هذا الرقي الباطني الذي يحصل عادة في أماكن أخرى في سنوات عديدة كان يحصل في مجلسنا في دقائق ، ثم انفتحت علينا أبواب الدعوة إلى مقاصد أعلى ، وأجل ، ووصلت سلسلة الدعوة إلى مرتبة أعلى ، وانكشف هذا الحال على كل مؤيد ومعارض ، وقد أمرنا الآن بالجهاد مع الكفار وهذا هو طريق أولى العزم من الأنبياء ، وأسوتهم والحمد لله على ذلك .

#### كتابه "الصراط المستقيم"

وفي هذه المدة من الإقامة بـ "رأيي بريلي" تم تأليف كتاب "الصراط المستقيم" وكان قد بدأ عمل التأليف في دلهي ، وهو يشتمل على ما كان يمليه السيد ويكتبه الشيخ محمد إسماعيل بألفاظه ، وكان السيد أحمد يراجعه ويجري تعديلات فيه .

وهذه مجموعة قد جمعها الشيخ محمد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوi ، وقد اهتم بضبط بابيها الأولين الشيخ عبد الحفي البرهانوي ، وكان الشيخ إسماعيل يضبط بألفاظه وأسلوبه والمصطلحات العلمية كل ما يلفظ السيد رحمه الله ، ثم يعرض عليه فيلقى السيد الإمام رحمة الله عليه نظرة علمية ويعتني بإصلاحه وصحته وطبعت سنة ١٢٣٣هـ ، وهي تنفرد في الكتب القيمة في الإصلاح والتربية والتوجيه الإسلامي ، وهي الدراسة العميقـة الأصلـية للكتاب والسنة والتضلع من روح الإسلام الصافية والغيرة على عقيدة الإسلام ودعوته ليس إلا .

١ - عربها الشيخ عبد الحفي في رحلته للحج ، وكانت نسختها المكتبة موجودة في مكتبة طوكي بولاية راجستان في الهند ، وتحصى هذه المجموعة الشيخ الفتى إلهي بخش

### الرحلات الدعوية وإصلاح المجتمع الإسلامي

قام السيد أحمد برحلات موسعة لإصلاح ما شاع في المسلمين من اتباع التقاليد الوثنية والشيعية والأعراف الاجتماعية، واختار أولاً المناطق المجاورة لرأي بييلي كـ"نصرير آباد" وـ"سلون"، وـ"إله آباد"، وـ"بنارس" وـ"سلطان فور"، ثم توجه إلى "كافور" واستقبله المسلمون استقبلاً حاراً في كل مكان زاره، وأكرموه، وبايعوه على السمع والطاعة، واتباع الشريعة، ونبذ العادات والطقوس التي تتنافي مع الإسلام.

#### زواج الأرامل وإزالة الفوارق الطبقية والمهنية

وقد كان من العادات المتّبعة بتأثير الثقافة الهندوسية امتناع الناس عن زواج الأرامل، فكانت الأرملة تعيش حياة الحرمان، وتواجه المتابعة وسوء المعاملة في الحياة، يقول الشيخ أبو الحسن علي الحسني التدويني عن هذا الوصف في الهند:

"كان المسلمون في الزمن الأخير يتغيرون جداً من تزويج الأيامى وزواجهن، وكانوا يعدون ذلك سبة وعاراً قد يؤدي إلى مطاردة من يرتكب هذه الجريمة وإقصاء الزوجين ومقاطعتهما. وأصبح ذلك في البيوتات والأسر الكريمة ذات الحسب والنسب، ظهر ذلك في آخر الدولة المغولية بتأثير الاختلاط بالهندوك الذين يحرمون نكاح الأيام ويرون فيه عاراً كبيراً، واستفحلاً هذا الداء على مر الأيام حتى حاربه السيد أحمد بكل عزم وصرامة، ودعا إلى إحياء هذه السنة وضرب له مثالاً عملياً حتى شاع ذلك في المسلمين، وأصبح شيئاً عادياً".

---

الكاندلولي وسماها المهمات الأحمدية، ثم نقلها أحد أحفاده الشيخ احتشام الحسن الكاندلولي (م ١٩٧١) إلى الأردية ملخصاً باسم "إسلامي زنديكي" (الحياة الإسلامية).

كذلك كان الناس موزعين على الطبقات والمهن، وكان الذين ينتمون إلى الطبقات الوضيعة من المسلمين لا يعاملون معاملة المساواة، وكان رجال الطبقات العليا كالأشراف والصديقين والفاروقين<sup>١</sup> وطبقات أخرى لها أصل من غير الهند يحتزرون عن الاختلاط بهم، فضلاً عن التزاوج في طبقاتهم حتى أسماء رجال الطبقات العليا كانت محمرة على رجال الطبقات الوضيعة مثل ما كان يعامل المبذوذون في الهندوس، كذلك كان المحترفون بالمهن الساقطة يستهان بهم ولا ينظر إليهم بنظرة احترام، فوجه السيد أحمد عناته إلى مكافحة هذه العادات الشائعة، وقدم بنفسه أسوة بتزوجه بأرملا<sup>٢</sup> من أسرته، ثم تقدم أصحابه الآخرون، وقدموا أسوة له<sup>٣</sup>، فزالت به هذه الطريقة الشنيعة، كذلك كان السيد أحمد لا يتتردد في اللقاء برجال الطبقات التي كانت تعتبر من أراذل الناس، ويقبل دعواتهم إلى الطعام رغم منع بعض أصحابه من رجال الطبقات العليا، وتقديم بعض مناهجه للإصلاح الاجتماعي التي سلكتها خلال جولاته، وتلقى هذه القصص الضوء على معالجته للأمراض الاجتماعية، ولمكافحة عادة

١ - الأشراف هم أهل البيت النبوى الشريف، والذين يصل نسبهم إلى سيدنا أبي بكر الصديق كانوا يعرفون بالصديقين، والذين يصل نسبهم إلى سيدنا عمر الفاروق كانوا يعرفون في الهند بالفاروقين، كذلك الخان، كانوا يعتزون بنسبهم العالى، والذين كانوا يشتغلون بالمهن كبيع الخضار، أو نسج القماش، أو صناعة الحديد أو التجارة، أو بيع اللحم، أو الخدمة في البيوت كانوا يمتهنون ويزدرأ بهم، كذلك الذين يدخلون في الإسلام من الهندوس، فقام الإمام بمكافحة هذه الفوارق.

٢ - سبق ذكرها في الزواج في الباب الثالث.

٣ - على مقلدتهم الشيخ عبد الحى بن هبة الله البرهانوى الذى تزوج محللة الشيخ المرحوم كمال الدين الفلتى فى "فلت"، وهي كانت أخت الشيخ إسماعيل بن عبد الغنى الدهلوى.

عقل الأرامل من الزواج ، ألقى السيد أحمد خطبة مؤثرة في اجتماع للأشراف من أعضاء أسرته وفي أماكن أخرى ، وأوضح شناعة هذه العادة بقوله : أن سائر أزواج النبي ﷺ باستثناء السيدة عائشة رضي الله عنها كن أرامل .

### في لكتاؤ

نزل السيد وأصحابه في "لكتاؤ" سنة ١٢٣٤ هـ على تل مشرف على البلد ، ١ فيه الجامع الكبير ، واشتغل بالدعوة والإصلاح ، وقد اجتمعت في العاصمة جميع الأسباب والعوامل التي تفسد الأخلاق ، وتلهي الناس عن الخالق والآخرة ، وعن غاية الحياة وترضى الشيطان ، من شباب وفراغ وجدة ٢ ، ووجود طبقة متربفة ، لاهم لها في الحياة إلا إرضاء الشهوات ، والاشغال بالملاهي والملذات ، ويسبب وجود حكام جائرين لا يخافون عقاباً ، ولا يرجون حساباً ، وحكومة شيعية غالبية متطرفة ، وفشت الأخلاق الجاهلية ، وانتشرت الملاهي والمعازف ، وظهرت القينات والمغنيات ، والطبقات المحترفة بتسلية الأمراء والأغنياء ، وظهر الشطار والمكتسبون بطرق غير مشروعة وغير شريفة ، وفشا في المسلمين تقليد الأعاجم والوثنيين في الشعائر والعادات والأزياء والأخلاق .

واجتمع في المدينة الحذاق في كل صناعة وفن ، ولما كانت مركز حكومة وإدارة ، جذبت أهل الكمال والنبوغ ، وأصحاب الفتوى

- ١ - وذلك التل المعروف بـ"تل الشيخ بير محمد" على شاطئ نهر "غومتي"
- ٢ - قل أبوالعتاهية :

إن الشباب ، والفراغ ، والجدة  
مفيدة للمرء أي مفسدة

والفروسيّة، والنبل والمروءة، كما يجذب المقاومات القطع الحديديّة، واجتمع أهل الرذيلة والفضيلة في البلد سواءً، شأن العواصم والمدن الكبرى، فكانت مركز العلم والأدب والتدريس والتأليف، كما كانت مركزاً للهو والعبث والمحون.

وتسامع أهل البلد بقدوم هذه الجماعة الغريبة، وبأميرها وشيخها السيد أحمد، وشاعت أخبار أخلاقه وتواضعه، وتأثير صحبته وحديثه، وبلغاء الجماعة ومواعظهم البليغة المؤثرة في النفوس، المرقة للقلوب ويتقشفهم في الحياة، ويسلطتهم في المعيشة، وبأنهم سواسية في الطعام والشراب، واللباس والمنام، لا يمتاز أحد عن آخر، وأنهم بالليل رهبان، وبالنهار فرسان، يخدم كل واحد صاحبه، ويؤثره على نفسه، فأقبلوا عليهم من كل صوب وناحية، بين زائر متفرج، وبين مستخبر متفحص، وبين طالب للدين، وراغب في الإصلاح، وبين نادم على حياته السابقة، مقبل على الآخرة، والسيد يتلقى الجميع بشاشة وترحيب ويسعهم بأخلاقه، ويوطئ لهم أكتافه، وينسهم بحديثه العذب الرقيق، وقد يشركهم في طعام الجماعة، فترق القلوب القاسية، وتلين النفوس العاصية، وتكثر التوبة والإقلاع عن المعاصي والذنوب، وهجر العادات الجاهلية، وشعائرها، وتقليد غير المسلمين في أزيائهم وشعاراتهم، ولا يرجعون عن هذا المكان إلا بزاد من التقوى، ونور من اليقين وتغير في الحياة، وثناء عاطر على هذه الجماعة وقائدها.

### توبية نصوح

وبيّنما السيد أحمد جالس يوماً في مكانه المعتاد، دخل الجامع رهط في مقدمتهم أمان الله خان، وسبحان خان، ومرزا همايون بيك،

و حول السيد أحمد جماعة من أصحابه و حانت منهم التفاة إلى هؤلاء الداخلين، فتقطعت جباههم، و ظهرت الكراهة في وجوههم و شعر بذلك السيد، و سأله عن السبب، و قال من هؤلاء القادمون؟ قالوا: إنه رجال سوء، ليس نوع من أنواع الشطارة، واللصوصية إلا وقد فاقوا فيه و اشتهروا به، قال السيد: إياكم أن تفشوا هذا السر، و تتفوهوا بما يسوؤهم، و يكسر خاطرهم، وإنني لأرجو الله أن يكره إليهم الفسوق والعصيان، و يزهدهم في الأعمال الشنيعة، و يوفقهم للتوبة والإصلاح و يختتم لهم بالحسنى.

وما أتم السيد كلامه حتى وصل هؤلاء النفر، و صافحوه، و عانقوه، وتلقاهم السيد أحمد بحفاوة و تكريماً، وأجلسهم في جنبه، وأقبل عليهم ينظر فيهم طويلاً، و جلسوا قليلاً ثم استأذنوه، وأرادوا الانصراف، حينئذ سألهم السيد عن مهنتهم و صناعتهم، و قال: بماذا تشغلون أيها السادة؟ قالوا: في حياء و خجل، لا تسألنا عن ذلك، و بعضهم أعفنا عن هذا السؤال، و قاطعهم بعض أصدقائهم الذين حضروا، فقالوا: لا تتضايقوا يا إخواننا بهذا السؤال، ولا تتحرجوا من الصراحة والإخبار بالأمر الواقع، فعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم.

وشجعهم السيد فذكروا ما يشغلون به من أمور منكرة، و يتکسبون بها، و يعيشون عليها، واسترسلوا في الكلام، و أفاضوا فيه، فما تركوا نوعاً من أنواع الجريمة والرذيلة إلا و ذكروا صلتهم به، و تعاطيهم له، و قالوا في اعتراف و صراحة: لقد كان هذا دأبنا و صناعتنا إلى هذا اليوم، ولكننا نتوب الآن على يدك الكريمة عن جميع هذه الأعمال، وكل ما يخالف أحكام الإسلام، و يغضب الله و رسوله، ولم يدر هذا بخاطرنا قط حين قصدنا هذا المكان، إنما كان

غرضنا أن نتفرج ونتمتع ، ولكتنا لما جلسنا عندك ، ورأينا أخلاقك الفاضلة ، وأكرمت وفادتنا ، وعاملتنا بما لا نستحقه ، ولم نكن نتوقعه ، انكرنا فنوسنا وقلوبنا ، فإذا هي غير ما كنا نعرفها ، وإذا بها تحدثنا بأن نهجر بيوتنا وأهلنا ، ونلزمك فلا نفارقك ، فاسمح لنا أن نباعيك ونتوب إلى الله على يدك.

قال السيد: لا داعي إلى العجل ، فتعالوا يوم الجمعة ، نأخذ منكم البيعة ، وتحقق ما تطبوه.

وانصرف هؤلاء الرهط إلى بيوتهم ، فلما كان يوم الجمعة ، وتعالى النهار حضروا ، و وعدهم السيد بتحقيق مطلبهم بعد صلاة الجمعة ، فلما صلى الناس الجمعة طلبهم السيد بباعتهم على طاعة الله ورسوله ، وترك العاصي ، وعلى التوحيد والدين الخالص ، والابتعاد عن جميع أنواع الشرك والبدع ، وقدموا نقوداً كهدية ، وأخذها السيد ، ثم ردها إليهم وقال: هذه هدية مني لأطفالكم وعيالكم ، فقالوا: نريد أن يبايعوا هم كذلك ، ويتوبوا إلى الله ، قال سوف نزورهم إذا مررنا بناحية قرية ، وهكذا كان ، فقد بايعوا السيد في يوم قدومه ، وتابوا على يده.

ولما بايع أمان الله خان ، وسبحان خان ، ومرزا همايون ييك ، وكانوا من زعماء هذه الطائفة ومقدميها ، لم يعلم بذلك كثير من أصدقائهم ، فجاء غلام رسول خان ، وغلام حيدر خان ، وصدر خان ، إلى أمان الله ، وقالوا له: إننا في ضائقة في هذه الأيام ، ولا بد من حيلة وسعي يعني يجب علينا أن نفك في وضع خطة للوصول إلى هذا الغرض ، قال أمان الله خان: لا شأن لي بذلك ، وإنني لا أستطيع أن أساعدكم بشيء ، ويتعجب الأصدقاء الثلاثة ، وقالوا: لم نفهم ما

تقول ! أتريد أنك لا تستطيع أن ترافقنا في هذا اليوم ، و تستطيع أن تخرج معنا في يوم آخر ، أم ماذا ١٤

قال مرتضى همایون بیک " ليست القضية قضية اليوم والغد ، إنما هي قضية الحياة ، والسر في هذا أننا تبنا إلى الله من هذه الأعمال ، فلا نعود إليها أبداً ، قالوا : و متى كان هذا ؟ وفي أي مكان يا أخي ؟ !

قال همایون : قد ذهبنا أنا وزميلي إلى نزل ٢ الشیخ " بیر محمد " فباعينا فيه السيد أحمد الذي جاء من " رأئی بزیلی " وتبنا على يده عن جميع المعاصي ، وذكر شيئاً من أخبار السيد وفضله ، وأخلاقه .

واشتاق غلام رسول خان وأصحابه إلى زيارته السيد ، وأن يخبروا ما جربه زملاؤهم ، وأخبر السابقون السيد بخبر هؤلاء ، وما كان من أمرهم ، فأذن لهم السيد ، فجاءوا ووجدوا أكثر مما سمعوه ، وبايعوا السيد ، وتابوا توبة نصوحاً ، وتغيرت أخلاقهم وحياتهم ، وصاروا يعافون المال الحرام ، فلا يقررون ، وشق عليهم أن يستعملوا

١ - راجع للتفصيل إذا هبت ربيع الإيمان للشيخ أبي الحسن التدويني ، وفي هذه الرحلة الدعوية إلى لكتاؤ تغيرت أحوال ألف من الناس واكتسبت لكتاؤ الخير الكبير ، خلال هذه الملة القصيرة ، ورافقه في هذه الرحلة الشيخ محمد إسماعيل بن عبد الغني الذهلي ، والشيخ عبد الحي البرهانوي وإنهما كانا يلقيان خطباً كل يوم الجمعة ، فتابت علة قبائل وأسر عن الشرك والبدع والشبيعة على يد الإمام أحمد بن عرفان ، وبايعوه وصلحت أحوالهم ، وكثرة دخول الناس في مذهب أهل السنة والجماعة كانت سبب قلق الحكومة ، لأن أهل الحكومة ، ورجالها ليسوا من أهل السنة والجماعة وكانوا رواضن ولكتهم لم يكفوا عن عمل الدعوة إلى الدين الصحيح خوف لومة لائم ، فنكسدت سوق الشرك والبدع وتاب المنغمسوون في الجرائم ، وكان للسيد أحد تأثير عجيب ، كلما زاره أحد من الناس تاب وأناب ويكون مؤمناً صادقاً ، فعاد السيد بعد شهر إلى الوطن باشتداد الحرث على الجهد .

٢ المكان الذي نزل فيه السيد وجماعته ، ولا يزال مشهوراً بهذا الاسم في " لكتاؤ " ، وفيه جامع كبير ، بناء السلطان عالمكير أورنوك زيب - رحمه الله -

ما كان في بيوتهم من مال مشكوك فيه، وما كان من المتع القديم، من مكاسب من غير حل، ولما أراد السيد أن يعود إلى بلده، طلبوا منه المرافقة، لأنهم يخافون أن يتورطوا في حرام، أو يتمتعوا بما في بيوتهم، فأثنى عليهم السيد، ودعاه لهم بالبركة، وأشار عليهم بالاشتغال بالمهن المشروعة، وكسب الحلال، والكد باليمين وعرق الجبين.

ولما هاجر السيد للجهاد، رافقه أكثرهم، فمنهم من استشهد في سبيل الله، ومنهم من عاش في الصلاح والعفاف، وخدمة الإسلام والمسلمين، والتصح لله ولرسوله، والسعى لإعلاء كلمة الله.

### بعد العودة إلى وطنه رأي بريلي

كان غازي الدين حيدر أمير أوده يريد اللقاء بالسيد الإمام والاستفادة منه ، وبعد عودته إلى وطنه رأي بريلي أحب الأمير أن يعود السيد الإمام إلى لكتاؤ ، ويقيم بها كي يستفيده ، ولكن السيد لم يعد بنفسه ، وأرسل بعد إلحاحه الشيخ إسماعيل والشيخ عبد الحي فأضافهما الأمير ، ولكن لم ينتهز الأمير هذه الفرصة ولم يقدر له اللقاء بالشيوخين الجليلين طول تلك المدة ، لأن وزراءه وعلماء الشيعة يحولون بينه وبين زيارة الشيوخين الجليلين ، فرجعوا إلى رأي بريلي ، وكانت مدة هذه الإقامة برأي بريلي سنة واحدة ، اجتمع فيها لديه العلماء والمشايخ والدعاة والمربيون ، وتدل الأخبار أن الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدھلوي قد أكمل تأليفه "تقوية الإيمان" (وهذا الكتاب له دور كبير في شبه القارة الهندية في استئصال جذور الشرك والأوهام) أثناء إقامته عند الإمام الشهيد في رأي بريلي ، وكان الشيخ المحدث رشید أحمد الكنكوهي يقول عن هذا الكتاب : " إن الذين صلحت حياتهم وصحت عقائدهم به في حياة المؤلف يبلغون إلى رب

مليون" وقد صنف هذا الكتاب أولاً بالعربية، ثم بالأردية، وقدّمه على كبار العلماء والمشايخ كالسيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد والشيخ عبد الحفيظ، والشيخ إسحاق، والشيخ يعقوب، والشاعر الأديب مؤمن خان مؤمن، والشيخ عبد الله (أستاذ الشيخ مملوك العلي النانوتوي) ونوه به كل من العلماء.



---

١ - كتاب تقوية الإيمان معروف في الأوساط العربية بـ "رسالة التوحيد" نقله إلى العربية الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوبي .



## الباب الرابع

### الحج

كان الهدف الأسمى للسيد أحمد منذ طفولته الجهاد، ولذلك كان يشغل نفسه في أوقات فراغه بالأعمال الفروسية، ولذلك التحق بجيش أمير خان للتدريب العملي على فنون الحرب، ثم رجع من جيش أمير خان، بعد أن دخل أمير خان في معاهدة مع الإنجليز، فشغل نفسه بالإصلاح والدعوة، ومكافحة البدع والخرافات والأوهام السائدة في المجتمع المسلم، لكنه لم يصرف همه عنِّ jihad، فجعل مقره في رائي بريلي مس克راً للتدريب، وكان دائماً يحمل السلاح، وبعد عودته من "لكتاؤ" طلب من جميع أصحابه ومنهم الشيخ محمد إسماعيل بن عبد الغني والشيخ عبد الحفي أن يذهبوا إلى أوطانهم ويرتبوا شؤونهم، ثم يعودوا فارغين بالمال من مسئولياتهم العائلية مستعدين للهجرة في سبيل الله، كما عكف السيد أحمد خلال إقامته في "رائي بريلي" على إصلاح شؤون بيته، فقام بتوسيع منزله الذي كان لا يسع الضيوف الذين كان عددهم يتزايد يوماً بعد يوم، وكان كثير منهم يأتون بعائلاتهم نساءً وأولاداً للتربية والتعليم والإصلاح من أعضاء الأسرة وغير الأسرة.

### فتوى علماء الهند بإسقاط الحج

وفي أثناء الاستعدادات للجهاد أعلن السيد أحمد فجأة نيته للخروج للحج إلى بيت الله ، واختلفت آراء الباحثين في سيرته حول التحول في تفكير السيد أحمد ، فيرى بعض الباحثين ومنهم الشيخ غلام رسول مهر والشيخ أبو الحسن علي الجسني الندوي في سيرة السيد أحمد الشهيد ، أن السيد أحمد كان يفكر في أمر الحج منذ إقامته في "لكانؤ" فقد اطلع على فتوى أصدرها بعض علماء الهند بإسقاط فرضية الحج للأخطار وصعوبة السفر إلى الحجاجز في السفن الشراعية ، وكان الشيخ محمد إسماعيل والشيخ عبد الحي قد أبطلوا هذه الفتوى بإبطال الحج مطلقاً ، وأثبتتا فرضية الحج لمن استطاع إليه سبيلاً ، ثم أرسلت نسخة من الفتوى إلى الشيخ عبد العزيز فكتب الشيخ عبد العزيز الذهلي أيضاً في ردّ ما جاء من الدلائل في الفتوى لإسقاط فرضية الحج ، وأكد استمرار فرضيتها.

ولعل السيد أحمد منذ ذلك الوقت كان يفكر في مواجهة هذه الفتنة وتقديم أسوة من نفسه لتأدية الحج مع جماعة كبيرة من الناس ، فقام بإشهار عزمه على الخروج لتأدية الحج ، فإن مجرد توجيه الدعوة إلى الحج وإبطال الفتوى بالكلام لا يُجدي ، وقد استغل الفتوى ضعفاء الهمة فتركوا الحج ، فأعلن السيد أحمد أنه يعتزم الحج والعمرة ، وأذن في الناس بالحج ، وقال : من استطاع أن يتحمل نفقات الحج فلينفق مما آتاه الله من المال ، ومن لم يستطع فإنه يتحمل هو نفقات سفره ، وكان ذلك العزم صادراً من عزيمته ، وثقته بنصرة الله ، وتوكله على الله ، فإنه لم يكن يملك وسائل مادية ، لكنه أعلن وبدأ الاستعدادات للسفر.

### خلفيات هذه الفتوى

كانآلاف من المسلمين يقومون بالحج خلال عهدهم الظاهر، كذلك كان إذا اضطربت شؤون أحد من الأمراء سياسياً أو اجتماعياً كان يعتزم الحج، ويعتبر الحجراز ملاداً له، وكانت الملاحة في أيدي العرب فكان الحج مأموناً، ولكن بعد احتلال البرتغاليين للساحل الغربي صارت رحلات الحج عرضة للخطر، لأن البرتغاليين كانوا أعداء الإسلام والمسلمين، وقد حاربوا المسلمين في بلادهم ، وكان أعداء الإسلام في ضمائرهم ، وقد أغروا على قوافل الحجاج بمساعدة الإنجليز، وألحقو بهم أضراراً جسيمة، وكان الملوك المغول في عهد قوتهم وشوكتهم يعاقبونهم على ذلك أشد العقاب، لكنهم لما ضعفوا تجروا هؤلاء الأعداء ، وانهزم هذا الواقع بعض العلماء المسلمين فقالوا: إن شرط الحج هوأمن الطريق والاستطاعة، وقد فقد شرط الأمن فسقطت فرضية الحج.

### موقف الشيخ عبد العزيز الدلهي

عرضت آراء الشيخ محمد إسماعيل والشيخ عبد الحفيظ مع الفتوى على الشيخ عبد العزيز الدلهي ، فقال مؤيداً لرأي الشيخ محمد إسماعيل والشيخ عبد الحفيظ مصوياً له : إن الذين أصدروا الفتوى بإسقاط فرضية الحج لم يراجعوا جميع الكتب الفقهية ، وإنما اعتمدوا على بعض الكتب التي لا اعتبار لها، أما الكتب التي لها الاعتبار فلم يراجعوها.

إن دلائل هؤلاء المسقطين لفرضية الحج واهية ، والعمل بهذا الرأي ضلال ، وإن الذين أصدروا الفتوى اليوم لإسقاط فرضية الحج يمكنهم أن يسقطوا فرضية الصلاة والصوم بنفس الدلائل ، وقال : لا

شك أن السفينة تغرق أحياناً، ولكن العافية أكثر من البلاء، ولذلك لا يمكن اعتبار الغرق حيناً من الأحيان، دليلاً لإسقاط فرضية الحج. لكن هذه الحملة الكلامية والفقهية كانت لا تستطيع أن تكافح الفتنة التي عمّت وشملت، إنها كانت في حاجة إلى إجراء عملي، فتحمل السيد أحمد هذه المسئولية بنفسه لإنجاح الحج.

#### وأن في الناس بالحج

يقول الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوبي في كتابه "إذا هبت ريح الإيمان" وهو يلقي الضوء على الظروف التي أعلن فيها السيد أحمد نيته للحج:

"تعطلت فريضة الحج في الهند من مدة قريبة، أفتى بعض العلماء الذين كان أكثر اشتغالهم بالعلوم العقلية، ولم تكن لهم قدم راسخة في علوم الكتاب والسنة، وكان معولهم على بعض الكتب الفقهية، والأقوال الشاذة، بسقوط فريضة الحج عن ذمة المسلمين في الهند، على أساس أن السفر في السفن الشراعية في البحر خطر على النفوس والأرواح، فلا يتحقق الشرط، (مَنْ أَسْتَطَعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) وخف أهل الغيرة الدينية والفراسة الإيمانية، والراسخون في العلم، أن المسلمين لو استجابوا لهذه الدعوة وانصرفوا عن الحج، صعبت عودتهم إلى هذه الفريضة، وشق تجديد هذا الركن العظيم في الإسلام، ووقع خلل عظيم في الدين، وثلمة لا تسد في حصن الإسلام الحصين، فقام السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، وصاحباه مولانا عبد الحفي البرهانوي، ومولانا إسماعيل الشهيد الدلهلي بحملة علمية وعملية قوية ضد هذه الفتنة العميماء، ثم نادى السيد في الناس بالحج، وأرسل البعوث، وكتب الرسائل، وتکفل

نفقات كل من ليس عنده زاد، وطار ذلك في الهند، وشاع في الناس، فالتذهب جمرات الشوق والإيمان الحامدة، وقويت المهم الفاترة، وصار المسلمون في أنحاء الهند يستعدون للسفر، ويترسدون له بكل طريق ممكن، ودببت في المسلمين حياة إيمانية جديدة، وقوى الحنين إلى البيت الحرام، وأم الناس من كل ناحية من أنحاء الهند إلى مركز هذه الدعوة وقطبها، والتفوا حوله، فما من يوم إلا وفيه وفد من قاصدي الحج، والمستجيبين لدعوة الله، ونداء خليله إبراهيم.

﴿وَأَدْنِ فِي النَّاسِ بِالْحَجَّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧]

السيد أحمد يخرج مع ٤٠٠ من أصحابه

وجاء اليوم الموعود المشهود، وتوكل السيد أحمد على الله، وخرج مع الناس في غرة شوال سنة ١٢٣٦هـ (٢ يوليو ١٨٢١م) بعد صلاة العيد السعيد<sup>١</sup> ، وعبر النهر الصغير الذي يجري أمام قريته، وودع الذين جاؤوا لوداعه، وتوجه إلى "دلثو"<sup>٢</sup> ليركب منها على سفن تصل به إلى "كلكتة" وقد بلغ عدد رفاقه وأتباعه إلى أربعين ألف نسمة حين خرج من بلده<sup>٣</sup>.

فركب وبذل ما كان معه من شيء قليل من الدرهم على المساكين، وقال: نحن أضياف الله سبحانه وتعالى لا نل JACK إلى الدينار والدرهم، فانطلق ومر على كثير من المدن والقرى خلال رحلته

١ - وفي بعض الروايات سلح شوال .

٢ - قرية كبيرة في مديرية رائي بريلي على شاطئ نهر الكنج (Ganga) على ثلاثة كيلو متراً

٣ - فقد تكامل هذا العدد في "كلكتة" وبلغ إلى أكثر من سبعين ألف نسمة .

السعيدة.

### الرحلة الحجازية فرصة للإصلاح والتربية الدينية

وكانَتْ هذِهِ القافلة مدرسة سيارة، وثكنة جوالة، ومجتمعاً دينياً متقدلاً، تلقى فيه الموعظ والخطب، ويتعلّم الناس الدين وأحكام الشرع، وأداب الإسلام، ويخدم بعضهم بعضاً، ويتعاونون على البر والتقوى، ويسود جو من الأخوة والمواساة، والعدل والمساواة، لا يستنكف أحد عن عمل مهما كان حظراً، ويتحملون المشاق، ويستلذون بها، ويختسبونها في سبيل الله، وي亨ئون عليها نفوسهم وإخوانهم، وكانتوا كأعضاء جسد واحد، وأبناء أسرة واحدة، وكان يغشاهم سحاب من سكينة ووقار، وهدوء وسلام، وإخاء ووئام، وقد تناسوا أو طانهم وبيوتهم، وما كانوا فيه من نعيم ورخاء، وسكون واستقرار، يحدوهم حادي الحب والشوق، ويقودهم قائد الإيمان والاحتساب، وقد سمعوا ما ورد في فضل "من أحيا سنة بعد ما أحيت" <sup>١</sup>، فكيف يفضل من سعى لإحياء فريضة هجرت وعطلت؟

### خطبة السيد أحمد أمام أصحابه من عازمي العج

وبعد ما بدأ القافلة رحلتها وقطعت مسافة قصيرة، استقبلهم أهل دلثو وأضافوهم وأثناء إقامته بها أصلح السيد الإمام بين فترين مسلمتين، وكان الشيخ عبد الحفيظ يعظ الناس ويدركهم، ويدعوهم

١ - جاء في مسند رزين عن علي رضي الله عنه مرفوعاً: من أحيا سنة من سنتي أحيت  
بعدي فقد أحبني ومن أحبني كان معي، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: رسول  
الله ﷺ: من تمسك بستي عند فساد أمي فله أجر مائة شهيد (مشكلة المصايح ٢٠١).

إلى التوحيد الخالص والستة السنة البيضاء، وبعد أربعة أيام وقف السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد بعد صلاة الصبح، وخطاب أصحابه قائلاً:

«إخواني! إنكم هجرتم أوطانكم ومنازلكم، لتسعدوا بالحج والعمرة، ابتغاء رضوان الله، فيلزمكم أن تكونوا إخوة متحابين كأنكم أشقاء، أبوكم واحد وأمكم واحدة، ويحب أحدكم لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، ولি�شارك كل واحد صاحبه فيما يشتغل به، ولا يستنكف عن خدمته، بل يعتبر ذلك شرفاً وفخرًا، فإذا رأى الناس فيكم هذه الأخلاق حرصوا على صحبتكم ومرافقتكم، وقالوا: هؤلاء من طراز خاص، ونوع فريد، ففاز هؤلاء القوم، وحسن أولئك رفيقاً».

ثم حث الناس على التوكيل، وذكر أن الله هو الرزاق الحقيقي، وأنه يرزق الإنسان من حيث لا يحتسب، «وَمَا مِنْ دَبَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رُزْقُهَا» [هود: ٦] وقال: إِنِّي لَأُرْجُو أَنَّ اللَّهَ يَهْدِي فِي هَذِهِ الرَّحْلَةِ مِئَاتَ آلَافَ مِنَ النَّاسِ، وَيَخْرُجَ آلَافًا مِنَ الَّذِينَ قَدْ غَاصُوا فِي مُسْتَنْقِعِ الشَّرِكِ وَالْبَدْعِ، وَالْجَهَالَةِ إِلَى أَذْقَانِهِمْ، وَجَهَلُهُمْ شَعَائِرُ الْإِسْلَامِ جَهَلًا بَاتِّا، فَيَعُودُونَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُوْحَدِينَ مُؤْمِنِينَ مُتَقِيْنَ، وَإِنِّي دُعُوتُ اللَّهَ كَثِيرًا لِأَهْلِ الْهَنْدِ، وَقَلْتُ يَا رَبِّنَا! إِنَّ الطَّرِيقَ إِلَى بَيْتِكَ قَدْ أَصْبَحَ مَسْدُودًا، وَقَدْ سُولَ الشَّيْطَانُ لِكَثِيرٍ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ أَنَّ الْأَمْنَ مُفْقُودٌ فِي الطَّرِيقِ، فَلَا حَجَّ عَلَيْهِمْ، فَمَاتُوا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَحْجُوا، وَلَا يَزَالَ آلَافُ مِنْ أَصْحَابِ الثَّرَاءِ وَالْيِسَارِ الَّذِينَ وَسَعَ اللَّهُ لَهُمْ فِي الرَّزْقِ وَأَغْدَقَ عَلَيْهِمُ الْأَمْوَالَ لَا يَفْكِرُونَ فِي الْحَجَّ، وَقَدْ اسْتَولَى عَلَيْهِمْ هَذَا الْخُوفُ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ، فَيَا رَبِّ افْتَحْ الطَّرِيقَ إِلَى بَيْتِكَ بِرَحْمَتِكَ، فَلَا يَخْفَ أَحَدٌ، وَلَا يَحْرِمُ هَذِهِ السَّعَادَةُ الْعَظِيمَى، وَالْفَرِيْضَةُ

الكبيرى ، وقد أجاب الله دعائى ، فمن يعش منكم يرى ذلك بأم عينه ، ويشاهد عياناً .

### روح التطوع والخدمة

وصل السيد ورفاقه في طريقهم إلى "كلكتة" إلى بلد على شاطئ النهر ، اسمه "مرزا بور" ١ ، وإذا بسفينة حمولة واقفة على الشاطئ مشحونة بغرائز وجوايلق من القطن ، وصاحب السفينة يتضرر الحمالين الذين ينقلون هذه الجوالق إلى مخزنه ، فاضطررت سفن الحجاج إلى الانتظار بعيداً عن الشاطئ ، حتى يأتي دورها ، سأله السيد عن السبب ، فقالوا : سفينة حمولة قد حجزت الشاطئ ، وسدت طريقنا ، وهي تنتظر التفريغ ، والحملون غائبون ، فقال : ومن يمنعنا عن أن نباشر هذا العمل ؟ ألسنا بشراً ، أم أيدينا مكتوفة ، أو مغلولة ؟ ولم يتم الأمير هذه الكلمة ، حتى وثب الناس . وفيهم كبار العلماء وأبناء الأشراف والأغنياء - إلى السفينة ، وتحطفوا هذه الأعدال الثقيلة ، يحملونها على رؤوسهم وأكتافهم ، منهم من يستقل بحمله ، ومنهم من يتعاون مع صاحبه ، ينقلونها إلى حيث يريد الناجر ، حتى فرغت السفينة في وقت قصير ، وكفى الناجر مؤنة الحمل والأجرة ، والناس ينظرون إلى هذه الجماعة في دهشة واستغراب ، وفي سرور وإعجاب ، ويقولون : عجباً لمؤلاء الحجاج يقومون بهذا العمل الشاق طوعاً

١ - وقبل الوصول إلى مرزا فور مكث في مدينة "إله آباد" قريباً من خمسة عشر يوماً وهي مدينة كبيرة بالولاية الشمالية في الهند على مسافة خمسة وأربعين ميلاً من مرزا فور ، فانتفع بجهوده الطيبة كثير من الناس ، يبلغ عددهم آلافاً مؤلفة يتضاعف ذلك برسالة ابن أخيه السيد حيد الدين ، وبعد بضعة أيام توجه الشيخ إسماعيل إلى مرزا فور بأمر شيخه قائد تلك الحركة الإصلاحية الدعوية السيد أحمد بن عرفان ، ثم توجه إليها السيد الإمام ومرافقوه الآخرون

واحتساباً، وليس بينهم وبين هذا التاجر سابق معرفة، ولا يد يحفظونها، ولا نعمة يحيزنونها، إنهم من نوع آخر من الرجال.

### **إزالة الفوارق الطبقية والمهنية**

تأثير المسلمين في الهند لطول إقامتهم في هذه البلاد، وضعف التعليم الديني، وتأثير العنصر الحاكم، الذي لم يسع التعاليم الإسلامية كل الإساغة، وكانت فيه بقايا الجاهلية من عادات المواطنين، وظهر فيهم التمييز بين الطبقات، واحتقار بعض الصناعات، والتفاخر بالأنساب، وكان كثير من أبناء البيوتات الشريفة يتغieren من مخالطة أصحاب الحرف الوضيعة، ومؤاكلتهم، ويررون في ذلك غضاضة وعاراً، وكان السيد يحارب هذه النزعة بكل عزم وجد، ويدعو إلى التعاليم الإسلامية لاحترام الإنسانية، والمساواة بين المسلمين.

وكان في "مرزا بور" سبعة بيوت، يشتغل أهلها بصنع الأجر والقرميد، يطبخونها ثم ينقلونها إلى بيوت من يشترىها ويرغب فيها، وكانوا يستخدمون في ذلك الحمير والبغال، يربونها ويقتنونها، وكان بعضهم يملأ خمسين حماراً وبغلاً فأكثر، وبعضهم ستين، وكانت هذه صناعتهم وحرفتهم، وقد اشتهروا في البلد "بالحمارة" أو أصحاب الحمير، وأصبح لهم لقباً وشعاراً، فهجرهم الأشراف وأبناء البيوتات، وكانوا يتغieren من مجالستهم، ويتقدرون من الأكل معهم، وأصبح ذلك شعاراً للأشراف والأغنياء.

ولما وصل السيد إلى "مرزا بور" ورأى هؤلاء الحمارة إقبال الناس على هذه الجماعة، ورأوا تواضعهم ودماثة خلقهم، وعرفوا أنهم قد خرجوا من بيوتهم يقصدون بيت الله، ووقع حب أميرهم في

قلبهم ، أرادوا أن يتبركوا بهذه الجماعة ، ويضيفوا ضيوف الله ، فدعوا السيد وزملاءه إلى الطعام ، وهم بين خوف ورجاء ، وشجاعة وحياء ، تبطّه همّتهم التجارب السابقة ، وقد أقيم بينهم وبين غيرهم من المسلمين سور لا يتسرّه أحد ، وتطمعهم أخلاق هذه الجماعة في إجابة هذا الطلب ، ثم تشجعوا أخيراً ، وتوكلوا على الله ، وقالوا للسيد : "أتكرمنا يا سيدي بقبول دعوتنا ، والأكل على مائدتنا مع زملائك الكرام ؟

قال السيد : نعم وكرامة !

وفرح "الحمار" واغبطوا به ، ورجعوا إلى بيوتهم مسرورين . ولما سمع الناس بذلك في البلد ، أفزعهم ذلك ، وكبر على الأشراف وسراة الناس ! ومشى كثير منهم إلى السيد ، وقالوا له : إننا لا نرى لكم رأياً أن تلبوا دعوة هؤلاء الحمار ، وتأكلوا عندهم ، وليس في البلد من يأكل عندهم من المسلمين .

قال السيد : ولماذا ؟ أليسوا مسلمين ؟ ألا يتكسبون بالحلال ؟ وما ذنبهم ؟ إن الركوب على الحمار سنة ثابتة ، وقد أثر عن الأنبياء والأولياء ركوب هذه الدواب ، واقتاؤها وتربيتها ، فلا تزال هذه العادة في الحرمين الشريفين ، يركب الناس الحمير والبغال ، ولا يرون بذلك بأساً ، ووعظهم السيد ، وبين لهم أن التعير بمثل هذا من عادات الجاهلية ، وتسويفات الشيطان .

ذهب السيد مع أصحابه إلى صانعي الطوب المشهورين بالحمار في البلد ، وآنسهم ، وانبسط لهم ، وتناول الطعام .

وبعد ما انصرف من الأكل قدم إليهم أصحاب الدعوة مبلغاً من المال ، ورزمة من الثياب الفاخرة ، والقماش الغالي هدية ، واعتذر السيد عن قبول هذه الهدية ، ولما رأى الكراهة والحزن في وجوههم ،

قال لهم : هونوا عليكم يا إخواني ، فإنني لم أعتذر عن قول هديتكم إلا لصلحتكم ، فإننا لو قبلنا هذه الهدايا ، لقال الناس : إنما قبلوا الدعوة طمعاً في هذه الطرف والهدايا والأموال الطائلة ، أما الآن فلا يجد الناس شيئاً يتعللون به ، وسيقبلون على مؤاكلتكم ومجالستكم ، ولا يرون في ذلك غضاضة .

وهكذا كان ، فقد انهار هذا السور الحاجز بين هؤلاء وأهل البلد ، وبدأ الناس يؤكلونهم ويجالسونهم ١ .

#### اقبال الناس على السيد الإمام

كانت قافلة الحجاج ترحب في القرى والمدن وفي الشوارع والمحطات للاستفادة بهذه الجماعة وقادتها وشيخها ، ولم يشاهد مثله منذ مدة طويلة ، حتى قيل : لقد هبت ريح الإيمان والتوبة ، وحل ربيع القلوب والأرواح ، وكان منادياً ينادي في الناس هلموا إلى التوبة والإنابة ، وإلى تجديد الإيمان والإسلام !

فكان الناس يأتون السيد الإمام جماعات وأقطاعاً ، وعلى يده يعاهدون الله على التوحيد والإخلاص ، ونبذ الشرك والبدع ، وترك المعاصي والمنكرات ، فكم من الناس آمنوا وأسلموا ، وكم منهم تابوا من البدع والتشيع ، وكانت في هذه القرى والمدن شاعت أسماء تشعر بالشرك وإضافة صفات لغيره كعبد الحسن ، وعبد علي ، وعبد

١ - "إذا هبت ريح الإيمان" ص : ٣٥-٣٧ مؤسسة الرسالة بيروت ، وفي نفس المصدر أيضاً : كان النظام الظبي ي يقوم في الهند على أساس الحرف والصناعات والأسر والبيوتات ، وتتأثر المسلمين في الهند بهذا النظام ، وكانت الصناعة الشائعة في "بنارس" الحياة وصنع الأقمشة وهم الغالبية في بنارس حين زار السيد هذه المدينة ، وأصحاب هذه الصناعة معروفون بالاعتناء بالدين وحفظ القرآن ، ونبغ فيهم علماء كبار ومحدثون ، وحلت فيهم بركة الدين والتکسب بالحلال ، انتهى .

الرسول، وعبد النبي، وأحمد بخش، ومدار بخش، وسالار بخش، أي هبة "مدار" نسبة إلى الشيخ الكبير بديع الزمان المدار المكتبوري، وسالار بخش يعني هبة "سالار" والمقصود منه السيد سالار مسعود الغازي من أشهر الأعلام في الهند فتغير الأسماء التي تشعر بالشك وتقديس الأشخاص، وتكسر الصرائح المصنوعة بالقرطاس والعود ما يشبه ضريح سيدنا حسين بن علي رضي الله عنه التي تسمى في الهند "تعزية"

وكان الناس يدعون السيد إلى بيوتهم، فكان يذهب من بيت إلى بيت ليلاً ونهاراً، لا يضيع أي لحظة من الخدمة، ولا يشكو فساد الطرق وشدة الظلام، ينادي ربه وينصح لعباده جل وعلا، ودخل بعض أهل المدن والقرى في الحياة الإمامية الجديدة، ولم يختلف المسلمون عن التوبية، وكان أثر البيعة والتوبية يظهر في حياة الناس وأخلاقهم سريعاً، ولذلك كان حديث التوبية والبيعة حديث النوادي والمحافل، وشغل الناس الشاغل، أصلح بين زعماء الطوائف ورؤساء القبائل بالوعظ والتذكير، فتصالحوا وتصافحوا وتصالح معهم أتباعهم الذين يبلغ عددهم إلى مئات وألوف، وفي "إله آباد" بلغ عدد المبایعین والتائین إلى حد لا يقدر، وفي "بنارس" و"عظيم آباد" (بنته) تهافت الناس عليه تهافت الفراش على الضوء، وبايعوه وتابوا عن المعاصي والمنكرات، وأصلحوا، ومكث السيد الإمام مع جماعته ببنارس شهراً كاملاً، وبعد العيد توجه إلى "عظيم آباد" من طريق "غازي فور" و"دانافور"، وفي "عظيم آباد" صادف السيد جماعة من أهل "تبت"، وكانوا في انتظاره لابن بدعوته للحج، فسألهم السيد عن أخبار بلادهم وعن أحوال المسلمين فيها، وعن الزاد والراحلة، ووعظهم وذكرهم، ثم استخلفهم، وأمرهم بالرجوع إلى بلادهم دعاء

ومرشدين ودعا لهم، فانتشرت دعوتهم في "تبت" ولما رأوا أن دعوتهم قد انتشرت في "تبت" أو غلوا في البلاد وتوسعوا في الدعوة، ودخل بعضهم في الصين، فقاموا بالدعوة هناك، واهتدى بهم خلق كثير، وعرفواحقيقة الإسلام، وذاقوا حلاوة الإيمان ١.

في كلكمة

وبلغ السيد الإمام إلى "كلكتة" ماراً بطريق "سورج كره" ٢ و"مونجبر" وبهاغل فور" و"راج محل" و"مرشدآباد" كان يدعو أهلها إلى التوحيد الخالص ونبذ الشرك والبدع والأوهام، فباع أهلها وتابوا وصلحت حياتهم.

يقول الشيخ أبو الحسن الندوبي عن وصول الإمام إلى "كلكتة" وتأثير إقامته فيها :

" وأنه لما أقام مع أصحابه في "كلكتة" في طريقه إلى مكة المكرمة، واشتغل هو وبعض أصحابه من العلماء كالمصلح الكبير الشيخ إسماعيل الشهيد بالوعظ والتذكرة، وتقاطر الناس على السيد للبيعة والتوبية عن المعاصي، وكان تأثير هذه الموعظ ودخول الناس في الدين، وانقيادهم للشرع أن تعطلت تجارة الخمر في "كلكتة" وهي كبرى مدن الهند - ومركز الإنجليز - كسدت سوقها، وأقفرت الحانات،

١ - إذا هبت ريح الإيمان نفلاً من "وقائع أحدي" وفي سيرة السيد أحد الشهيد للشيخ أبي الحسن الندوبي ٣٢١ بعد عودته من رحلة الحج في عظيم آباد، لقيه الوفد الصيني وذكر للسيد الإمام عن بعض الدعوة الذين يعملون على منهج السيد الإمام فقل لهم: إن تسعة نفر من أهل تبت التقوا بنا وبايعونا ثم عادوا إلى أوطنهم، فقالوا له: هم الذين جاؤوا في بلادنا ..

٢ - سورج كره موطن العلامة الحدث الشيخ نذير حسين الدلهلي، ولكن الشيخ الذي من الإمام بعد عودته من رحلة الحج في عظيم آباد ..

واعتذر الخمارون عن دفع ضرائب الحكومة، متعللين بكساد السوق وتعطلت تجارة الخمرا.

ويقول الأستاذ غلام رسول مهر: إنه يعتقد أن السيد أحمد يكون قد وصل إلى "كلكتة" في صفر ١٢٣٧هـ (نوفمبر ١٨٢١م) ولعل رحلته من رأيي بريلي إلى "كلكتة" تكون قد استغرقت حوالي أربعة أشهر، ثم طالت إقامته بكلكتة ثلاثة أشهر، قضى هذه المدة كلها في الدعوة والإرشاد، وتاب على يديه ألف من الناس، وبدأوا يتبعون الشريعة، وتركوا المعاصي والجرائم، وزوجت مائة من الأرامل من جديد، وكتب السيد محمد علي ٢:

"وكان يتوجه إليه من كل صوب عدد لا يحصى من المسلمين، ويتوبون وينداؤن إتباع الشريعة.

وقد صدق بعض المؤرخين الإنجليز هذا الانقلاب الذي حدث في حياة المسلمين في كلكتا خلال إقامة السيد أحمد فيها في طريقه إلى الحج، فكتب أحد المؤرخين أنه لما وصل السيد أحمد إلى "كلكتة" في عام ١٨٢٢م تاب الناس عن المعاصي والذنوب، وابتعد السكان المسلمون من السيئات والمنكرات بصورة عامة.

وكتب الشيخ إسحاق ٣ أن زيارة السيد أحمد لكلكتا غيرت

١ - انظر: رياضية لا رياضية للشيخ الندوبي ص ٩٦ ، ط : دار الكلمة المنصورة مصر .

٢ - السيد محمد علي هو ابن أخت الإمام أحمد بن عرقان الشهيد وكان أكبر من خاله ، لازمه ملازمة تامة ورافقه في الحج والجهاد ثم أقام ببلدة طرك ، له كتاب "مخزن أحدي" في أخبار الإمام الشهيد وأحواله ، توفي ١٢٦٦هـ في طرك بولاية راجستان في الهند ، وكان السيد أحمد علي الذي استشهد في "بهلرا" شقيقه .

٣ - هو الشاه محمد إسحاق بن محمد أفضل العمري الدهلوبي من أكبر تلامذة الشيخ عبدالعزيز الدهلوبي وسيطه ، جلس مجلسه ونزل صيانتاً في الأفاق ، وهو الذي انتهت إليه رئاسة تدريس الحديث الشريف ، وكان الإمام أحمد الشهيد يثق به ويرأسه ، وكان

جو المدينة، وظهرت ملامح الحياة الإسلامية في كل مكان. ويقول الحاج حمزة علي خان: إن الناس كانوا يتهاقون عليه، فكان السيد أحمد لا يجد فرصة للاستراحة ، ويستمر دخول الناس في بيته من الضحى إلى الليل ، وأسلم على يده عدد من غير المسلمين ، وكان لغبطة الإنجليز ، وانتشار ثقافتهم فيها قد عُم السفور ، وراج تعاطي الخمر ، فأغلقت الحانات ، وعم الحجاب بتأثير مواعظ السيد أحمد.

### توبية أعضاء أسرة السلطان تيبوا

كان الإنجليز قد نفوا أولاد السلطان تيبوا الشهيد إلى "كلكتا" ، وكان أحد الأمراء قد فسّدت عقيدته لتأثره بأحد الفلاسفة الملحدين ، واستدعي الأمراء السيد أحمد ، فتابت الأميرات على يده ، وأكرم أعضاء أسرة السلطان السيد أحمد ورفقته غاية الإكرام ، لصلة السلطان تيبوا بشياخ أسرة السيد أحمد في "رأئي بريلي".

وألقى الأمير الذي فسّدت عقيدته كلمة يعبر فيها عن أفكاره المنحرفة ، وكان الشيخ محمد إسماعيل والشيخ عبد الحي حاضرين في المجلس ، واستعد الشيخ إسماعيل أن يرد على الشبهات التي أثارها الأمير ، ولكن السيد أحمد وقف يرد على دعوه وشفى نفسه ، فتاب الأمير ، وأقام مأدبة تكريماً للسيد أحمد وأصحابه .<sup>٢</sup>

في مقدمة أفراد جماعة الإمام الشهيد وأنصار دعوته الذين لم يذهبوا معه إلى التغور ، ولكنهم كانوا يرسلون إليه أموالاً طائلة ويلغون إليه أسراراً وأخباراً.

١ - سبقت ترجمته .

٢ - ذكر الشيخ أبو الحسن الندوبي تفاصيل اللقاء في كتابه "سيرة السيد أحمد شهيد" نقاًلاً من كتاب "منظورة الشهداء" ، وـ "وقائع أهدي" .

ومن كلكتة بعد هذه الإقامة التي غيرت جو المدينة كلها ، ركب السيد أحمد وأصحابه السفن ، وكان عدد الحجاج سبعمائة وثلاثة وخمسين شخصاً ، وكان عدد السفن عشرة ، وعين أمير لكل سفينة ، وكانت الجماعة التي كان أميرها الشيخ محمد إسماعيل تشتمل على ١٧٥ شخصاً ، والجماعة التي كان أميرها السيد أحمد وكانت تشتمل على الأقارب وأعضاء الأسرة ، كان عدد أفرادها ١٥٠ شخصاً.

#### رياح الإيمان في المناطق الساحلية

ومرت سفن الحجاج بسيلان (سريلانكا) ، ثم راس كماري ، ثم مرت بكاليكت ، ولما علم سكان كاليلكت بقدوم السيد أحمد ، جاؤوا بالسفن الصغيرة ، وأصرروا على أن ينزل في كاليلكت ، فنزل السيد أحمد ، وأقام في مسجد قريب من الساحل ، كذلك اجتمع الناس من "أمين ديب" ، ثم وصل مارا بجزيرة "سقوطرا" إلى "عدن".  
ونزل السيد أحمد في عدن لأنها جزء من الجزيرة العربية ، وأدى صلاة الشكر بوقوع أقدامه على هذه التربة المباركة ، ودخل المدينة ، وذبح شكراً على وقع أقدامه على الأرض المقدسة ، وأقام بهذا المكان يوماً وليلة ، وعند البعض قضى ثلاثة ليال.

ومر بباب المدب وكان البحر متلاطمًا هائجاً ، وحكى السيد زين العابدين أن السيد الإمام كان واقفاً يلقي النظرة على البحر الهائج فيقول : "سبحان الله وبحمده سبحانه الله العظيم" ، وينشد أبياتاً من شعر حافظ<sup>١</sup> في الشوق والحنين والمحبة ، والدموع تنهمر من عينيه ، ويحمد الله ويجده ويدرك آلاءه ونعمه عدة ساعات.

١- هو حافظ الشيرازي (٧٩٣٢هـ) له ديوان بالفارسية تلقى بالقبول لدى الناس ولا يزال الناس يعتنون به .

ووصلت السفينة إلى "مخا" في اليمن وهو ميناء يمني كبير، وطلت السفينة راسية مدة أشهر، لأنها أنزلت هنا ما كانت تحمله من البضائع لهذه المنطقة، واستأجر السيد أحمد متولاً نزل فيه مع أصحابه في داخل المدينة.

وفي "مخا" علم السيد أحمد أن الشيخ محمد بن علي الشوكاني من كبار علماء اليمن ألف كتاباً جمع فيه الموضوعات، وطلب السيد أحمد من الشيخ عبد الحي أن يحصل على نسخة من الكتاب فكتب إلى القاضي بأن يزوده بنسخة من الكتاب، فوصلت نسخة، وبهذا الطريق وصل هذا الكتاب إلى الهند.

وفي سائر الأماكن والمناطق التي مررت بها قافلة الحجاج هبت رياح الإيمان، والتوحيد الخالص، بدعة الإمام السيد أحمد بن عرفة، كتاب خلق كثير لا يحصون عن الذنوب والمعاصي، وهجروا العادات القبيحة، والتقاليد الوثنية والمنكرات، وتمسّكوا بتعاليم الإسلام السمححة.

### في مكة المكرمة

وأقام السيد أحمد أربعة أيام في جده، ثم توجه إلى مكة المكرمة ونزل في الحديبية، ودعا بهذا المكان دعاءً طويلاً، ثم توجه إلى مكة المكرمة من الطريق الذي دخل به رسول الله ﷺ عند قدومه لفتح مكة من أعلى مكة، فلما مر بوادي حجرون وقف للدعاء والفاتحة على قبر أم المؤمنين خديجة الكبرى في المعلا، ثم دخل الحرم الشريف من باب السلام، وأدى العمرة، وهكذا انتهت هذه الرحلة من الوطن إلى مكة المكرمة التي استغرقت عشرة شهور، وقد قضى شهراً في بنارس، وثلاثة أشهر في كلكتا، وشهرًا في "مخا".

كان العهد الذي أدى فيه السيد أحمد الحج والعمره عهد رد الفعل العنيف ضد حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فقد انتهت الحرب ضد النجدية، وكان كل من يتشدد في التوحيد ورد البدع يعتبر وهابياً ويعاقب، وقد كان بعض أصحاب السيد أحمد متشددين في بيان التوحيد، فسجن بعضهم، ولا يثبت تاريخياً أنه هو وأصحابه التقووا باتباع أو تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب كما ادعى بعض الكتاب الإنجليز بأن دعوته إلى التوحيد وحركته للجهاد كانت من تأثير حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب<sup>١</sup>.

أما الذين التقى بهم السيد أحمد حسب ما ذكره الشيخ أبوالحسن علي الحسني الندوبي كان منهم الشيخ شمس الدين شطا، والشيخ حسن آفندي نائب سلطان مصر، وأحمد باشا، ومن علماء مكة الشيخ عبد الله سراج، وشيخه الشيخ محمد عمر مفتى مكة المكرمة، والسيد محمد المغربي حافظ الجامع الصحيح للإمام البخاري مع شرحه القسطلاني، والشيخ حمزة المحدث، والشيخ أحمد بن إدريس، والشيخ محمد علي الهندي، والملا بخاري، والإمام الشيخ صالح الشافعي، والمفتى الحنفي الشيخ علي، كما التقى بالشيخ عمر بن عبد الرسول يوم العيد، وكان محدثاً جليلاً وصالحاً متورعاً معروفاً<sup>٢</sup>. دخل في بيته يوم العيد، الشيخ مصطفى إمام الحنفية، وخواجه الملاس الذي كان من كبار مشايخ المدينة المنورة، والشيخ محمد علي الهندي المدرس بمكة المكرمة، والشيخ شمس الدين المصري، والشيخ حسن آفندي، ودخل في بيته شيخ كبير من "بلغاريا" وعلماء

١ - وقد وقع في هذه المغالطة عدد من الكتاب كأحمد أمين في "زعماء الإصلاح".

٢ - سيرة السيد أحد الشهيد للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوبي.

"جاوا" واستفادو منه ، وبابع رفقاه على الجهاد في أيام الحج في العقبة الأولى ، ومن حج في هذا العام القاضي الشوكاني ، والتقى به الشيخ عبد الحفي ، والشيخ منصور الرحمن ، فأهدى إليهما الشيخ الشوكاني نسخة من كتاب الاتحاف . ١

وألقى الشيخ عبد الحفي درس المشكاة ، والشيخ إسماعيل درس حجة الله البالغة للشيخ ولی الله الدهلوی ٢ في الحرم الشريف ، كما قام الشيخ عبد الحفي بنقل كتاب "صراط مستقيم" للسيد أحمد إلى العربية في هذه الرحلة ليعم نفعه به .

#### عودته من الحج والزيارة

وبعد الحج توجه السيد أحمد إلى المدينة المنورة ، وأقام بها شهراً كاملاً ، وقضى شهر رمضان في مكة المكرمة ، وغادر مكة المكرمة في ١٥ شوال (٢٥ مايو سنة ١٨٢٣م) ووصل إلى يومي في ٢٠ / ذي الحجة (٦ أغسطس سنة ١٨٢٣م) وأقام ثمانية عشر يوماً داعياً ومعلماً اهتدى به كثير من الناس وبايته ، ووصل إلى كلكتا ماراً بـ "مالابار" في ٦ / صفر ١٢٣٩هـ (١٢ / أكتوبر ١٨٢٣م) ، وعاد إلى الوطن في ٢٩ / شعبان ١٢٣٩هـ ، (٢٩ / أبريل ١٨٢٤م) .

وزار في الطريق كثيراً من المدن والقرى "مونجير" و "عظيم آباد" (بنية) و "غازي فور" و "بنارس" و "مرزافور" وتلقى حفاوة بالغة وترحيباً حاراً أينما حل وسار ، وتاب ألف من الناس على يده المباركة عن المعاصي والذنوب ، وتغيرت الظروف بمواعظه المؤثرة وكلماته الرقيقة المرقة ، وهبت النفحات الإيمانية في كل مكان مرتبه ،

- نفس المصدر .
- ٢ - نفس المصدر .

واستغرقت هذه الرحلة الحجازية ستين وعشرة شهوراً :  
 وفي هذه الرحلة كان السيد أحمد يحب أن يذهب إلى القدس  
 لزيارة ، ولكنه لم يقصده من أجل رفاقه لأن سائر رفاقه لم يستطيعوا  
 أن يذهبوا إليه فلم يسافر شفقة لهم .



١- راجع للتفصيل : السيد أحمد الشهيد للأستاذ غلام رسول مهر وسيرة سيد أحمد الشهيد للشيخ أبي الحسن علي الحسني التدويني .

## الباب الخامس

### الهجرة والجهاد

#### الوضع السياسي في أواخر القرن الثاني عشر للهجرة

تغيرت الظروف في الهند، وظلت تتدحر يوماً بعد يوم بعد وفاة الإمبراطور عالمكير، وتولى الحكم أبناءه الذين كانوا غير مؤهلين له، فقد قضى الإمبراطور عالمكير أكثر أيام حياته الأخيرة خارج دلهي، فلم تتح لأولاده فرصة تربية والده، ورعايته، فأصبح معظمهم أسرى في أيدي رجال البلاط وأعوانهم، وتصعدت نشاطات الفرق المسلحة من الجات، والمرهنة، والسيخ، واستغل الإنجلiz هذا الوضع، وسيطروا على معظم أجزاء البلاد في الشرق، وتغلغل نفوذهم في العاصمة، وقد تحولت ولايات بنغال، وبهار، وأريسه عام ١١٧٩هـ ١٧٦٥م إلى دولة الشركة الهندية الشرقية، واستولت الشركة على بنارس وغازيبور أيضاً، ولم يبق في عهد شاه عالم في أيدي الأسرة التيمورية إلا ولاية إله آباد، وكان لا يملك الملك المغولي إلا ما كان يسمح له الإنجلiz به من نفوذ ونقود، وجاء في مجلة "الواقع" الصادرة بكلكته في ٨ مارس عام ١٧٨٧م الموافق ١٢٠٢هـ أن حكومة المسلمين قد بلغت في المهانة والحقارة ما بلغت، ولا خوف علينا من الهندوس" وهزم الإنجلiz سراج الدولة في ساحة بلاسي عام

١٧٥٧ م، وهزموا شجاع الدولة في ٢٣ أكتوبر ١٧٦٤ م الموافق ١١٧٨ هـ في ساحة بكسر، واستشهاد السلطان تيسيو في عام ١٧٩٩ م الموافق ١٢١٣ هـ في "سرينكابتن" بـ "ميسور"، وكان ذلك إيذاناً بنهاية حكومة المسلمين<sup>١</sup>.

وبالإضافة إلى استيلاء الإنجليز النامي على أجزاء واسعة في الشمال والجنوب كانت منطقة "بنجاب" تحت حكم السيخ.

بدأ هذا التدهور في عهد الإمام ولی الله الدهلوی، وقد بذل الإمام الدهلوی ما كان في وسعه من جهد لإنقاذ الحكم الإسلامي المتراري، وكتب الرسائل إلى أصحاب الفروسية والشجاعة والهمة العالية ليشمروا عن ساق الجد لإعادة السلطة الإسلامية المنهارة، ثم أصدر الإمام عبد العزيز الدهلوی فتواه بالجهاد، وأعلن أن الهند أصبحت دار الحرب، وبعد وفاته انتقل هذا الهم لإنقاذ الهند من براثن الإنجليز إلى السيد أحمد البريلوي الذي بدأ أولاً مهمته بكتابة الرسائل إلى وجهاه عصره وأعيانه وأمرائه، وبعض الحكام المسلمين في إمارات الثغور، وإنه حاول إثارة حفيظتهم وغيرتهم وولاءهم للوطن، وبعث فيهم الشعور بالخوف من هؤلاء الغزاة الأجانب، والصمود في وجههم، فيقول في رسالة كتبها إلى شاه سليمان والي جترال، "لقد تدهورت حكومة الهند وسلطتها لسوء الحظ منذ أعوام إلى وضع سيء حتى استولى المسيحيون والمشركون على أكثر بقاع الهند، وملاوئها بظلمات الظلم والجحود والطغيان".

وفي رسالة إلى هندوراؤ "حاكم كوالياز" يقول!  
"من الواضح الظاهر عليكم أن هؤلاء السكان وراء البحار قد

١ - رجل الفكر والدعوة ج ٤ ص: ١٤:

٢ - المراد بهم الإنجليز الذين سلطوا أنفسهم في ستار شركة الهند الشرقية وتدخلوا في

ظلوا سلاطين العالم وملوك الأرض ، إن هؤلاء البائعين التجار قد غدوا يملكون زمام البلاد ، وقد أسقطوا حكومات الحكام الكبار ، وانتهكوا الحرمات والأعراض ، وأذلواهم وأرغموا أنوفهم " . وكتب رسالة إلى غلام حيدر خان أحد (المسئولين في إمارة جوالياز) .

"لقد انتقل جزء كبير من بلادنا الهند إلى حكم الأجانب الذين عاثوا في البلاد ، وساموا أهلها ظلماً وبطشاً ، واندثر حُكام الهند ، ولا يطيق أحد منهم التصدى لهم ، بل خضعوا لهم وانقادوا ، وقبلوا سيادتهم ، وحيث أن الذين كانوا أصحاب قوة ونفوذ ، قد فترت همتهم ، وانحدروا ، وتخلوا عن منازلتهم ، وتولى زمام القيادة بعض الضعفاء ، الذين لا شأن لهم ولا طاقة لهم " ١ .

هذه الرسائل وسيرته الذاتية تدل على أن الإمام أحمد بن عرفان الشهيد رحمه الله هو الذي أرشد إلى الكفاح لإجلاء الإنجлиз من الهند ، وأعدّ جماعة متحلية بالخلق النبيل ، والسيرة المثالية ، وخشية الله ، وحب الإنسان ، وعلو الهمة ، وبُعد النظر وال بصيرة ، والفراسة الإيمانية ، والفاء والتضحية التي لا يوجد لها نظير في التاريخ القريب ، ولا في المناطق الشاسعة .

### الهجرة إلى التغور

علمنا شغف السيد أحمد بالفروسية ، والرياضة البدنية منذ طفولته ، وقد نشأ على حب الجهاد ، والحنين إلى الشهادة ، لكنه أخر خوض المعركة ، رغم وصول أخبار الاضطراب والظلم ، ورجح التعليم

في سياسة البلاد .  
١ - في مسيرة الحياة ٢٠٣٣

والتربيـة ، فقضـى فـترة في تـربية الشـيخ عبد العـزيـز الـدـهـلـوي ، والـشـيخ عبد القـادـر الدـهـلـوي ، ثـم قـام بـجـولات واسـعـة لـلـدـعـوة وـالـإـصـلاح ، وـمـكـافـحة الـبـدـع وـالـخـرافـات ، وـسـعـى إـلـى تـرسـيقـة العـقـيدة ، وـإـتـابـاعـة الشـرـيعـة ، وـإـعـدـادـة النـفـوسـ فيـمـن التـفـ حـولـهـ مـن النـاسـ ، وـشـنـ حـمـلـةـ وـاسـعـةـ لـإـحـيـاءـ السـنـةـ ، وـتـنقـيـةـ الـجـمـعـ الـإـسـلـامـيـ مـاـ لـصـقـ بـهـ مـاـ الـأـوـهـامـ وـالـتـقـالـيدـ الـوـثـنـيةـ وـالـهـنـدـيـةـ ، الـتـيـ تـتـنـافـيـ مـعـ التـصـورـ الـإـسـلـامـيـ كـالـتـمـيـزـ الـعـنـصـريـ وـالـطـبـقـيـ ، وـاحـتـقـارـ مـارـسـةـ الـمـهـنـ وـالـحـرـفـ ، وـالـتـمـيـزـ الـاقـتصـاديـ ، وـكـراـهـةـ زـواـجـ الـأـرـامـلـ ، وـالـعـاـمـلـةـ مـعـ حـدـيـثـيـ الـعـهـدـ بـالـإـسـلـامـ مـعـاـمـلـةـ التـمـيـزـ ، وـأـخـيرـاـ أـصـدـرـ عـلـمـاءـ عـصـرـهـ فـتـوـيـ إـسـقـاطـ فـرـضـيـةـ الـحـجـ ، وـصـرـفـ جـلـ اـهـتـمـامـهـ وـقـوـتهـ إـلـىـ مـكـافـحةـ هـذـهـ التـصـورـاتـ الـبـاطـلـةـ ، وـقـدـمـ بـنـفـسـهـ نـمـوذـجاـ وـأـسـوـةـ ، يـقتـدـيـ بـهـ فـيـ حـسـنـ الـعـاـمـلـةـ مـعـ جـمـيعـ طـبـقـاتـ الـجـمـعـ الـإـسـلـامـيـ ، وـزـواـجـ الـأـرـامـلـ ، ثـمـ أـعـلـنـ الخـرـوجـ لـلـحـجـ فـرـاقـهـ أـكـثـرـ مـنـ سـبـعـ مـائـةـ شـخـصـ ، وـقـضـىـ فـتـرـةـ فـيـ الـحـرـمـينـ الشـرـيفـينـ يـلـقـيـ الـعـلـمـاءـ وـالـمـاـشـيـخـ وـالـدـعـاـةـ وـالـرـبـانـيـينـ فـيـهـاـ ، وـعـادـ إـلـىـ الـوـطـنـ .

وـفـيـ هـذـهـ المـدـةـ تـدـهـورـتـ أحـوـالـ الـمـسـلـمـينـ تـدـهـورـاـًـ أـوـسـعـ ، وـاخـلـلتـ عـرـىـ الـحـكـمـ الـإـسـلـامـيـ ، وـغـلـبـ عـلـيـهـ الـمـرـهـةـ وـالـجـاتـ وـالـسـيـخـ وـالـإـنـجـلـيزـ ، وـتـدـهـورـتـ أـوـضـاعـ الـمـسـلـمـينـ فـيـ دـهـلـيـ وـلـكـنـاؤـ ، وـأـصـبـحـتـ دـهـلـيـ عـرـضـةـ لـلـمـفـسـدـيـنـ ، وـكـانـ يـخـشـيـ أـنـ يـسـتـولـيـ عـلـىـ دـهـلـيـ فـيـ يـوـمـ قـرـيبـ الـعـسـكـرـيـوـنـ مـنـ الـمـرـهـةـ ، أـوـ الـإـنـجـلـيزـ ، وـكـانـتـ مـنـطـقـةـ بـنـجـابـ الـتـيـ كـانـتـ مـدـخـلاـ للـقـادـمـيـنـ مـنـ أـفـغـانـسـتـانـ وـإـيـرانـ مـنـ الـفـاتـحـيـنـ الـمـسـلـمـيـنـ فـيـ أـيـديـ الـسـيـخـ الـذـيـنـ كـانـوـاـ يـعـادـوـنـ الـمـسـلـمـيـنـ ، وـعـلـمـ السـيـدـ أـحـمـدـ أـنـ السـيـخـ قدـ اـسـتـعـبـدـوـاـ

السلمين وجعلوهم أذلة، وأن القبائل المسلمة في أفغانستان وبلاط الشغور يحاربون فيما بينهم، ويستعينون بالشيخ تخارية إخوانهم<sup>١</sup>.

فكانت منطقة الشغور منطقة محسنة تسسيطر على الهند، فإذا استولى المسلمون على هذه المنطقة استطاعوا أن يثبتوا أقدامهم، ويردوا كل ما كانوا يواجهونه من خطر الزحف الأجنبي، وكل من ملك هذه المنطقة كان في استطاعته أن يملك الهند كلها، فقد كان محمود الغزنوی وشهاب الدين الغوري قد وصلا إلى الهند من هذا الطريق، وفتحا ما استطاعا من مناطق الهند الوسطى، فقرر السيد أحمد أن يهاجر إلى هذه المنطقة لتكوين قوة هجومية بمساعدة هذه القبائل المتحاربة المسلحة، واسترداد ما فقد المسلمون من حكمهم، وسيطربتهم على البلاد.

وخلف منطقة الشغور كانت أفغانستان - وهي التي كان يسكنها السيد أحمد - دولة حرة من سيطرة الإنجليز، كان يحكمها رؤساء قبائل مسلمة كانت محسنة تحصيناً كبيراً، إلا أن حكمها كان في أيدي هذه الأسر المختلفة، ولم تكن علاقاتها قائمة على أسس التعاون والتآخي، وكانت تجري حروب بينها، وكانت بعض هذه القبائل متحالفة مع إمارة الشيخ التي كانت قائمة في منطقة "بنجاب"، وكانت عاصمتها لاہور.

### مشكلة المسلمين في بنجاب وهم السيد الإمام لهم

ورغم مشاركة بعض المسلمين في جيش الشيخ، شغل بعضهم مناصب إدارية، كان الشيخ يعاملون المسلمين معاملة الاستبداد والقهر، وقد دمروا المساجد وحولوها إلى إصطبل، وكانوا يتنهكون

<sup>١</sup> - راجع للتفصيل (رجل الفكر والدعوة في الإسلام ، ج ٤).

الحرمات ، ويعتدون على النساء<sup>١</sup> ، وكانت هذه الأخبار تصل إلى السيد أحمد منذ مدة طويلة ، فكانت تقلق باله ، وتشير فيه الغيرة والحمية لحماية المسلمين المضطهدين ، وتحريرهم من بطش الشيخ ، فاختار لبدء حملته العسكرية منطقة التغور ، وقد صرخ السيد أحمد لماذا اختار هذه المنطقة فقال أمام جمع من رؤساء القبائل في بنجتار التي كانت مقرًا لجماعة المجاهدين للسيد أحمد في إمارة سوات بالقرب من مردان :

"فكرت في الهند في منطقة مأمونة أنتقل إليها مع المسلمين وأعد للجهاد ، لكن رغم سعة الهند ورحماتها لم أجد مكاناً لائقاً للهجرة إليه ، وقد وعدي عدد من أصحاب النفوذ بالمساعدة بالمال والنفس والسلاح للجهاد ، ولكن ما قبلت ، لأن الجهاد يجب أن يكون على منهج السنة ، فليس المقصود إثارة القلق والاضطراب والفساد ، وكان بعض سكان منطقة التغور الذين عرفوا هذا القصد موجودين فقالوا: إن أرضهم أفضل مكان لتحقيق هذا الغرض ، فإذا توجهت إلى أي بلد من تلك البلدان ، يساعدني مئات الألوف من المسلمين ، وينضمون إلى المجاهدين ، وخاصة لأن حاكم بنجاب رنجيت سنகھ<sup>٢</sup> قد اضطهد

١ - اقرأ صورة بنجاب في كتب المؤرخين الإنجليز والهندوس كـ "كرلونيل مالكوم" و"ليل كريفن" و"كنهيلال" وغيرهم ، وقد صور شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال هذه الفترة التي مرت في تاريخ الهند تصويراً دقيقاً في بيت واحد يقول فيه: "إن المسيح انتزعوا السيف والمصحف من أيدي المسلمين ، وإن الإسلام قد مات في هذه المنطقة (إذا هبت ريح الإيمان)" .

٢ - رنجيت سنخ (١٧٨٠-١٨٣٩) من كبار القادة العسكريين الذين نبغوا في أواسط القرن الثامن عشر المسيحي ، واستطاعوا بموهبيهم أن يؤسسوا حكومة واسعة قوية ، ولاه أحمد شاه الأبدali (حاكم أفغانستان والفاتح الكبير) على لاہور ، وهو في العشرين من سنّه ، فاستقال بعد ملة يسيرة ، ولم يزل يوسع ملكته الوليدة حتى وصلت إلى كابل

المسلمين في تلك المنطقة ، وتوسيع دائرة بطشه وإيذائه لل المسلمين ، وأن جيشه عند ما يدخل تلك البلاد ، يدمر المساجد ، ويحرف المزارع ، ويتهب مال المسلمين ويسرق النساء والأطفال ويبعيهم كالعبد في البنجاب ، ولا يسمح السيخ للمسلمين بالآذان في مساجدهم ، بل يربطون خيولهم في المساجد ، ولا يمكن تصور ذبح البقر ، فإذا سمعوا أن أحداً ذبح البقر ، قتلوا شر قتلة ، فلما سمعت ذلك قلت في نفسي : إن الهجرة من الهند إلى تلك المنطقة أفضل ، لتوحيد صفوف المسلمين هناك ، وإعدادهم لمحاربة الكفار وتحرير المسلمين من ظلمهم ١.

وقد صرخ السيد أحمد أن هدفه هو تحرير الهند من الإنجليز ، لكنه آثر أن يحرر منطقة بنجاب من السيخ أولاً لإعداد قوة موحدة لل المسلمين فقال في رسالة :

"إن هذا الفقير سوف ينصرف مع المجاهدين الصادقين بعد الفراغ من هذه المهمة ( مهمة بنجاب ومنطقة الثغور الشمالية ) إلى الهند ".

شمالاً وغرباً ، وإلى شواطئ جنباً وشرقاً ، وأحدثت جيوشه الفزع والروع في المنطقة الشمالية الغربية ، وأزالت كل إمارة إسلامية ، وقوة منافسة ، وقد قامت مملكته الفتاة على أربع دعائم ، الأولى : الموهاب القيادية الفطرية التي كان يتمتع بها الرجل ، الثانية : فروسية جيشه الذي كان مؤلفاً من فلاحي بنجاب ، والعناصر الحربية ، ووفاءهم له ، الثالثة : الحقد القديم الذي كان يحمله السيخ وخاصة الفرقة المعروفة بـ "اكالي" على المسلمين بخواص وحروب ، جرت في الماضي ، الرابعة : ضعف المسلمين واحتضانهم حربياً وخلقياً ، وتفرق كلمتهم وغرق شملهم كما مر في الصفحات الماضية ، ولم يكن رخيصة سفن على جانب كبير من التعصب الديني ، ولكنه رضخ للأمر الواقع ، وعواطف جيشه العدائية ، ومنحة الشيء الكثير من الحرية للمصالح السياسية والحربية فعاش المسلمون في حكمه بين ذعر وخوف ونهب وسلب ، وعاشوا كشعب ذليل يعاني من أنواع السخرة والاضطهاد ، اقرأ كتاب " رخيصة سفن " لمؤلفه Sir Lepel Griffin

١ - سيرة السيد أحمد الشهيد للشيخ الندوى .

## ما هو المقصود الحقيقي من الجهاد

ماذا كان يقصده السيد أحمد بتحمل هذه المشاق كلها، وقطع هذه المسافة الطويلة من رائي بريلي في شمال الهند إلى أفغانستان، هل كان يقصد قهر عدو، أو فتح بلد، أو إنشاء حكومة، أو مظاهرة فروسية وشجاعة؟ فقد أوضح ذلك السيد أحمد نفسه في رسالته له :

”إن المقصود الوحيد لهذا الجهد هو العمل بما ورد من أحكام للحرب مع أهل الكفر والضلال، والعمل بقوله تعالى «وَجَاهُدُوا  
يَأْمُوْلُكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» [التوبه: ٢٤] فلا مناص لعبد مطيع إلا أن يبتل لما أمره ربه.

وقد وثق هذا العبد الفقير بما وعده الله تعالى، ووجه اهتمامه كله إلى امثال أمر الحاكم الحقيقي، ونبذ ما سواه، وأغمض عينه عن كل شيء، ووضع نصب عينيه رضا ربه، وسلك هذا الطريق بكل طمأنينة واستبشار، وفرح وابتهاج.

ويقول :

لا نبتغي إلا رضا الله سبحانه، وقد أغمضنا أعيننا، وصرفنا آذانا عن غير الله، ونفضنا أيدينا عن كل ما يمت إلى الدنيا وما فيها بصلة، ولم نرفع لواء الجهاد إلا لله، ولا نريد منه مالا، ولا سيادة، ولا إمارة، ولا حكومة، ولا سيادة، ولا هدف لنا إلا الحصول على رضا الله، ولا مقصود إلا الله .

لقد تسلط علينا في الهند النصارانيون والمشركون، وخضعت معظم أجزاء الهند لهم، وعم الاضطهاد والجحود، وسادت الطقوس والعادات الوثنية والإلحادية، ورفعت الشعائر الإسلامية، فأحزننا هذا الوضع، ويعثنا على النهوض، وغلبنا الشوق إلى الهجرة، وثارت

الغيرة الإيمانية في القلوب ، وساقتنا عاطفة الجهاد إلى الخروج في سبيل الله.

ويقول :

لا نهدف من هذا الجهاد إلا استخلاص بلدنا الإسلامي من سيطرة الأعداء ، وأن ترفع كلمة الله ، ونحيي سنة رسولنا الكريم ﷺ ونطبق شريعته .

### لأن يريد الحكم لأنفسنا

وأوضح السيد أحمد في رسالة له أنه لا يريد بهذا الجهاد إنشاء حكومة له ، بل صرخ أنه عند ما يتم استخلاص الأرض المغتصبة ، ويتحقق لنا هدفنا المنشود وهو تحرير البلاد ، فإننا سنسلم حكم هذا البلد إلى من يستحقه أو يطلبه ، ولا نطلب من ولاة الأمور إلا أن يخدموا الإسلام بأنفسهم وأموالهم ، وبذلك هم يبقون في ولاياتهم ١ .

الخروج في سبيل الله

كان يوم الإثنين السابع من جمادي الآخرة ١٢٤١هـ يوم النفور ، فقد نصبت له خيمة على شاطئ النهر المقابل ، وودع أهله ، وسالت الدموع من عيون المودعين من الأهل ، إلا أن السيد كانت تعلوه نسمة ، لأن الجهاد كان أجل أماناته منذ طفولته ، وركب السيد أحمد القارب ، وألقى النظرة الأخيرة على هذه القرية التي أحبها وأحبوه ، ورافقته جماعة من أصحابه الذين نالوا التربية الدينية ، والرياضة البدنية مدة من الزمن ، وبايعوه على السمع والطاعة في السراء والضراء .

١ - سيرة السيد أحمد الشهيد للشيخ الندوبي .

مر السيد وركبه المجاهد في طريقه إلى أفغانستان بمدينة "كوالياز" عاصمة أكبر إمارة بعد إمارة حيدرآباد، يحكمها أكبر أمراء مرهنة تحت حماية الإنجليز ، وقد راسل السيد وراسل وزير قبل ذلك يحثهما على محاربة الإنجليز، ويبين لهما خطر السرطان الإنجليزي .

ولما وصل السيد إلى كوالياز، استقبله رئيس الوزراء هندورافاً اسقبالاً لائقاً بالملوك والأمراء ، وأحسن مثواه ، وكان عدد زملاء السيد يبلغ نحو ألف شخص ، ثم دعاهم مهاراجه إلى القصر واستقبله استقبالاً حاراً ، وخلال المحادثات حثّن وقت الصلاة للعصر ، فقام مؤذن الجمعة في وجود كبار الأمراء والوزراء وقادة الجيش يؤذن ! الله أكبر الله أكبر ، وساد السكوت على القصر ، وفوجئ أهل القصر بهذا الصوت ، ولم يعرضون عليهم أحد ، وساعدوا على الوضوء ، ثم تقدم الإمام وأم الناس وصلى بهم صلاة السفر ركعتين ، ثم واصل الركب السفر ، وقد كان السفر شاقاً ، يمر بالغابات والجبال ، والتلال ، والأنهار ، والصحاري ، وي تعرضون للصوص وقطع الطريق ، ويمرون بشعوب وقبائل وخشية ولغات لا يفهمونها ، مرجحاً على "طوك" و"أجمير" و"جوده فور" بولاية راجستhan ، و"حيدرآباد" ، و"بير كوت" و"شكارفور" بالسند ، وبابيعه والي "طوك" النواب أمير خان الذي قضى السيد الإمام في معسكره زماناً بـ "طوك" وبابيعه خلفه وزير محمد خان الملقب بالنواب وزير الدولة وأعضاء أسرته الآخرون ، وفي بيركوت استقبله الشيخ الكبير صبغة الله الراشدي وأضافه مع ركبته المجاهدين ، وكان هذا اللقاء لقاءً تاريناً مباركاً ، فمكث بها أهله

ونساء أسرته مع محارمهن ، وتقديم السيد الإمام مع ركب المقاتلين منها إلى "شكارفور" وهنا صلى بالناس صلاة عيد الأضحى . ومن "شكاريور" توجه الركب إلى "جهترهاك" و"دهادر" ماراً بأماكن مختلفة ، قضى فيها بضعة أيام ، ليدعوا الناس إلى الجهاد ، والخروج في سبيل الله ، وفي جميع هذه الأماكن تشرف بزيارته والاستفادة منه عدد كبير من المشايخ والعلماء ، ورجال الحكم ، فاختار لهذه القافلة طريق مضيق "بولان" الضيق والخطير ، ومضيق "بولان" هو نفق طويل في الجبل ، فتحه الله تعالى بقدرته لأولى العزم من الفاتحين والمسافرين المخاطرين في هذه السلسلة الطويلة للجبال ، التي تفصل بين "الهند" و"أفغانستان" فوصل إلى "كوتة" ماراً بـ "بولان" وأبدى أميرها حبه ، وأكرمه ، وبإيعه العلماء .

### في أفغانستان

وصل إلى "قندهار" قادماً من "كوتة" ، وكان يحكم "أفغانستان" إخوة بارك زئي ، المعروفون بـ "درانيين" ، فكان يحكم "قندهار" بردل خان ، وكان والي "غزنين" مير محمد خان ، والي "کابل" دوست محمد

١ - بعد شهادة السيد الإمام أصر عليهم النواب وزير الدولة بالقفول إلى ولائه "طوك" فإنهم هاجروا بعد الهجرة إليها بعد أن قضوا اثني عشر عاماً في "بيركوت" بالستند سنة ١٢٥٥هـ ، وكان يحضر عندهم النواب وزير الدولة لقضاء حوائجهم كما يأتي العبد إلى سيله ، نبغ في تلك الأسرة الكريمة التي أسكنها النواب وزير الدولة في ولائه كبار العلماء كالشيخ محمد عرفان والشيخ محمد مصطفى سبطي الشيخ الإمام أحد الشهداء والشيخ محمد طلحة الحسني زوج عممة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوبي وأستله كان متضلعًا بالعلوم العربية وآدابها ، وسيد أحمد الحسني ، كتب الشيخ أبو الحسن الندوبي عن أستله السيد طلحة وصديقه السيد أحمد الحسني في كتابه "المصابيح القدية" (برائى جراغ) بالأردية مفصلاً .

خان والسلطان محمد خان، والي "بشاور" يار محمد خان، وكان بين هؤلاء الإخوة صراع شديد، وتنافس في الملك، وكانت بينهم شحنة وأحقاد عميقة قدية، فكانوا يخوضون معارك بينهم، وتشتب خروب أهلية، فكان من أهم أهداف السيد أحمد وثار جهوده أن يجمع الإخوة التخاريين بينهم ، على رصيف واحد، ويوحد صفوفهم ويؤلف بينهم على كلمة الإسلام، والجهاد مع أعداء الإسلام .

ولما وصل إلى "قندھار" استقبله حاكم "قندھار" وخرج ألوف من العلماء، وأعيان البلد راجلين لاستقباله، وازدحمت الشوارع بالمرحبين به ، وتوقف المروء عليها بسببها ، وأقام أربعة أيام في قندھار، فكان كل شخص تواقاً إلى الجهاد معه ، وحرضاً على الخروج معه في سبيله ، وتوجه إلى "غزنین" من "قندھار" فرافقه أربع مائة تقريباً من العلماء، والفضلاء، وطلبة المدارس، وشيخ الزوايا ، في نشوة الجهاد والحنين إلى الشهادة في سبيل الله ، فاختار منهم مئتين وسبعين شخصاً، فرافقه جميعهم ، وبعث عن طريق "غزنین" رسائل إلى مير محمد خان حاكم "غزنین" والسلطان محمد خان حاكم "کابل" وأخبرهم بقدومه ، وبين لهم أهدافه وأغراضه ، وأبدى رغبته في تعاونهم معه في هذا الغرض السامي ، فلما وصل إلى "غزنین" استقبله أعيان البلد ، ورجال العلم والفضل ، وعدد لا يحصى من الراكيين والراجلين خارج المدينة على مسافة ميلين ، ونصب خيمته بجوار ضريح السلطان محمود الغزنوی ، وبايعه في هذا المكان عدد كبير من الناس ، وأقام بغزنین يومين ، ثم ذهب إلى "کابل" فخرج كبار الأمراء والأشراف وألوف من الناس إلى خارج البلد لاستقباله ، فكان يتضاعد الغبار لازدحام الناس ، وأظلم الطريق ، وكان السلطان محمد خان والي "کابل" مع ثلاثة من إخوته وحرس يتكون من خمسين شخصاً يتنتظر وصوله ،

فاستقبله وقابله، وأكرمه وأقام به "كابل" شهراً ونصف شهر، فكانت أيام دعوة وإصلاح بين الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاستعداد للجهاد، وانتفع بصحبته عامة الناس وخاصتهم، وانضموا إلى جماعة المجاهدين بتأثير رفقائه، وأحوالهم وحيينهم للجهاد، ومبادرتهم إلى الخير، والشوق إلى الشهادة.

وحاول السيد أحمد بما كان في وسعه من مجده للاصلاح بين إخوة بارك زئي ، ومدد إقامته لهذا الغرض ، ولكن مساعيه الطيبة لم تتكلل كلباً بالنجاح ، فاضطر إلى مغادرته إلى " بشاور" وكان المسلمين في الطريق يستقبلونه بحماس ، وعواطف ودية ماثلة ، جربها أثناء السفر كله ، فمكث في " بشاور" ثلاثة أيام ، ثم أقام في " هشت نكر" بضعة أيام ، وأعد المسلمين للجهاد ، وتوجه إلى " نوشهر" حيث استهل مهمته الحبية وعبادته العظمى ، وهي الجهاد ، الذي كان لب تعاليمه ، وجواهر دعوته ، وخلاصة جهوده منذ سنوات ، وقطع من أجلها هذه المسافة الطويلة وتحمل من أجلها هذه الصعاب التي تصرف همم أولي العزم .

### حرب أكوره<sup>١</sup>

بعث من "نوشهر" رسائل إلى حكومة "لاهور" وجه فيها الدعوة إلى الإسلام ، وإلا إلى دفع الجزية ، وطالب بالطاعة ، وهدد بالحرب ، إذا رفضت المطالبات ، وكتب في ختام رسالته ، إنكم لا تحبون الحمر مثلما تحب الشهادة ، فلما بلغت حكومة "لاهور" رسالة

١ - موضع وقعت فيه أول معركة بين المجاهدين والشيخ قريب من بشاور ، وهو الآن معروف بأكوره ختنك ، وفيه مدرسة كبيرة تسمى بدار العلوم الحفائية ، أسسها الشيخ عبد الحق أحد تلامذة الشيخ المجاهد السيد حسين أحمد المدنی رحمهما الله تعالى .

السيد أحمد، أرسلت الحكومة جيشاً كبيراً من جنود الشيخ لمواجهته، فلما علم السيد أحمد ذلك، بدأ استعدادات الحرب، وسرت نشوة الجهاد في المجاهدين، وحدث انتعاش وهزة، كان اليوم الذي كانوا يحلمون به قد حان، وكان الشوق إلى الشهادة يطير بهم وبهزهم، كانت جماعة السيد أحمد تتكون من سبع مئة جندي، بينما كان جيش الأعداء يضم سبعة آلاف جندي مسلح، وواجهت فئة قليلة جيشاً يساوي عشرة أضعافها يوم الأربعاء في ٢٠ جمادي الأولى ١٢٤٢هـ (٢٠ من ديسمبر ١٨٢٦م) لدى منتصف الليل، وقاتل المجاهدون بجرأة وشجاعة بالغة، وبدأ العدو ينسحب من المعركة منهزاً، ولم ينقض نصف الليل إلا وانسحب العدو، وخلت ساحة المعركة ١، فازداد المسلمون قوة بعد قوة، وارتقت روحهم المعنوية، والتفت رؤساء مختلف القبائل، والعلماء، والأشراف إلى السيد أحمد ليبيعه، وزادت ثقتهم به، فأصلح بين الرؤساء والشيخ، وبايده أيضاً قائد قلعة "هند" السردار خادي خان، وبناء على طلبه أقام السيد أحمد مع رفقاء في قلعته ثلاثة أشهر.

### غارة حضرو والبيعة والإمامية

بعد النصر الذي تحقق في حرب "أكوره" طلب "الأفغان" من السيد أحمد بأن يبيت على "حضره" التي كان سوقاً كبيرة خاضعة لحكم الشيخ، فأذن له السيد أحمد، ولكنه لم يشتراك فيه بنفسه، وقد اعتدى في هذه الغارة الليلية الجنود المحليون، والأفغان، وخرقوا

١ - استشهد في تلك المعركة الأولى زهاء ثمانين رجلاً من المجاهدين من أهل الهند، وقىدهار، ويبلغ عدد القتلى من الشيخ حوالي سبعين، ذكر الشيخ أبو الحسن الندوي أسماء شهداء حرب أكوره في كتابه "سيرة السيد أحمد الشهيد" بالأردية.

القوانين ، فلم يتمسكوا بأوامر السيد أحمد وتعاليمه ، وقاموا بكل ما حلا لهم من عمل ، فاتخذ العلماء في الجيش قراراً بالإجماع أن أهم أمر وأرجحه اختيار إمام وأمير للقيام بالجهاد في ظله ، والالتزام بتوجيهاته . فبایع السيد أحمد بالإمامية والخلافة بالإجماع في "هند" في ١٢ من جمادي الآخرة ١٢٤٢هـ - ١٣ / يناير ١٨٢٧م - وبایعه هادي خان ، وأشرف خان ، وفتح خان ، وبهرام خان وجميع القواد والرؤساء علواً على عدد كبير من العلماء من الهند الذين كانوا معه ، فقبلوه إماماً لهم ، وأرسل السيد أحمد رسائل إلى سائر ولاة الأمر في البلاد ، والعلماء والمشايخ ، والرؤساء يدعوهم فيها إلى البيعة ، وفيديهم علمًا بها ، فلما سمع السردار يار محمد خان والسلطان محمد خان ، من ولاة " بشاور " شعبيته والإقبال عليه ، وريانيته ، قدموا إليه بجماعة كبيرة ، وبایعوه ، ونفذ السيد أحمد بعد انتخابه أميراً النظام الشرعي الإسلامي في سائر المنطقة ، وطبق سائر قوانين الإسلام ، فبدأت المحاكم تسوي سائر الأمور والقضايا في ضوء السنة ، وكان من أثر الحاسبة أن خلت البلاد كلها من تاركي الصلاة .

### حرب "شيلو" وحادثة التسميم

أصبحت المنطقة بعد إماماة السيد أحمد وخلافته بلدًا متحداً ، ولما انتهت السيادات الإقليمية والحكم الذاتي ، والإقطاعية لقيادة ورؤساء قبائل مختلفة صغيرة وكبيرة بتوحيد البلاد ، دبت في قلوبهم المخاوف والأحقاد ، والحسد ، أنهم وإن كانوا يهدون انقيادهم وخضوعهم لحكم السيد أحمد ، وبایعوه بجراء التيار الجديد للطاعة والانقياد والحب السائد ، لكنهم كانوا يكتنون في قلوبهم نوايا شريرة ،

١ - موضع يبعد من "أكوره" بأربعة أميل في جانب الشرق .

يحيكون له المكائد والدسائس، فبدأوا يتآمرون سرياً مع بلاط "لاهور". أبدى هؤلاء السادة والقادة الذين كانت أفواههم مع السيد أحمد، وأفئدتهم مع بلاط "لاهور" بعد اشتباكات عديدة، ومناوشات مع الشيخ، رغبة أن تقوم حرب حاسمة ومدمرة ضد الشيخ، لتسوية المسألة كلياً، فاختير بإشارة من هؤلاء السادة ميدان "شيدو" وبدأت الاستعدادات للحرب، إذ دس هؤلاء المنافقون السم في طعام السيد أحمد ليلة ١ ، وكان جيش المسلمين عندئذ يتكون من المحليين وغير المحليين، وكان جميع الرؤساء والقادة مع جنودهم وكتائبهم، وكانت كفة الحرب ترجح في صالح المسلمين، وإذا بقاده "بشاور" ينحازون إلى الشيخ، وفر السلطان يار محمد خان مع رفقائه من ميدان الحرب، فلم يعد السيد أحمد بعد هذه الحرب يواجه الشيخ فحسب، بل كان ضدّه قادة ورؤساء "بشاور" أيضاً، و"الخوارج" ثم وقف جيش مسلح كامل للمنافقين ضد السيد أحمد.

١ - وقد تحقق أن ما وقع كانت مؤامرة "يار محمد خان" إرضاءً لصديقه ولیم حاکم (لاهور) وقد استقبل هذا النبأ في لاهور وفي البلاط الملكي بسرور عظيم، وأقام مهاراجه مهرجاناً كبيراً، ويقول المؤرخ الهندي المعاصر لذلك العهد "لالة سوهن لال" في كتابه "عملة التواریخ": لقد توالت واستفاضت في البلاد التي تقع وراء نهر السندي، أن صاحب السمو يار محمد خان قد دس السم الزعاف في طعام السيد وانسحب من الميدان بجيشه، وذلك كله بما كان بينه وبين جلاله الملك "رنجيت سنغ" من اتحاد وصداقة، انتهى .

وكان شأن السيد الإمام بعد حادثة التسميم شأن الأولياء والصديقين، فقل: وقد كان فيما وقع لي من تناول طعام كان فيه السم اقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد سمعته يهودية في ذراع شاة، وإنني اعتبر ذلك كرامة وفضلاً من الله، ثم حسر رأسه على عادته في الدعاء فأطال الابتهاج والتضرع ورق فيه وخشع وبكي وأبكى الحاضرين وكان لا ينتقم لنفسه شيئاً ولا يدع على أحد. (إذا هبت ريح الإيمان ص: ٨٧-٨١).

في بنجتار

وفي الوضع الجديد الذي حدث إثر هذه التطورات انتقل السيد أحمد على طلب من فتح خان والي "بنجتار" من "هند" ١ إلى "بنجتار" وجعلها مقرًا له، وتقع "بنجتار" بالقرب من "سوات" في وسط الجبال، وهي منطقة محمية، وظلت "بنجتار" إلى مدة طويلة مقرًا للمجاهدين، وتشرفت أن تكون ثكنة إسلامية، ومركزًا للإصلاح، والتربية الدينية، فكانت هذه البضبة الصغيرة ثكنة عامرة للمجاهدين كانت كل ناحية منها آهلة بالمجاهدين، والعباد، تزخر بالذكر والتلاوة، والجهاد والمجاهدات، والحب والأخوة، والخدمة والإيثار.

لم تكن إقامة السيد بـ"بنجتار" وعمرانها به مما يسوغ والي "هند" وثار في قلبه الحسد، وحقد على السيد أحمد، فدبّر للإساءة إليه، وعلى الجهة الأخرى لم تؤثر المزية المفاجئة التي لقيها السيد أحمد في "شيدو" أي فتور في همة السيد أحمد، أو عدول عن دعوته، وعاطفة جهاده، فقام بجولة في "بنير" و"سوات" ثم "هزاره" وكانت هذه الجولة ناجحة للغاية في الدعوة، والنفع الديني، والإرشاد، والجهاد، والدعوة إليه وفي أثناءها لحقت السيد الإمام جماعة من المجاهدين، وكانوا أكثر من ثلاثة مائة، وكانت أغلبيتهم من الولاية الشمالية بالهند، فسر السيد الإمام سروراً بالغاً، واستقبلهم استقبلاً حاراً، وفي هذه المدة توفي الشيخ محمد يوسف الفلتي، وكان من أخص أصحابه وأوثق رفقائه ومساعديه، وكان ابن أخي الإمام ولی الله الدهلوی، وأمين هذه الجماعة المجاهدة في سبيل الله، وتوجه من "بنجتار" إلى "خهر" وهي مركز لـ"سوات" وأقام بها عاماً

١ - هند مدينة وقلعة حصينة على شاطئ نهر السند الغربي كان يحكمها خانی خان أحد كبار رؤساء القبائل.

كاملأً، وفي هذا المكان توفي الشيخ عبد الحي، وكان شيخ الإسلام في جيش السيد أحمد، وكان يحترمه السيد أحمد غاية الاحترام.

### مواجهة القائد الفرنسي وينتورا

أغار وينتورا ١ القائد الفرنسي في جيش رنجيت سنكمه على المجاهدين بجيش مكون من أكثر من عشرة آلاف جندي، وساعدته فيه خادي خان والي "هند" ولكن الجنرال وينتورا انهزم، وانسحب لما عاين من الشوق إلى الشهادة، والحماس للجهاد في المجاهدين، ورجع إلى "لاهور" ثم زحف جيشه من جديد بعد عدة شهور، وتوجه إلى "سمة" واستقبله خادي خان، وساعدته سرياً، فلما علم السيد أحمد بقدوم جيش وينتورا، أخبر به رفقاءه، وبعث برسائل، ثم شيد جداراً دفاعياً، وبايعه المجاهدون بيعة الموت، وشاهد وينتورا أن المجاهدين منتشرون على هضبات الجبال، والممرات الجبلية، ومضايقها، فرجع خوفاً ورعاً، وقدف الله في القلوب الخوف، ورعب المجاهدين، وذاع صيتهم في سائر الضواحي، وببدأ الناس يتذفرون إليه، وبيايعونه، فقام السيد أحمد بجولات في القرى والمدن، وشدد النظام الشرعي للحكم،

١ - كان الجنرال وينتورا Vantora من كبار قواد رنجيت سنغ، الأجانب، وكان يتمتع بشقة واحترام لا يتمتع بهما قائد أجنبي، كان من أشراف "إيطاليا" وخدم "نابليون" مدة طويلة في جيش "أسبانيا" و"إيطاليا" وقد خرج من فرنسا بعد المذنة يلتمس الرزق والخدمة العسكرية في حكومة كبيرة، ومكث في مصر وإيران مدة، ثم دخل الهند عن طريق "هرات" و"قندھار" ولما اطمأن مهاراجه إلى أمانته وحسن بلائه، وله قيادة جيش خاص، وكان يفوق جميع الجيوش في التدريب العسكري، وحسن السلاح، وقام بخدمات كبيرة ظهر فيها تفوقه ووفاؤه، وكان منها راجه كبير الإجلال والتقدير له، لذلك قلدہ ولایة مقاطعة "لاهور" وكان في الدرجة الثالثة في البلاد ومجلس الملك، (ملخصاً من كتاب " RNGIT SINGH" للسر لیل کریفن ص: ٩٧-٩٩).

ولكن خادي خان ظل على مكانته وحقده، ومؤامرته مع الأعداء، رغم جميع وسائل الإفهام، والشرح، والإقناع، التي اتخذت لترضيته، فلم يبق أمام السيد أحمد إلا أن يغير على قلعة "هند" ويفتحها، وقتل خادي خان في هذه الغارة.

### حرب زيده ومقتل يار محمد خان

اخذ أمير خان الأخ الأكبر خادي خان، إلى السردار يار محمد خان الذي كان قد دسّ السم في طعام السيد أحمد في حرب "شيلدو" وتأمر معه، وأجرى السيد أحمد محادثة معه، ليمنعه عن الفرقة والاضطراب والإفساد والفتنة، ولكنه لم يقبل نصائحه وعلى العكس شن غارة على المجاهدين في منطقة "زيده"، فواجهه المجاهدون هذا التحدى بثبات وحزم وقوة، وردوا الهجوم وحصدوا الجيش الدراني، واستولوا على مدفعه، فلاذ الجنود المهاجمون كلهم إلى الفرار، وقتل يار محمد خان، وهاجم الدرانيون على قلعة "هند" التي كان المجاهدون يحتلونها، ولم يكن عدد المجاهدين يزيد عن ستين، ولكنهم قاتلوا هذه الغارة بثبات ومثابرة، وخيبوها.

أشيع في هذه الفترة أن المجاهدين يخططون للهجوم على "بيشاور" التي كانت تحت سلطة الدرانيين، فانحرف الدرانيون عن "هند" والتقطوا إلى "بيشاور" وفي نفس الأثناء احتل المجاهدون "عشره" و"وأمب".

### شهادة السيد أحمد علي في "بيهولرا"

كان يريد السيد أحمد أن يتوجه إلى "كشمير" وكان يقتضي

١ - موضع في باكستان ، يبعد من "مان سهره" بعشرين أميال ، وكانت قرية بين الجبال عاصمة يجري فيها نهر يسمى "سرن"

ذلك احتلال "بهولرا" فوجئ جماعة من المجاهدين بقيادة ابن أخته السيد أحمد علي ولكن الشيخ هجموا على هذه الجماعة بغتة، فاستشهد عدد كبير من المجاهدين نتيجة لهذه الغارة المباغطة، واستشهد السيد أحمد علي نفسه في هذه المعركة .

يقول العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوبي " كانت معركة كبيرة في "بهولرا" بين المجاهدين وبين الشيخ، واشتد القتال، وحمي الوطيس، واستشهد فيها السيد أحمد علي ابن أخت السيد الإمام، قد ثبت في المعركة ثبوت الجبال الراسيات، وظهرت منه فتوة أعادت ذكرى شهداء غزوة "موته" وقد كان في هذه المعركة مقتدياً بمجعفر بن أبي طالب، لأنه لما تعطلت بندقيته أخذ يقاتل بخشبتها إلى أن لقي الله، وأبلى المجاهدون فيها بلاءً حسناً، وقاتلوا قتال الأبطال، وثبتوا ثبوت الجبال" <sup>١</sup>

وظهر ابنه حسن المثنى المشهور بالسيد موسى ببطولاته وبسالته والحنين إلى الشهادة في معركة أخرى في ساحة "مهيار" وكان في التاسعة عشرة من عمره.

#### حرب "ماياز"

أقام السيد أحمد بـ "أمب" ونفذ نظام القضاء والإصلاح الاجتماعي والخلقي، فعزم السلطان محمد خان على أن يخوض معركة حاسمة، فقد جيشاً عظيماً للدرابين، ومر بـ "جمكني" ووصل إلى "جارسله" فتصدى له السيد أحمد مع رفقائه، ونصب خيمته في "تورو" وحاول أن يمنع شيخ "بشاور" عن الصراع الذاتي وال الحرب الأهلية، لكنهم لم يقدروا هذه العاطفة والمساعي الجميلة، فحلف السلطان

١ - إذا هبت ريح الإيمان ص : ١٢٠ ط : مؤسسة الرسالة ، بيروت .

محمد خان، وأبناء أخيه وأخوه حاملين المصحف بأيديهم، فمر الجيش بكماله من الباب الذي كان قد علق عليه المصحف، ونشب قتال عنيف بين "تورو" و"هوتي" في ميدان "مايار" وبدأ المجاهدون يشندون نشيد الجهاد الذي نظمه الشيخ خرم علي البلهوري ١ هو نشيد مؤثر مثير، وصار المجاهدون يرجزون وأخذتهم نشوة الجهاد، وترنحت به أعطافهم وظهرت بطالة السيد الإمام في أروع مظاهرها، وكان يخوض الحرب وهو لا يبالي أوقع الموت أم على الموت وقع، واستولى الشيخ محمد إسماعيل والشيخ ولی محمد ٢ على المدافع، فانهزم الدرانيون، وتراجعوا وانتصر المجاهدون، وقد سجل المجاهدون في هذه المعركة آيات من البطولة، والثبات والجرأة، وقوة الإيمان، والانقياد والطاعة، والشوق إلى الآخرة، وشهودت مناظر لنصرة الله جددت ذكريات القرن الأول.

### فتح بشاور وتسليمها

عمد السيد أحمد بعد النصرة في حرب "مايار" إلى "بشاور" التي كانت ثانية أهم المدن في الشمال الغربي بعد "لاهور" و"کابل" وكانت عاصمة لولاية الشغور، ومركزها منذ القديم، وقد اقتضت الظروف الآن أن يتولى المجاهدون نظام هذه المنطقة وإدارتها مباشرة، فلما رأى سلطان محمد خان أن المجاهدين ينون الاستيلاء على "بشاور" خرج مع

١ - هو العالم الكبير المجاهد المصلح الشيخ خرم علي البلهوري الكانفورى له "نصيحة المسلمين" في عقيدة التوحيد، والستة على غرار "تقوية الإيمان" للشيخ إسماعيل الشهيد، ونقل إلى أردو كتبًا كثيرة في الفقه والحديث ، توفي سنة ١٢٧٦هـ في آسیون ، بـ "أناؤ" في الولاية الشمالية بالهند .

٢ - هو المجاهد الكبير الشيخ ولی محمد الفاتی من كبار أصحاب السيد الإمام اختاره المجاهدون بعد شهادة الإمام أمیراً لهم رحمة الله تعالى .

أفراد أسرته ورفقائه من "بشاور" وبدأ من هناك التراسل مع السيد أحمد، فلما دخل السيد أحمد "بشاور" استقبله سكانها، وأبدوا سرورهم بقدومه، ورحبوا به، وأقاموا سقایات في الطريق، وأضاؤوا المصايف والقناديل ابتهاجاً بقدومه، واحتفالاً به، وأظهر الجيش اقتداء بالجيوش الإسلامية في القرون الأولى، السيرة الإسلامية، والتربية الدينية، ومشاهد التقوى والورع، والزهد في الحياة، والأمانة، وعرض السلطان محمد خان الصلح، وعاهد على الطاعة ووعد حلفاً شرعياً، أنه إذا أعيدت "بشاور" إليه فإنه سينفذ النظام الشرعي، ويحول هذه البلاد إلى حكومة إسلامية، ولم يكن لدى السيد أحمد أي مانع في قبول هذا العرض، لأنّه لم يكن يطمع في الحكم أو السلطة، وإنما كان يتغى إقرار نظام إسلامي، وتفييد حكم شرعي، وكان ذلك هو الهدف الوحيد لهجرته لوطنه، ووصوله إلى هذه المنطقة النائية، ولم يكن لذلك يؤثر نفسه على أحد، فقبل عرضه، وأتاح له فرصة أخرى، فأعيدت "بشاور" إلى سلطان محمد خان، وعاد هو نفسه من "بشاور" إلى "بنجتار".

وصرح عن عمل التسليم إلى سلطان محمد خان بأنه ندم على فعلته، وتاب من ذنبه، وقبل جميع أحكام الشرع ووعد بأنه لا يعود إلى الشورة والعصيان، ويريد أن يصفح عنه وينزع فرصة أخرى للإصلاح والتدارك، كيف يسعنا أن نرفض طلبه، ونشك في نيته، وقد أمرنا بالعمل بالظواهر، وأن نكل السرائر إلى الله، ونحكم بعلمنا بما يأمر به الشرع في مثل هذا الحال، وأي صحبة لنا عند الله إذا رفضنا كلامه، وإنني مستعد بحول الله أن أعدل عن رأيي إذا اقنعني أحد

العلماء الراسخين، وقامت عليه الحجة الشرعية، فإننا لم نؤمن إلا بالله ورسوله ولا نتحاكم إلا إلى الشريعة والكتاب والسنة<sup>١</sup>.

### الإمارة الإسلامية على منهاج الخلافة الراشدة

وكان الباعث الحقيقى لحركة السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ونهضته ودعوته هو الحرص على إعلاء كلمة الله، وإظهار دينه، وإحياء سنة نبيه، وتطبيق شريعته، وتنفيذ حدوده، وأن يعيش المسلمون حياة إسلامية، لاحظ فيها للجاهلية، والأهواء النفسانية، والعادات والأعراف القديمة، المضادة لله ورسوله، وأن يخرجوا من حكم الطاغوت إلى حكم الله، ومن الحرب إلى السلم، ومن عبادة

١ - يقول الشيخ أبو الحسن علي الحسني التدويني رحمة الله في قضية التنازع عن بشاور وتسليمها إلى السلطان محمد خان الذي تولى كبر معارضته السيد ومحاربته، "وقد قل لي بعض الثقات الذين لهم اختصاص في معرفة طبائع الأفغان واطلاع واسع على ما كان يجري في ذلك العصر، وعاشوا في أفغانستان زمناً طويلاً، أن السيد كان بعيد النظر، عميق الفكر في هذا المشروع، فإن أسرة "باتنده خان" التي كانت مسيطرة على بلاد الأفغان والحدود الشمالية، وكانت لها عصبية ليست لأي قبيلة في أفغانستان لم تكن لتحمل أي حاكم بشاور غير سلطان محمد خان كبير الإخوة وزعيمها، ووالي بشاور من زمن طويل، فلأذعن السيد للأمر الواقع، وجمع بين الإخلاص والتجدد عن الأنانية وحب الملك، وبين السياسة العملية، و اختيار أفضل الطرق في ذلك الوقت، وفي تلك الظروف والملابسات الدقيقة المعقّدة، ولا يعلم الغيب إلا الله، وكل مجتهد يختطى ويصيب، ويعجبني بهذه المناسبة ما قاله الأستاذ عباس محمود العقاد في الحكم على موقف سيدنا علي بن أبي طالب ونقد الناس لها.

"والذي يبدو لناحن من تقدير العاقب على وجوهها المختلفة أن العمل بغير الرأي الذي سبق إليه لم يكن مضمون النجاح، ولا كان مأمون الخطر، بل ربما كان الأمل في حلقة أضعف والخطر من أتباعه أعظم" قوله: "هل خطر لأحد من ناقديه في عصره أو بعد عصره أن يسأل نفسه أ كان في وسع علي أن يصنع غير ما صنع؟" (عقبة علي بن أبي طالب للأستاذ العقاد) نقلًا عن "إذا هبت ريح الإيمان" ص: ١٥٢-١٥٣، ط: المؤسسة الرسالية، بيروت .

النفس إلى عبادة الله، ذلك الذي حمله على الهجرة والجهاد وعلى مفارقة الأهل والأوطان، ومواجهة الأحوال والأخطار، وذلك الذي نذر له نفسه، ووهد له حياته، ولا قيمة عنده للهجرة والجهاد ولا لحكومة إسلامية، إذا لم يتحقق ذلك المطلوب، يقول في رسالة أرسلها إلى سليمان شاه والي "جترال":

"لا شأن لهذا الفقير بالمال والثروة، ولا بحصول الملكة والدولة، فمن قام من إخواننا المسلمين بتحرير بلاد المسلمين عن أيدي الكفار وحكمهم، وقام بترويج أحكام رب العالمين، وتطبيق سنة سيد المرسلين، والالتزام بقوانين الشريعة في الحكومة والعدل تحققت أمنية هذا العبد، ونجح في مشروعه".

ففتح الله على يد السيد الإمام الكريمة وعلى أيدي جماعته بلاداً، فأسس هؤلاء المجاهدون دولة شرعية، وإمارة على منهاج الخلافة الراشدة في الحدود الشمالية الغربية تشتمل على "بشاور" وما جاورها من البلدان والقرى، ونفذوا فيها أحكام الشِّرْع والحدود الشرعية، وطبقوا النظام الإسلامي المالي والإداري تطبيقاً دقيناً.

وقرئت باسم السيد الإمام الخطبة في بشاور (وإنه لقب بأمير المؤمنين) فأعلى الله مناره، وكبَّت أعداء الدين، وجبل قلوب الأمراء والخوازيين على الانقياد له غالباً وعلى طاعته، فأحيا كثيراً من السنن المماثلة، وأمات عظيماً من الأشراك والمحدثات، فكان في كل قرية كبيرة وفي كل مركز من مراكز المنطقة السهلية الواقعة بين "بشاور" و"مردان" قاض ومحاسب، وجاب للعشر وعامل على الصدقات، يقول الشيخ أبو الحسن الندوبي في كتاب "إذا هبت ريح الإيمان":

١ - راجع للتفصيل إذا هبت ريح الإيمان والكتب المؤلفة عن تلك الحركة وقادتها.

"وقد نشط السيد الإمام بعد العودة من "بيشاور" في نصب القضاة والمحاسبين، والعاملين على الصدقات، والوعاظ والدعاء، وفي محاربة العادات الجاهلية، وذمها، وتهجinya، ورأى الناس منهم الجد والعزم، ورأوا تفسير قوله تعالى: «الَّذِينَ إِنْ مَكَنَّا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ»<sup>١</sup>.

ولكن ثارت عليهم القبائل التي تقطن الحدود لصادمة هذا النظام لآرائهم الشخصية، وعاداتهم الجاهلية وتعصباً في شأنه وشأن أتباعه، ورغبوا إلى الكفار. أعداء الله ورسوله. وصاروا أولياءهم في السر، فقبلوا هذا النظام، وكانت العوامل الخفية تعمل لإثارة سخط القبائل الأفغانية التي نشأت على هذه العادات والأعراف، والتقاليد والنظم والعقائد والأفكار، ورأتها ديناً يتبع شريعة طاع، وألهب هذا السخط رؤساء القبائل وأمراء البلاد، واتخذوه ذريعة للتخلص من هذا النظام المزاحم لنظامهم، ول بهذه السلطة المنافسة لسلطتهم.

#### اغتيال العمال والقضاة

كان إقرار النظام الشرعي، وتعيين العمال ومحصلي الصدقة، وتنفيذ الأحكام الشرعية عقبة في سبيل رؤساء القبائل، وخاصة سلطان محمد خان، وعلماء السوء المغرضين، فلم تبق لهم فرصة لاستغلال الناس، وتحقيق أغراضهم ومصالحهم المادية، فعززوا على إزالة هذه العقبة من طريقهم، والتخلص من هذه القيود.

ولم ينقض على تسلم "بيشاور" إلا مدة يسيرة إلا ودبر سلطان محمد خان مؤامرة لتضليل الناس، وتشويه سمعة المجاهدين في

<sup>١</sup> - سورة الحج : الآية : ٤١ .

عامة الناس وخاصتهم، ولتحقيق هذا الغرض أعدوا بياناً وقع عليه علماء السوء، أن السيد أحمد والمجاهدين فرقة ضالة ذات معتقدات وأفكار فاسدة، ثم أعدوا خطة لاغتيال العمال، والقضاة، والأمراء بالمعروف، والناهين عن المنكر، والغزاوة، ورجال الحكومة الشرعية الذين كان السيد أحمد قد عينهم في سائر منطقة "بشاور" و"سمه" سوي "بنجتار" في آن واحد، وتمت هذه الخطة الخبيثة باغتيالهم فجأة بدون رأفة، وبوحشية، فقتل أحدهم أثناء الصلاة، وآخر أثناء لجوئه إلى المسجد، ومنهم من قتل مدافعاً عن نفسه، ولم يقبلوا في ذلك شفاعة أحد من العلماء والساسة، وحتى النساء وغير المسلمين للرحمة، فذبحوهم ذبح النعاج.

كانت هذه مأساة إنسانية، منقطعة النظر، وخسارة نخبة مختارة نشأت بعد عشرات السنين للتربية والتعليم وإعداد النفوس، وذهب ضحيتها خلاصة بشرية نقية تعلق بها الآمال، وجهر الهند ولبها الذي يفنى في لمح من البصر.

### المجزرة الثانية

تحطم قلب السيد أحمد بهذه المجزرة الوحشية التي تعرض لها رفقاؤه، وخيرة عماله، وقد ألقه جفاء المحليين، ونكران الجميل، والظلم والوحشية التي أبدوها، فقرر الهجرة من هذا المكان، ولاستشارة رفقاءه جمع العلماء والساسة في "بنجتار" وأجرى تحقيقاً على المأساة، وذكر لهم أهداف قدومه، ومجهوداته، ولما تأكد أن رفقاءه كانوا أبرياء من هذه الجريمة، وأن السكان المحليين هم الذين لا يصفون بهم، ولا تؤمن نواياهم، وعزم على الرحيل، فلما انتشر خبر هجرته، قلق له العلماء والساسة المحليون، وجماعة من المخلصين والرؤساء المبعدين الذين كانوا في

"بنجتار" وحزنوا كثيراً، وتدفق الناس على السيد أحمد ليطلبوا منه إعادة النظر في قراره، وأن لا يهاجر، لكنه لم يقبل طلبهم، لأنَّه كان يدرِّي أنَّ لفتح خان ورجال قبيلته يداً في خطة سلطان محمد خان، وأغتيال العمال والقضاة، وأنَّه لم يقدِّم بنفسه أي طلب بإقامة في هذه المنطقة، بل إنَّه أيدَّ هذا القرار سرياً، ولكنَّ السيدَ أحمد لم ينتقم منه، بل عفا عنه وأعرضَ، وعامله معاملة الامتنان، والاعتراف بالجميل، وأنعم عليه بالهدايا، ولم يتزحزح في إرادته للهجرة، فسلم "بنجتار" إلى فتح خان، وأقام بـ"راج دواري" وجاء إليه في "سمه" في الطريق (حيث قتل القضاة، والغزاوة، والملخصون)، رجال يلتسمون منه العودة، لكنَّه قال: "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين"

إلى كشمير.

واختار السيدَ أحمدَ الآن منطقة "كشمير" لمواصلة أعماله، وحركاته الدعوية والجهادية، وتوجه إلى "كشمير" مع ما تبقى من الثروة البشرية معه، والملخصين من الرفقاء الذين عزموا على أن يرافقوه في ساعة العسرة، وفي حالة مريرة عسيرة، فلم يقبلوا أن يتركوه في أي حال، توجه إلى "كشمير" وهي وادٌ واسع آمن، يتمتع بتحصنات طبيعية هائلة، تستطيع أن تستغلها قيادةٌ واعيةٌ، ذات بصيرة لأغراضها، وتستطيع كذلك أن تؤثر منها على الهند من جهة، ومن جهة أخرى يمكن بها إنشاء علاقات وروابط مع تلك الدول الإسلامية في آسيا الوسطى من الناحية العسكرية، والسلالية، والتي أنسأت في الماضي حُكومات إسلامية قوية ذات شأن.

في بالاكوت.

كانت إمارة رؤساء "بكهلي" و"وادي كاغان" ورجال المنطقة

الآخرين تترحّج وتتأرجح، إما بسبب هجمات السيخ، وإما بسبب الصراع الداخلي، والاضطراب الذاتي، فكانوا جميعاً يستجدون السيد أحمد، وكانت إمارتهم تقع في الطريق إلى "كشمير" التي كان السيد أحمد ينوي جعلها مركزاً له، وكانت هي هدف هجرته الثانية، ووجهتها، فكانت "بالاكوت" أقرب محل لخدمة جميع هذه الأغراض من مساعدة من يطلب النجدة، وحمايتهم، والدعم العسكري، والتقدم إلى "كشمير" والاستعداد له، وكانت "بالاكوت" تقع على الناحية الجنوبية لـ "وادي كاغان" وقد صد هذا الوادي في هذا المحل جدار جبلي، وليس هناك طريق سوى منفذ نهر "كنهار" ويقع الوادي بين جدارين جبليين متوازيين، يبلغ عرضه أقل من نصف ميل، ويجري في هذا المكان نهر "كنهار" ويقع في شرق "بالاكوت" تل "كالوخان" العالى، وفي غربها يقع تل "مني كوت".

كانت هذه الرحلة الثانية للهجرة كذلك شاقة ومتعبة، ومليئة بالخطر، وكانت قمم الجبال، والأودية مغطاة بالجليد من كل جانب، والطرق وعرة معقدة، ذات مرتفات ومنحدرات، لا يوجد فيها أي سبيل لإرسال المؤن والحمل، فلم يكن هذا السفر إلا عبارة عن مغامرة عسيرة تدل على علو همته، وقوة ثباته وعزمه، ومشاهدة رفقائه، وقوتهم الإيمانية وصبرهم وأناتهم، وتحمل كل مكرره في سبيل تحقيق هدفهم، فوصل السيد أحمد إلى "سجون" قادماً من "بنجتار" عبر عدة أماكن شاقة، ثم توجه منها إلى "بالاكوت" وغادر "سجون" في ٥ من ذي القعدة ١٢٤٦هـ (١٨٣١م) ودخل في "بالاكوت".

### العرب الأخيرة والشهادة

لما علم الأمير "شيرسنكهـ" الذي عهد إليه والده مهاراجه

"رنجيت سنكها" بأن يحارب المجاهدين حربا نهائية حاسمة، وأن السيد أحمد وغزاته يقيمون في "بالاكوت" قاد جيشا ضخما للشيخ، وعسكر على بعد ثلاثة أميال تقريبا من "بالاكوت" على الشاطئ الشرقي لنهر "كنهار" وبدأ هذا الجيش تدريجيا يدنو من "بالاكوت".

فلما اتضح أن جيش الشيخ سيهاجم "بالاكوت" نازلا عن "مني كوت" اخذت إجراءات مؤثرة وحاسمة لخوض المعركة المصيرية، وكان موقع البلد وضع ساحة القتال الطبيعي يلائم المجاهدين.

كان الموقع الجغرافي لـ"بالاكوت" مخيما لشير سنكها" فأراد شير سنكها أن يعود يائسا خائبا ، لكن السكان المحليين أرشدوه إلى الطريق الجبلي الذي يؤدي إلى وادي "بالاكوت" الذي يقيم به السيد أحمد ورفقاوه، فوصل جيش شير سنكها ، إلى "مني كوت" في ٢٤ من ذي القعدة ١٢٤٦هـ (٦ مايو ١٨٣١م) وأحاط بها من كل مكان كالسحاب ، وهاجم جيش شير سنكها الغزاة نازلا من "مني كوت" وكان السيد أحمد يتقدم رفقاوه والمجاهدون يتبعونه ، يطر عليهم الشيخ وبلا من الرصاص ، فكبّر السيد أحمد وتقدم نحو الأعداء ، فكان يمشي إليهم مشية الليث يهاجمهم كالضرغام على فريسته ، وكان حجر ضخم بارزا في حقل يرتفع طوله ٢٥ أو ٣٠ قدما فجعله سدا بينه وبين أعدائه ، وموقعه لشن الغارات عليهم ، فكان يوجه منه إليهم الطلقات النارية ، فأصابت عددا لا يحصى من الأعداء ، وقضت عليهم ، وأحدث ذلك ضجة في صفوف الأعداء ، أجبرتهم على التراجع ، فبدأ العدو ينسحب ، ويحل التلاع والجبال مخافة ، وطاردهم المجاهدون إلى مخامن الجبل وجروهم بأقدامهم ، وقتلواهم بسيوفهم.

في هذا الصخب واللجب احتفى السيد أحمد ، وأيقن المجاهدون أنه لقي ربه شهيدا ، فجعلوا يبحثون عنه ، وفي نفس الأثناء

أصيب الشيخ محمد إسماعيل برصاصة في رأسه فقضى نحبه، واستشهد، وأدرك الأعداء أن المجاهدين قد زحزحوا وفقدوا أعصابهم بشهادتهم قادتهم، فشنوا هجوماً جديداً عليهم، وصوبوا إليهم بنادقهم، وواصلوا قصفهم بالنار، فسقط كثير من المجاهدين شهداء، وانقلب ظهر المجن، ورجحت كفة ميزان الحرب في صالحهم، وسقى الله كبار العلماء والمشايخ، والمجاهدين كأس الشهادة، فصدقوا ما عاهدوا الله عليه، وقضوا نحبهم، وبذلوا أرواحهم في سبيله، وسجلوا أروع مثال للبطولة والفداء، وما بدلوا تبديلاً، وقد استشهد في هذه التربة أكثر من ثلاثة مائة مجاهد.

انتهى في هذه القطعة من أرض "بالاكوت" سفر تلك القافلة المباركة التي بدأ رحلتها السيد أحمد في ٧ جمادي الآخرة ١٢٤١هـ (١٧/يناير ١٨٢٦م) صباحاً، مع رفقائه من الغزاة المجاهدين في وطنه "رائي بريلي" فوصلت إلى غايتها النهاية في ٢٤/من ذي القعدة ١٢٤٦هـ (٦/مايو ١٨٣١م) وضحي للوصول إليه بشعيته، والإقبال عليه، ورجوع الناس إليه، وحبهم له، قطع في سبيلها الصحاري، والأودية، وعبر الأنهر، وسلق الجبال، وقطع الغابات والأدغال، وقادى جفاء الدرانين، وفتورهم، ونفورهم، وواجه الغدر والخيانة، والطغيان، والعصيان في هذه المعركة التي جرت في "بالاكوت" وشرب السيد أحمد والشيخ محمد إسماعيل كأس الشهادة مع عدد كبير من أولئك الصالحين والأتقياء، الذين كانت قلوبهم تتدفق بمحبة الله، وتتوقد فيها جذوة الإيمان والشوق إلى الشهادة، التي جعلت لهم أنفسهم وأموالهم هباءً متثروا، ورؤوسهم وجلودهم عبئاً عليهم.

وقد أجاب الله دعاءه وحقق أمنيته بأن جثته لم يتيقن في أي قبر دفنت، فقبره غير معروف في "بالاكوت" فقد روی أنه كان شديد

الكره لإقامة الضرائح والبناء على القبور، وكان شديد الإنكار على ذلك، كثير الاعتناء بإزالتها، فقيل له: إن المسلمين يعتقدون فيك الخير والصلاح، ويحبونك حباً شديداً، ومن كان هذا شأنه لم يهمله الناس فبنيوا على قبره وشيدوه فقال إني دعوت الله أن يلبس على الناس ويخفي عنهم مدفني، فلا يمكنوا من بناء الضرائح واتخاذه عيداً، ومن الروايات ما تقول: "إن قائد الشيخ بحث عن جشه فلم يهتد إلا بصعوبة وبدلة ولد صغير لبعض المجاهدين، فكفنه في كسوة صوفية فاخرة، وأمر المسلمين بأن يصلوا عليه، ويدفنه، ومنها ما تقول: إن رأسه انفصل عن جسده، فدفنا في مكانين مختلفين، وليس هنالك قبر يوثق به ويعتمد عليه".

أما الشيخ محمد إسماعيل بن عبد الغني الذهلي فقبره معروف في "بالاكتو" على نجوة من الأرض، وأما الشهداء الآخرون فيزيد عددهم على ثلاثة شهيد، وهم خلاصة بلادهم ولبابها كما قال السيد الإمام، فقد دفعوا في مكان واحد.

﴿الذين إن مکناتهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزکاة وأمرُوا بالْمَعْرُوف وَنَهَا عَنِ الْمُنْكَر وَلِلّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُور﴾.

### نموذج للحياة الإسلامية في الحرب والسلم

كان السيد أحمد قد صرخ في سائر رسائله التي وجهها إلى الأمراء والأعيان في صدد جهاده، أن الغرض الأساسي له هو ابتعاء رضا الله وتطبيق أوامره وأحكامه، وإحياء سنة رسوله ﷺ وليس الحكم

١ - والقبر المنسب إليه في "بالاكتو" والذي بنت عليه حكومة "باكستان" تذكره لا تصح نسبته إليه، والرجح أنه لغيره، قاله الشيخ أبو الحسن التدويني رواية عن أستله العالم المجاهد الكبير الشيخ أحمد علي اللاهوري (م ١٩٦٢).

أو المال أو السيادة ، وأنه سيسلم الحكم إلى من يستحقه بعد تحقيق هدفه ، ولذلك كان السيد أحمد حريصاً على أن تكون حياة المجاهدين والمهاجرين في سبيل الله صورة صادقة للخلق الإسلامي ، فكان جميع أصحابه في السفر والإقامة في القتال وفي السلم متمسكين بتعاليم الإسلام والخلق الإسلامي النبيل ، ووردت في كتب التاريخ روائع من خلقه الإسلامي وخلق أصحابه من العفو والعفاف ، والتقوى والقناعة والشعور بالمسؤولية عند الله ، فكانوا بحق فرسانًا في النهار ورعباناً بالليل ، في حالة السلم كانوا في خدمة ومساواة ، ومؤاساة وأخوة ، ومثابرة ، وصبر ، وشكر ، فكانوا كما قال الأمير شكيب أرسلان في وصف أصحاب سيدي أحمد الشريف السنوسي "في عبادتهم من الأبدال وفي شجاعتهم من الأبطال ، يجمعون بين الشدة واللين ، والأنفة ، والتواضع ، يمثلون المجتمع الإسلامي الأول".

كانت الحياة في هذه المستعمرة التي سكنها المجاهدون والمهاجرون تسمى بالإخاء والمشاركة كحياة الأنصار والمهاجرين في العهد الأول في المدينة المنورة ، حياة الاقتصاد في المأكل والمشرب والكافاف ، حتى الذين عاشوا قبل الهجرة في النعيم والبذخ ، والتأنيق في المعيشة وتعودوا لين الحياة شاركوا إخوتهم في الضنك وخشونة المعيشة ، وكان إمامهم شريكًا لهم ، في هذه الحياة ، لا يتميز عنهم شيء ، ولا يستأثر بشيء ، يجتمع إذا جاءوا ، ويأكل إذا أكلوا ، كل واحد منهم يخدم صاحبه ، ويتعاون معه في كل ما يحتاج إليه ، وكان بعضهم يخلق شعر بعض ، ويغسل ثيابه ، ويطحن الحبوب ، ويطبخ الطعام ، ويقطع الخشب ، ويحمل ، ويعلف الدواب ، ويمسح الخيل ، ويواسي المرضى ، ويحمل القاذورات ، ومحترز عن الممز واللمز ، وسلامة اللسان والغيبة والنمية ، إنهم تحابوا في الله وأصبحوا إخواناً.

كان الإمام السيد أحمد بن نفسه يشارك المجاهدين فيسائر أعمالهم، فكان يساعد في إدارة الرحى وطحن الحبوب، فكان من يتغير بهذه الأعمال في حياته السابقة يسبق إليها عند ما يرى السيد نفسه يستغل بها، فكان ذلك خير وسيلة لتعليم أصحابه وتربيتهم أن يباشر هو بنفسه بتلك الأعمال التي كان المتعمعون يعتبرونها أعمال الأراذل.

كان إذا فقد الماء في المعسكر ذهب ليستقي ويحمل القرية، فيقلد الناس ويحملون القرب والجرار ويجلبون الماء، وقد يحمل الأحجار الثقيلة من شاطئ النهر يسلط بها صحن المسجد، ولا يرضي أن يأخذها أحد تخفيقاً له، ويقول هل تمنعوني من أعمال البر، وتريدون أن تملقوا كما يتملق النساء أمراءهم.

وهكذا كان الشيخ إسماعيل، فكان هو أيضاً سباقاً إلى أعمال المشقة ومشاركاً للمجاهدين في جميع أعمالهم.

فكانـت هذه المعسكرات بجانب كونها معاقل التدريب للقتال والجهاد في سبيل الله مراكز التربية للخلق الإسلامي والتزكية والإحسان، ينشأ كل من قضى فترة في هذه المعسكرات على المساواة، والمؤاساة، والأخوة، والسماحة، والكرم، والشابر، والصبر والشکر، والإيثار والورع، وإيثار الآخرة على الدنيا.





الباب السادس

**المزايا الشخصية للإمام السيد أحمد  
وتأثير حركته في شعب الحياة المختلفة**

التأسی الكامل بأسوة الرسول

كانت النقطة المركزية لمزايا الإمام أحمد بن عرفان، الاقتداء الكلي بأسوة الرسول ﷺ واتباع سنته اتباعاً كاملاً، وإذا قمنا بتحليل عناصر طبيعته برزت لنا الخصال الآتية:

١. سلامة الطبع والفطرة
٢. التوازن الذهني
٣. الاعتدال والوسطية
٤. الجامعية
٥. الفراسة العميقة وصلاحية الإدراك
٦. البساطة مع فهم وذكاء مفرط
٧. الحياء مع الجرأة على إعلان الحق
٨. العفو والحلم مع الحمية الشرعية والغيرة الدينية
٩. الرأفة والرحمة مع عاطفة للجهاد وقادة، وإقامة الحدود بدون هوادة.

١٠. ذوق العبادة مع ذوق الجهاد في سبيل الله، وشوق الشهادة
١١. الرفق مع المسلمين والشدة والصرامة مع الكفار
١٢. غاية القناعة، وغنى القلب مع علو الهمة والعزيمة
١٣. الجود والسخاء مع الفقر والجوع
١٤. المساواة والمؤاساة مع أصحابه
١٥. الفقه والحكمة الفائقة بدون تعلم العلوم الشائعة المعتادة .
١٦. كذلك كان كلامه قليل الألفاظ كثير المعاني ، يركز على الأصول والكلمات ، بدلاً من الاسترسال في الفروع والجزئيات.
١٧. عدم الانتقام لنفسه ، والاحتراز عن كلام أو عمل يخرج مشاعر إنسان ، ولكن الصرامة في سبيل الحق .

وقد وصفه الشيخ ولait على العظيم آبادي الذي قضى مدة طويلة في تربيته بالكلمات الآتية :

"إن معرفة طبيعة الإمام تقتضي العقل السليم ، ومعرفة الحديث النبوى الشريف ، وسنة رسوله ﷺ ، فإن الأولياء المقبولين عند الله تعكس فيهم شمائل الرسول ﷺ وهم الأولياء الصادقون ، فكان إمامنا صورة متحركة لشمائل الرسول ﷺ وأصحابه ، كانوا يعكسون حياة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، كانوا في غاية من الشغف باتباع سنة الرسول ﷺ وكانت غيرتهم الإيمانية غالبة على سائر أعمالهم ، وكانوا حريصين على إعلاء كلمة الحق " ١ .

#### ما ثرثه ونتائج حركته

لقد تاب على يد الإمام أحمد بن عرفان عدد لا يحصى ،

١ - (راجع "سيرة سيد أحد شهيد" للشيخ أبي الحسن الندوى بالأردية و "سيرة سيد أحد شهيد" للأستاذ غلام رسول مهر بالأردية .

وصلحت حياتهم، وانضم مآت منهم إلى جماعته واشتركوا في الجهاد، فقد بلغ عدد الذين استشهدوا في بالاكوت ١٤٤ مجاهداً، والذين لم ينالوا شرف الشهادة تفرقوا في أماكن الهند المختلفة، فكان كل واحد منهم منارة للهداية والتعليم وإصلاح الباطن، وإعداد النفوس للجهاد ضد أعداء الإسلام، وقد اعترف المؤرخ الإنجليزي هنتر(HUNTER) "أن ثورة عام ١٨٥٧م اشتعلت بالجمرة التي كانت تحت الرماد التي أشعلاها مبعوث الإمام، وتلاميذهم".

وقد أجاد الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوبي في التعبير عن مآثر وتائج حركته في كتابه "المرتضى" وهو يقول: وقد قام السيد الإمام بحركة إصلاحية دعوية جهادية، لم تشهد الهند أوسع منها نطاقاً، وأعمق منها أثراً، ويقول أيضاً: اعتبره كثير من أهل المعرفة، والبصر مجدد القرن الثالث عشر الهجري، فقد هبت بوجوده ودعوته رياح الإيمان والتوحيد الحالص واتباع السنة السنوية، والحنين إلى الجهاد، والشهادة، والعمل بالعزيمة، والقيام بالبطولات الإسلامية، والتجدد عن الأنانية، وسلطان الهوى، وتحكيم الشريعة المطهرة في الحياة الفردية والجماعية، وبذل أقصى الجهد لتأسيس حكومة شرعية على منهاج الخلافة الراشدة، ومواجهة القوات الأجنبية، ومحاولة إجلاء الإنجليز من الهند، والمفتسبين للحكم، والسيطرة في شبه القارة - الذين كانوا يشكلون الخطر الكبير على العالم الإسلامي - وبذل النفس والنفيس في ذلك، حتى اعتبره المؤرخون الإنجليز التحدى الأكبر للنفوذ الإنجليزي، ومستقبله، هبت هذه الرياح قوية عاصفة

مباركة طيبة لم يشهد مثلها تاريخ الدعوة والكفاح الإسلامي في القرون الأخيرة<sup>١</sup>.

وصرح العلامة صديق حسن خان<sup>٢</sup> في "قصاص جيود الأحرار": "كان السيد أحمد بن عرفان آية من آيات الله تعالى في هداية الخلق ورجوعهم إليه، وقد وصلت جماعات كثيرة وعالم بأسره بعنياته المعنوية والمادية، إلى منازل الولاية ومدارج الإحسان، وقد ظهرت مواعظ خلفائه وخطبهم أرض الهند من لوثات الشرك والبدع وأقدارها وساروا بها على درب الكتاب والسنة، ولا تزال بركات مواعظهم وتذكيرهم تسرى في الوجود، وتجري كالأنهار ويقول: " وبالجملة فإنه لم يسمع في هذا العصر وفي أي بلد من بلدان العالم بمثل هذا العبرى الفذ، وأن ما فاض على خلق الله تعالى من هذه الجماعة القائمة بالحق من خير وفائدة وهداية لم يحصل عشر معشارها على أيدي علماء هذا العهد ومشايخه"<sup>٣</sup>.

ويقول أحد العلماء في أوائل هذا القرن الذين لهم خبرة واسعة بأحوال الهند وأخبارها وهو الشيخ عبد الأحد: "إن أكثر من أربعين ألفاً من الهندوس أسلموا على يد الإمام، وأكثر من ثلاثة ملايين من المسلمين اهتدوا على يده وصلاحت حياتهم، والذين تابوا وصلاحت حياتهم بجهود خلفائه وخلفاء خلفائه فيبلغ عددهم

١ - المرتضى - ٢٣٩ - ٢٤١ ، ط: درا القلم دمشق.

٢ - علامة الزمان وترجمان الحديث والقرآن وصاحب المصنفات الشهيرة والمؤلفات الكثيرة، ولد سنة ١٢٤٨ هـ، كان أبوه السيد أولاد حسن القنوجي من أصحاب الإمام أحد بن عرفان الشهيد، وفي ترجمة السيد الأمير صديق حسن خان كتاب بسيط للأستاذ محمد اجتباء الندوبي، طبع بدار ابن كثير دمشق.

٣ - تقصاص جيود الأحرار من تذكاري جنود الأبرار.

عشرات الملايين "١.

ويقول أستاذ الأستاذة في عصره العلامة الشيخ حيدر علي الرامفوري التونسي (م ١٢٧٣ هـ) تلميذ الشيخ عبد العزيز الدھلوی في كتابه "صيانت الناس عن وسوسۃ الخناس".

"لقد أضاء نور هدايته كالسراج الوهاج في البلاد، وقلوب العباد، وضرب السعداء المحظوظون إليه أكباد الإبل، وشدوا إليه الرجال، وتابوا على يديه من الأشرك والمناهي والبدع والمحدثات التي كانوا قد اعتادوها ودرجوا عليها، وسلكوا سبيل التوحيد، والسنة والرشاد، وبعث خلفائه الصادقين العاملين إلى أکناف البلاد البعيدة، ومهد بهم لثاث الآلاف من الناس طريق الملة الحمدية على صاحبها الصلاة والسلام، فمن عقل ورشد وحالفة التوفيق والتأييد فقد اهتدى إلى هذا الطريق." ٢.

وذكر أحد المهاجمين الكبار لهذه الحركة ومنشئها وهو الدكتور هنتر (W.W. Hunter) يقول في كتابه "مسلمو الهند" إن رئيس رجال الشرطة في بنغال صرح بأن كل داعٍ ومسئولٍ في الجماعة - أتباع السيد أحمد الشهيد - لا يقل أتباعه عن ثمانين ألفاً، تسود عليهم المساواة الإسلامية بكل معانيها، يعتبر كل واحد شغل زميله، ومصلحته، شغله ومصلحته، ولا يألو جهداً في مساعدة أخيه في حال من الأحوال." ٣.

وقد سبق في الصفحات السابقة أن زيارته لمدن الهند المختلفة قد

١ - ذكره الشيخ محمد جعفر التهانيسري في كتابه "سوانح أحدي" ونقله منه الشيخ الندوی في كتابه "المرتضى".

٢ - صيانت الناس عن وسوسۃ الخناس.

٣ - راجع كتاب Indian Musalman Indian Musalman رسائل رقم: ١٠٠، ١٣ مايو سنة ١٨٣٤-١٨٤٧ م

غيرت مجرى الحياة، وتاب على يده مئات الآلاف من الناس حتى اللصوص وقطاع الطريق، وتغيرت حياتهم وانضموا إلى جماعته، وجاهدوا في سبيل الله، ونال كثير منهم شرف الشهادة، وصلحت حياتهم، وصاروا مصلحين دعاة إلى الحق.

كما صلحت حياة الحكام والأمراء وقادة الجيوش والعلماء الباحثين الذين كانوا متأثرين بالفلسفة، فعادوا إلى الشريعة المطهرة وتمسکوا بالسنة.

### النقطة المركزية لدعوة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد وأثرها في المجتمع

وقد كان إصلاح العقيدة، والاقتداء بسنة الرسول، وإخلاص النية في كل عمل النقطة المركزية لدعوة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، فكان لا يتحمل أي انحراف أو عدول عن السنة حتى في الحياة العامة، ويدل على ذلك موقفه خلال زيارته الأولى للدلهي، ولقاءه بالشيخ عبد العزيز الدلهسي والشيخ عبد القادر الدلهسي اللذين تلمذ عليهما عند التحية بالطريقة الهندية التي كانت شائعة بتأثير الحكام المسلمين الذين كانوا متأثرين بالأدب الفارسي، فاعتراض على هذه التحية وصرح أن التحية الإسلامية هي "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته"، وكذلك كان موقفه لدى تلقين شيخه الشيخ عبد العزيز بن الشيخولي الله الدلهسي بتصور الشيخ، فأبدى رأيه بصراحة بأن هذا العمل يشبه العمل الوثني، فأعجب به شيخه إعجاباً شديداً، وقال له: إن ولايته ولادة الأنبياء<sup>١</sup>.

وكانت طريقة طريقة نبوية لا يشوبها تأثير الطرق الصوفية العامة، ويدل على ذلك تصريح الحاج عبد الرحيم الولي الذي كان

<sup>١</sup> - سيرة السيد أحمد الشهيد للشيخ الندوبي بالأردية .

من كبار شيوخ السلسلة الششتية، وكان له مات من كبار المسترشدين الذين شاعت طرقوهم في الهند، فلما تشرف بلقاء الإمام أحمد وجه سائر مسترشديه إلى أن يتبعوا الإمام، ويتركوا ما لقنهم من وظائف، وقال : ما كنت في حاجة إلى الرجوع إلى أحد في السلوك ، ولكن أرى رضا الرسول ﷺ في أن أدخل في بيعة الإمام أحمد ، ثم تغيرت حياته ، وانضم إلى الإمام وحركته ، وجاحد في سبيل الله واستشهد .<sup>١</sup>

#### التأثير العميق لتربية الإمام

وقد خضع لنفوذ الإمام أحمد سائر شيوخ التربية والتزكية ، كان في مقدمتهم الشيخ عبد الرحيم الولائي وخلفته ميان جي نور محمد الجهنجهانوي ، والشيخ إلهي بخش الكاندھلوي الذي كان من أرشد تلاميذ الشيخ عبد العزيز الدھلوي ، واصطبغوا بصبغته ، وكان في هذه الجماعة المسترشدة التي حملت لواء الجهاد والتعليم والتربية الشيخ محمد قاسم النانوتوي ، والشيخ رشيد أحمد الكنکوھي ، والشيخ محمود حسن الديوبندي وهم الذين قاموا بجهودهم سلسلة الإصلاح وتجديد الفكر الديني ، وأنشئت شبكة من المدارس في الهند كمدرسة دار العلوم بدیوبند ، ومظاهر علوم بسھارنبور ، وحركات النھوض بال المسلمين المتعددة ، كانت صلتهم بجماعة الإمام أحمد من جهات مختلفة ، وكانوا معترفين بفضلھ وإمامته ، وقد ساهم هؤلاء المشايخ في النھاز للحرية من الحكم الإنجليزي الغاشم ، وأبلوا فيه بلاءً حسناً.

رافقه الشيخ أبو سعيد الذي كان يمثل الطريقة النقشبندية المجددية وكان خليفة الشيخ غلام علي الذي كان في عصره مرجع

١ - المصدر السابق .

الخلائق من العرب والجم، فكان معاصرًا للشيخ عبد العزيز الدهلوi ، رافق الشيخ أبو سعيد الإمام أحمد وقضى في تربيته فترة في موطنه دارة الشيخ علم الله برائي بربلي<sup>١</sup> ، كذلك الشيخ صبغة الله بن الشيخ محمد راشد شيخ الطريقة القادرية الذي عرف طريقته في السندي ويلوشستان وشاعت، والتلى به حينما زار السيد الإمام السندي، وأضافه في رحلته، واستفاد منه وأطاع.

وقد قام الإمام أحمد بتطهير هذه الطرق كلها من الشوائب، وأعادها إلى التوحيد الخالص والسنة المطهرة، ورسخ في القلوب كراهية الشرك والبدع بجميع أنواعها، صغیرها وكبیرها.

وأوضح هذا التأثير العميق ل التربية الإمام أحمد الشيخ كرامت علي الجونفوري في رسالته "مکاشفات رحمة" فقال:

"إن برکات وفيوض الطريقة الأحمدية الباطنة معلومة واضحة، ومن أوضح هذه البرکات التي يدركها كل شخص أن كل شخص يدخل في بيته كان يرسخ في ذهنه النفور من الوثنية والشرك، والبدع، والمزامير، واللهو، ويتقذر منها تقدراً كاماً، والحقيقة أن

١ - كان الشيخ أبو سعيد بن صفي بن عزيز بن عيسى بن سيف الدين بن محمد معصوم الجندي الدهلوi من كبار العلماء المحدثين والمشايخ المعروفين، استفاد منه وبايده ألوف من الرجل، سافر إلى الحرمين الشريفين سنة ١٢٤٩هـ واستقبله علماء مكة والمدينة، واحتفى به الشيخ عبد الله سراج مفتى الأحناف، والشيخ عمر مفتى الشافعية، والشيخ محمد عابد السندي في مكة، ثم نزع إلى وطنه فتوجه إلى أرضه، وتوفي قبل أن يصل إلى دلهي، وذلك في سنة ١٢٥٠هـ، وكان الشيخ عبد الغني الجندي الدهلوi (م ١٢٩٦هـ بالمدينة المنورة) ابنه وهو الذي انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل، فنفع به خلق كثير من العلماء والمشايخ، واتفق الناس من أهل الهند والعرب على ولاته، وجلالته، وله ذيل نفيس على سنن ابن ماجه سلة "إنجاح الحاجة" راجع لترجمتها "الإعلام بن في تاريخ الهند من الأعلام" الجزء السابع.

الدخول في طريقة السيد أحمد رمز للإسلام ".  
ويقول :

"من رأى قافلة السيد أحمد ورأى اهتمامه بصلوة الجمعة، والصلوة بالجماعة، وتمسكه الشديد بأحكام الشريعة، وتأكيده عليها، ورسوخه في الدين والتزامه الشديد له، وتواضع أصحابه، وتوجههم إلى الله، وعبادتهم، ثم خدمتهم للناس، وجمعهم للخطب، والاشتغال بأعمال الخدمة، وحملهم للأثقال، والمساواة والمؤاساة في تلك الجماعة، بين الكبير والصغير، والأمير والأمور، وهمتهم العالية، وصلابتهم ومثابرتهم وصبرهم في احتمال المكرر، وصمودهم في الجهاد يعرف المرتبة العالية للسيد أحمد، وينكشف عليه أن من يعادي هذا المقوم من الراسخ في الدين ليس إلا كافراً أو حاسداً أو منافقاً".

وصرح الشيخ عبد الرحيم الولايتي (م ١٢٤٦هـ) وهو شيخ الشيخ نور محمد الجنهنجهاني (م ١٢٥٩هـ) وهو شيخ شيخ المشايخ الحاج إمداد الله المهاجر المكي :

"إن الله تعالى أوصى السيد أحمد إلى سهارنبور ووفقني للقاءه ، وبايته وتعلمت طريقته ، فعلمت أنني لو كنت مت على حالي السابقة لكان موتاً سيئاً ، وقال : إن ما كنت أتمتع به من رقي روحي قبل دخولي في بيعة السيد أحمد كان يساوي عشر ما نلتة من خير وبركة بعد بيعته ."

واعترف في حديث آخر أنه تعلم الصلاة والصوم من السيد أحمد ، ويقول الشيخ عبد الرحيم الرائي فوري وهو شيخ الشيخ عبد القادر الرائي فوري :

"إن الذين بايعوا الشيخ عبد الرحيم الولائي بعد بيته على يد السيد أحمد كانوا أفضل وأحسن مما كانوا عليه قبل هذه البيعة، فقد غلب عليهم اتباع السنة، أما الذين بايعواه قبل بيته على يد السيد أحمد لم يكونوا راسخين فيه".

ويصرح الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي :

"إن سائر مشايخ التصوف هم أطباء الأمة، وطرقهم تناسب عصرهم، وهدف جميعهم هدف واحد، طريقهم اتباع السنة وقد أدخل الأئمة المتأخرة في هذه الطرق البدع، وكان السيد أحمد مجددهم ومصلحهم".

وذكر الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي من هذه السلسلة الشيخ عبد القادر الجيلاني، والشيخ شهاب الدين السهروري، والشيخ أحمد السرهندي، والإمام أحمد بن عرفان ووصف الأخير بأنه مصلح هذه الطرق ومجددها.

وضرب الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوبي في هذا الصدد مثلاً بالمجاهدين الذين كانوا في عسكر الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، وفتحوا مدينة "بيشاور"، فقد سأله أهلها بعض العسكريين الهنود في جيش الإمام : هل عيونك سليمة تبصرون بها من بعيد؟ فرجعوا إليهم بالسؤال وما الداعي إلى هذا الاستفسار؟ فقالوا : إننا رأينا أن أي عسكري منكم رغم بعده عن وطنه، وأهله لأعوام، لا يرفع بصره إلى أي امرأة، ولا يلقي لها بالاً، ولو كانت هذه التجربة مع شخص أو شخصين، قلنا : إن بهم زهداً أو تورعاً بالغاً، ولكن العسكريين كلهم يمثلون هذه السيرة، فقالوا : إن ذلك فيض من تربية إمامنا وقائدها، إننا نعمل بقول الله تعالى «قُلْ لِلّٰمُؤْمِنِينَ يَغْضُبُوا

مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ<sup>١</sup>

فكان الإمام أحمد محدداً، ظهرت آثار إصلاحه فيسائر مجالات الحياة، وتأثر بحركته عامة المسلمين وخاصتهم، وحدث انقلاب في الهند، وترجم النهضة الأخيرة بعد جمود وغفوة، واضطرباب فكري اكتسح الهند كلها إلى حركته، ويمكن أن يلاحظ أثر هذا الانقلاب بالمقارنة بين عصر الشيخ أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشاه ولی الله الدهلوی الذي بلغ فيه الانحطاط الفكري، والاضطراب الاجتماعي، والتدهور الخلقي، والتفكك غايته رغم وجود أئمة مجتهدین ومصلحین ربانيین<sup>٢</sup> وبين عصر الإمام أحمد بن عرفان الشهید، قد انتعشت في عصره روح الجهاد ومقاومة القوى الغازية للمسلمين.

ثم انتعشت روح الكفاح لمحو الجهالة، والبطالة، والتوكل، وقد أتباعه بعد الفراغ من الجهاد حملة نشر التعليم الديني، وإعداد النفوس، وانتشار الدعوة إلى الإصلاح إلى مناطق شاسعة من الهند، وكان أتباعه يشكلون العظمي الفقري لمقاومة الغزو الإنكليزي العسكري والثقافي، لأن جميع المكافحين كانوا على صلة بأتباعه .

وكان علماء صادقفور خير مثال لذلك، فإنهم اشترکوا في الجهاد مع الإمام أحمد بن عرفان الشهید ، ثم جاهدوا بعد استشهاده، وقدموا تضحيات جليلة، وسجلوا التاريخ، وجمعوا العلم والدعوة والجهاد، فكان الشيخ ولاية على الذي بايع الإمام

١ - سورة النور : الآية : ٣٠

٢ - راجع الجزء الرابع من رجل الفكر والدعوة للشيخ الندوی .

أحمد بن عرفان الشهيد لما سمع عن شهادة الإمام في معركة "بالاكوت" عاد إلى وطنه، وبعث شقيقه عنابة على إلى الحدود، ثم ارتحل بنفسه، وغزا على "كشمير"، فلاذ صاحب "كشمير" بالإنجليز، فأخذه وفرضوا عليه ألا يغادر "عظم آباد" فعكف على التدريس والتلقين، والذكير مستغلًا بتعليم الفنون الحربية وتجهيز الجيوش.

وقصة الشيخ يحيى علي الصادق فوري معروفة، وكان آية من آيات الله في الصبر على البلاء، والرضا بالقضاء، والشجاعة والسامحة، سافر مع شيخه ولاية على إلى الحدود، وأعانه في الغزو والجهاد، ثم عاد معه إلى وطنه، واستغل بالتدريس مدة، ثم قبض عليه الإنجليز، وألقوا عليه من المصائب ما لا يحصيها البيان، وكان يتحمل ذلك وينشد:

ولست أبيالي حين أقتل مسلماً	على أي شق كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشاً	يسارك على أوصال شلو منزع

ثم أصدرت المحكمة الحكم بالشنق فأبدى سروره وفرجه بذلك، فغيرت المحكمة حكمها، وحكمت بالنفي المؤبد إلى جزيرة "اندامان" وتوفي هناك في سنة ١٢٨٤ هـ.

وبهذين النموذجين اللذين يدللان على تربية الإمام أحمد يتضح أن حركته كانت حركة العلم والذكير، والدعوة إلى الحق، وإصلاح الحياة الاجتماعية، والجهاد في سبيل الله، وتمسك بهذه الأركان والعناصر سائر متبوعيه بعد شهادته.

١- اقرأ قصته الكاملة "من الشنق إلى النفي" لسماحة الشيخ الندوبي في "فচচ من التاريخ الإسلامي".

### الإصلاح والتجديد الذي قام به الإمام أحمد بن عرفان

يقول العلامة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوبي وهو يعدد الأعمال الإصلاحية والتجديدية للإمام أحمد بن عرفان :

"قاد السيد الإمام أحمد بن عرفان (١٢٠١ - ١٢٤٦) حركة إسلامية كبرى في شبه القارة الهندية، لم يعرف لها نظير في الشمول، وعمق التأثير، ومشابهة الدعوة الإسلامية الأولى لا في قرنه الثالث عشر المجري، بل في عدة قرون من تاريخ الإسلام والمسلمين الأخير، وظل يناضل على أوسع جهة نعرفها من إصلاح المجتمع، وتربية الرجال، والوعظ والإرشاد، والكافح والجهاد، ولم يكن تأثيره مقصوراً على العهد الذي نشأ فيه الجيل الذي عاصره، والمجال الذي عمل فيه، بل خلف أثراً عميقاً واسع المدى على الجيل الذي أعقبه، وعلى دعاة الإصلاح والعاملين في المجال الإسلامي الذين جاؤوا بعده، كالمجموعة الفرائضية في بنغال الشرقية، والدعوة السلفية في الهند، ومركز الدعوة والتربية في صادقبور "بتنه"، ومركز تعليم الكتاب والسنة للعلماء الغزنوين في "أمرتسار"، ومدرسة ديويند، وندوة العلماء في "لكناؤ"، وحركة التحرير وإجلاء الإنجليز التي كانت قيادتها في المرحلة الأولى بيد العلماء والقادة من جماعته، وحركة التأليف والترجمة الواسعة النطاق في مختلف أنحاء الهند التي ملأت الفجوة الواسعة بين الشعوب والثقافة الإسلامية الأصلية، والتعريف بالكتاب والسنة".

وقد اعترف مؤرخو الأدب الأردي أن حركة الإمام أحمد كان لها أثر بالغ في تسهيل اللغة الأردية وترويجها، كانت هذه اللغة مثقلة بالألفاظ الفارسية والعربية، فكانت محدودة في طبقات المثقفين، وقد

ألف الإمام أحمد بن عرفان الشهيد عدة رسائل باللغة الأرديّة السهلة، وللإمام محمد إسماعيل بن عبد الغني الشهيد دور رائد في ترقية الأدب الأردي، وقد نشأ بذلك أدب عرف في أواسط الأدباء بالأدب الوهابي. وقد كانت دعوته تتركز على إصلاح العقيدة، وترسيخ عقيدة التوحيد، وكان ذلك أساس دعوته، وتدل رسالة تفسير "سورة الفاتحة" للإمام أحمد بن عرفان و"الصراط المستقيم" وكتاب "تقوية الإيمان" للشيخ محمد إسماعيل الشهيد على تركيزه على العقيدة.

يقول الشيخ محمد إسماعيل في كتابه :

"يعلم أن للإيمان جزأين، الأول : الإيمان بآلهة إلهًا وربًا، والثاني : الإيمان بالرسول رسولاً ونبياً، يعني أن لا يسلك طريق غيره، فيجب على كل أحد أن يتمسك بالتوحيد، واتباع السنة بقوّة وعزّم، ويبتعد عن الشرك والبدعة كل الابتعاد، فالشرك والبدعة يؤثران في الإيمان ويحدثان خللاً، أما سائر الذنوب والمعاصي فهي تؤثر في الأعمال وتحدث خللاً فيها.

وعن القدوة يقول :

"يجب أن لا يتخذ قدوة وإماماً إلا من رسخت قدمه في التوحيد واتباع السنة، وكان بمعزل عن الشرك والبدعة، بعيداً عنهما كل البعد، ليتفع الناس بصحبته، ويسرى فيهم نور التوحيد وحب السنة".

ويدل هذا الجزء من التشريح للإيمان وسمات القدوة على أن الشيخ إسماعيل وجد هذه السمات في إماممة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد الذي جعله قدوة له، ولم يترك ملازمته صحبته إلى أن استشهد معه، ولرسوخ هذه العقيدة كانت حياة كل من كان يقتدي بالإمام أحمد بن عرفان تتغير، وتتغير طبيعة صلاته، وقد جرب ذلك الشيخ

محمد إسماعيل ، والشيخ عبد الحفيظ ، والشيخ عبد الرحيم الوليتي ، فقد كانت صلاتهم بعد بيعتهم تختلف عن الصلاة قبل البيعة.

وشرح الشيخ إسماعيل أن التصرف المطلق من خصائص الله تعالى ، قال : يجب أن يعتقد الإنسان أن التصرف في العالم بالإرادة ، وإصدار الأمر والنهي ، والإماتة والإحياء كما يشاء ، والبسط والقبض في الرزق ، والإفاضة بالصحة والمرض ، والفتح والهزيمة ، وتسخير القضاء والقدر ، وإنجاح المطالب ، وتحقيق الأماني ، ودفع البلاء ، والإغاثة في الشدائد ، وإلهاف الملهوف ، وإنهاض العاشر ، هذه كلها من خصائص الله تعالى لا يشاركه فيها أحد من الأنبياء والأولياء والشهداء والصالحين والعفاريت الجنينات ، فمن أثبتت هذا التصرف المطلق لأحد منهم ، وطلب منه حاجته ، وقرب القرابين والندور لأجل ذلك ، أو استصرفة في نازلة كان مشركاً ، ويقال لهذا النوع " الإشراك في التصرف " سواء اعتقد أنهم يقدرون على ذلك بأنفسهم ، أو اعتقد أن الله سبحانه وتعالى وهبهم هذه القدرة وخلع عليهم هذه الكراهة .

وكان من خصائص دعوته وجماعته أنها كانت تجمع بين جهاد النفس وجهاد العدو ، بين الحب لله والبغض لله ، وبين الزهد والعبادة ، وبين السيف والمصحف ، وبين العقل والعاطفة .

وقد قام بإحياء ركن الإسلام الجهاد في سبيل الله ، وركن الحج ، الذي أفتى العلماء بسقوطه فقد قاد قافلة الحجاج إلى مكة المكرمة للحج ، وقاد الجيش إلى ساحة الجهاد ، للجهاد مع العدو ، وكان سعيه أن يكون حجه وجهاده على طريق النبي ﷺ وأصحابه الكرام ، ويكون الخروج كخروجهم ، وهجرته كهجرتهم ، وأن لا يشوب عملهم شيء إلا ابتغاء رضا الله .

وكان من مآثره إحياء نظام الإمارة والإمامنة في الإسلام وهو العنصر الرئيسي الذي يميز الجهاد عن القتال، وقد أثبت بنفسه أنه لا يريد الحكم أو السيادة عند ما فتح مدينة بيشاور، ثم سلمها إلى من وعد بإقامة الحكم الشرعي من أهلها.

وكان من أعماله الإصلاحية تزويج الرئيس اللاتي كان يتاخر تزويجها في القبائل الأفغانية، ومكافحة العادات القبلية الجاهلية، وإزالة المنكرات.

ومن أعماله الإصلاحية تزويج الأرامل الذي كان يعتبر عملاً قبيحاً في الهند بتأثير الحضارة الهندوسية، وقدم في ذلك مثلاً وأسوة بنفسه، وقد كان يعتبر تزويج الأرامل عملاً قبيحاً في القبائل الأفغانية كذلك.

ومن أعماله الإصلاحية تطهير المجتمع من الفوارق الطبقية، والاستهانة بالذين عن ذنوبهم، وحديسي العهد بالإسلام، ومحترفي المهن المتواضعة، فقام بمكافحة هذه التصورات غير الإسلامية، ودعا إلى المساواة والعدل الاجتماعي، وأقام مجتمعاً كان شعاره «لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى، وإنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتُقَاتَّكُمْ».

وفي الإمارة كان شعاره "أطيعوني ما أطعت الله فيكم" كما قال سيدنا أبو بكر رضي الله عنه عند توليه الحكم، فكان أصحابه إذا رأوا فيه أمراً كان لهم فيه رأي أبدوا رأيهم واستفسروه.

### إسهام أتباعه في حركة مقاومة الاحتلال الإنجليزي

اشترك هؤلاء العلماء في الثورة الكبرى ضد الإنجليز في عام ١٢٧٢هـ - ١٨٥٧م التي وصفها السروليم هنتر بأن جمرة الجهاد التي

أشعلها السيد أحمد الشهيد (١٢٤٦هـ) هي التي ألبست هذه الثورة، وكان من العلماء والمشايخ الذين قادوا الثورة مولانا أحمد الله، ولقيت على، وغيرهم من العلماء والمشايخ معهم، ويقول هنتر: "كان أحمد الله شاه أكبر أعداء الإنجليز في شمال الهند"، ويقول سندر لال:

"ما من شك أن اسم الشيخ أحمد الله من شهداء ١٨٥٧م سيخلد محترماً في تاريخ شهداء الحرية في العالم". وقد كانت معركة شاملي التي وقعت في عام ١٢٧٤هـ تحت قيادة العلماء الذين كانت لهم صلة بالمسترشدين بالإمام أحمد بن عرفان الشهيد، يقول العلامة عبد الحي الحسني:

"قامت جماعة من العلماء والصلحاء، وأهل الغيرة من المسلمين في سهارنفور ومظفر نجر، فأعلنوا الحرب على الإنجليز، واختاروا الشيخ إمداد الله أميراً لهم، واشتبك الفريقيان في ميدان "شاملي" قرية من أعمال مظفرنغر، فقتل الحافظ ضامن شهيداً، وانقلبت الدائرة على المسلمين، ورسخت أقدام الإنجليز، واستند بطشهم لكل من اتهم بالمشاركة في هذه الثورة، وضاقت على العلماء العاملين الغيارى الأرض، وضاق مجال العمل في الهند، وقضى بعض الرفقة مدة في الاختفاء والانزواء، وبجاً بعضهم إلى الهجرة ومغادرة البلاد، وأثر الشيخ إمداد الله الهجرة إلى مكة المكرمة.

### من الجهاد بالسلاح إلى الجهاد بالقلم واللسان

بعد فشل الثورة ضد الإنجليز، واستشهاد ألف من العلماء والصالحين، وقادة المسلمين، ونفي عدد كبير منهم، وهجرة الآخرين، ركز العلماء على التربية والتعليم، ومواجهة الغزو الفكري والتغريب،

وأنشأوا شبكة من مدارس التعليم الديني ، كان في مقدمتهم الشيخ محمد قاسم النانوتوي مؤسس دار العلوم ديويند ، والشيخ رشيد أحمد الكنكوفي ، والشيخ أشرف علي التهانوي ، وهم من مسترشدي الشيخ إمداد الله المهاجر المكي ، والشيخ خليل أحمد السهارنوري ، والشيخ عبد الله الغزنوبي ، والشيخ عبد العزيز الرحيم آبادي ، والشيخ أبو بكر إبراهيم الأروي ، والشيخ محمد علي المونجيري مؤسس ندوة العلماء بلكتناو ، وجميعهم يتسبون بطريق أو آخر إلى هذه الطليعة المؤمنة ، وبالإضافة إلى مدارس التعليم والتربية ، ومراكم التزكية فتح العلماء مراكز البحث والتحقيق و النشر للكتب الإسلامية ، والمؤسسات لمعالجة القضايا الإسلامية ، وأثروا اللغة الهندية بالكتب الإسلامية ، فنشأت مكتبة قيمة تنقل الموضوعات الإسلامية من الفارسية والعربية إلى اللغة الأردية خاصة واللغات الهندية عامة ، كما كافح هؤلاء العلماء والمشايخ أخطار النصرانية ، والوثنية ، والقاديانية ، والحركات الهدامة الأخرى ، وبذلوا مجهداتهم لإصلاح المجتمع الإسلامي.

يقول الشيخ أبوالحسن علي الحسني الندوي عن النهضة العلمية بتأثير حركة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، وجهود أتباعه :

"نشطت حركة نشر الحديث والدعوة إلى الكتاب والسنّة ، ونبذ البدع والخرافات ، بعد ما قام تلاميذ الإمام ولی الله الدھلوی وأنجاله وأحفاده ، بتدریس كتب الحديث ، ومعادة البدع والعادات الجاهلية المحلية ، وقام السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهید - رحمه الله - ، والعلامة محمد إسماعيل الشهید - رحمه الله - بالدعوة إلى الدين الخالص ، والعقيدة الصحيحة السنّية ، والرجوع إلى ما كان عليه السلف الصالح ، والقرون المشهود لها بالخير ، ونشطت العقول ،

وتحركت الهمم ، وكثير الدعاء إلى الدين ، والمكافحون للفساد ، وكثير المعتقدون بعلوم الكتاب والسنّة ، والمؤلفون في المقاصد الدينية في اللغة الأردية الشعبية في أسلوب سهل واضح .

### مدرستان للحديث والسنّة ومدارس السلفيين

ونشأت من هذه الحركة التعليمية الدعوية مدرستان للحديث والسنّة ، إحداهما : "مدرسة صادق فورا السلفية" ، رائدتها العلامة ولاءت علي العظيم آبادي من كبار خلفاء السيد الشهيد ، وأحد العلماء الربانيين في الهند في العهد الأخير ، وهي متتبعة بروح دعوة التجديد والجهاد التي قادها الإمام السيد أحمد بن عرفان الشهيد ، والعلامة إسماعيل الشهيد ، وهي تتسم بالجمع بين الدعوة وروح الجهاد ، والعمل بالحديث ، وتزكية النفس ، وعمارة الباطن ، على طريقة السيد الشهيد ، والإمام ولي الله الدهلوi ، والمجدد السرhenدي ، والثانية : "مدرسة العلامة السيد نذير حسين الدهلوi (م ١٣٢٠هـ) .

يقول تلميذه الشيخ عبد الحفي عنـه :

"أدرك السيد الإمام الشهيد أحمد بن عرفان الدهلوi وصاحبيه الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدهلوi ، والشيخ عبد الحفي بن هبة

١- صادق فور حي من أحياe مدينة "بنه" عاصمة ولاية بيهار ، كانت مركزاً لأنصار السيد أحمد الشهيد - رحمه الله ..

٢- وذكر الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوi في "الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها" : ينخرط في هذا السلك المؤلف الكبير العلامة السيد صديق حسن القنوجي البهوفالي (م ١٣٠٧هـ) وهو معاصر السيد نذير حسين الدهلوi ، وتخريج على تلاميذ الشيخ عبد العزيز الدهلوi ، والشيخ محمد إسحاق الدهلوi ، وقد خدم علوم السنّة بالتأليف والنشر، وبنى الأموال الطائلة ، واحتضان العلم والعلماء ، وكان والله الشيخ أولاد حسن القنوجي من أصحاب الإمام السيد أحمد بن عرفان الشهيد .

الله البرهانوي سنة ١٢٣٧ هـ فملاً قلبه من الإيمان وغشيه نور المعرفة ، ويقول : رزقه الله سبحانه عمرًا طويلاً ، ونفع بعلومه خلقاً كثيراً من أهل العرب والعلم ، وكان الشيخ العلامة المحدث حسين أحمد بن محسن الأنصاري اليماني يشى عليه ويقول : إنه فرد زمانه ، ومسند وقته وأوانه ، وإنه من الهادين والمرشدين إلى العمل بالكتاب والسنة ، والمعلمين لهم ، بل أجل علماء هذا العصر الحقيقين في أرض الهند ، أكثرهم من تلامذته ، وعقيدته موافقة لعقيدة السلف الموافقة للكتاب والسنة ١.

ترجع معظم المدارس السلفية التي انتشرت في مختلف أنحاء الهند ، كـ "بناته" وـ "دريرهنكه" وـ "بستي" وـ "بنارس" وـ "دلهي" ومناطق جنوب الهند إلى خلفاء الإمام أحمد بن عرفان الشهيد وأتباعهم ، وهي كثيرة تعنى بتعليم الحديث والعقيدة .

#### دار العلوم ديويند ومظاهر العلوم

أسس الشيخ محمد قاسم النانوتوبي (م ١٢٩٧ هـ) رائد حركة التعليم بعد سقوط المسلمين في الهند من الأتباع لمترشدي الإمام السيد أحمد بن عرفان الشهيد<sup>٢</sup> "مدرسة ديويند" سنة ١٢٨٣ هـ ،

- ١ - الجزء الثامن من الإعلام بين في تاريخ الهند من الأعلام ص : ٥٢٣-٥٢٧ .
- ٢ - هو الشيخ العلامة الإمام محمد قاسم بن أسد علي النانوتوبي ، ولد بـ "نانوته" سنة ١٢٤٨ هـ ، ينتهي نسبه إلى سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وينتسب إليه متخرجو دار العلوم بديويند ، وكان من العائلة التي انتفع رجالها من السيد الإمام أحمد ابن عرفان ، حينما زار الإمام موطنه "نانوته" وقضى بعض الأيام بها ، داعياً ومصلحاً ، اشتغل بالعلم على الشيخ عملوك النانوتوبي ، وأخذ الحديث عن الشيخ عبد الغني الجلداني الدلهلي ، والشيخ أحمد علي السهارنفوري ، وأخذ الطريقة عن الشيخ إمداد الله التهانوي ، فاستخلفه ، ومدحه ، وأقعده على منبر الوعظ والبيان الشيخ مظفر بن

وأطلقت حركة إصلاحية كبيرة في ذلك العصر، وقصدها الراغبون من دول العالم، وأسس الشيخ سعادة علي ١ من بقية رهط الإمام الشهيد مدرسة "مظاهر العلوم" في سهارنفور في نفس ذلك العام.

ثم توالت المدارس الدينية في أنحاء الهند، وقد كانت لهذه المدارس فضل كبير في نشر الدين والدعوة الإسلامية، وفي نشر الثقافة في طبقات الشعب، ومحاربة البدع والخرافات، وبث الروح الدينية في الجماهير، وقد نجحت هذه المدارس في رسالتها الدينية

محمد الكاندھلوي أحد مسترشدی السيد الإمام أحمد بن عرفان ، فذكر أحسن تذکیر وكان له إسهام كبير مع شیخہ إمداد اللہ وصیدقہ الشیخ رشید احمد الکنکوھی فی معرکة وقعت فی ساحة "شاملی" سنۃ ١٨٥٧ م ضد الإنگلیز ، فهجر شیخہ إلی مکة المکرمة ، وعکف هو والشیخ الکنکوھی علی التدريس والتلقین والتذکیر ، وتتفیف الأجيال ، ثم تفاهم مع السيد الحاج عابد حسین الديوبندي ، واتفق معه علی تأسیس مدرسة إسلامیة بدیوبند ، وساعدهما الشیخ الکنکوھی بتوجیهاته التعليمیة والتربیة فكان مریبها الآخر ، وللشیخ محمد قاسم خدمات جلیلة فی الجھاد فی سبیل الله والدفاع عن الإسلام ، وإنھاض المسلمين علمًا ودينًا وحضارة ، ولوه مؤلفات قيمة فی علم الكلام ، وإثبات عقائد الإسلام وأحكامه ، توفی قبل أن يبلغ خمسين سنۃ فی عام ١٢٩٧ھ بدیوبند ، ودفن بها ، وكان الشیخ محمد حسن الديوبندي من أرشد تلاميذه وأحب أحبابه .

١ - هو الشیخ محمد سعادت علی الأنصاری السهارنفوری ، كان من كبار العلماء الراسخین والفقهاء المبحرين ، ومن خاصة رهط الإمام السيد أحمد بن عرفان الشهید البریلوی ، كانت له ملکة راسخة فی العلوم ، ونبوغ مخصوص فی الفقه الإسلامي ، حتى أن الشیخ الإمام الحدیث محمد إسحاق بن محمد أفضل الدهلوي شاوره فی بعض البحوث العلمية والمسائل الفقهية ، واعتمد علی رأيه فیها ، ومن تلامذته النابغین الشیخ الحدیث الكبير احمد علی السهارنفوری صاحب التعليق علی الصحيح البخاري وأستاذ الأساتذة فی عصره ، وقد أسس الشیخ سعادت علی هذه المدرسة فی غرة ربیع ١٢٨٣ھ بعد ما أأسست جامعة إسلامیة فی دیوبند بستة أشهر ، وتوفی الشیخ سعادت علی سنۃ ١٢٨٦ھ بسهارنفور .

نجاحاً باهراً، وكان للمتخرجين في دار العلوم بديوبند تأثير كبير في  
حياة المسلمين الدينية في الهند، وفضل كبير في محو البدع، وإزالة  
المحاثن، وإصلاح العقيدة، والدعوة إلى الدين واتباع السنة،  
ومناظرة أهل الضلال والرد عليهم، وكانت لبعضهم مواقف  
محمودة في السياسة والدفاع عن الوطن، وكلمة حق عند سلطان  
جائز.

وقد أنجبت هذه المدرسة أجيالاً من العلماء الربانيين، والمحققين في علوم الشريعة، والمجاهدين في سبيل الله<sup>١</sup>، وقد العلماء المتخرجون فيها حركة مكافحة البدع، وقاموا بترسيخ عقيدة التوحيد، وتفرعت منها مدارس في أنحاء الهند المختلفة.

وقد بدأت هذه المدرسة بطالب واحد، ويبلغ الآن عدد الدارسين فيها في العلوم الشرعية العليا عدّةآلاف ، وتعتبر هذه المدرسة أزهر الهند. وقد خرجت مدرسة مظاهر العلوم عدداً كبيراً من العلماء الصالحين والرجال العاملين في ميادين العلم والدين ، ولعلمائها آثار جليلة في شرح كتب الحديث ، وخدمة هذا الفن الشريف ، لا سيما العلامة الشيخ خليل أحمد السهارنفورى صاحب بذل الجهد في حل سنن أبي داود ، والعلامة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوى صاحب أوجز المسالك إلى مؤطرا الإمام مالك ، وقد طبع أوجز المسالك للشيخ محمد زكريا الكاندهلوى مراراً .٢

- في مقدمتهم الشيخ محمد حسن الديوبندي المعروف بـ شيخ الهند ، وتلامذته كالعلامة أنور شاه الكشميري ، والشيخ حسين أحمد المدنى ، والشيخ أشرف على الهاںوي وغيرهم .
  - وطبع بتحقيق الدكتور الشيخ تقى الدين الندوى في ثانية عشر مجلداً سنة ١٤٢٤هـ بالامارات العربية المتحدة .

## ندوة العلماء

ويصل نسب المدرسة التي أنشئت في لكتاؤ في سنة ١٨٩٤ م - ١٣١٢ هـ وهي المدرسة الثالثة الكبرى، إلى هذا الجيل من الربانيين، فقد أسس ندوة العلماء الشيخ محمد علي المونجيري ١ ونخبة من العلماء، وكان من كبار مساعديه الشيخ عبد الحفيظ الحسني (والد الشيخ أبي الحسن علي الندوبي) وكان كلاهما من مسترشدي الشيخ فضل الرحمن الكنج مراد آبادي، وهو من تلاميذ الشيخ عبد العزيز الدلهلي ، وكان الشيخ عبد الحفيظ من أسرة الإمام أحمد بن عرفان وجده السيد عبد العلي من مسترشدي السيد الإمام أحمد بن عرفان

١- هو الشيخ الإمام محمد علي بن عبد العلي المونجيري أحد العلماء الربانيين والداعية الكبار في الهند، ولد بكانبور ٣ شعبان سنة ١٢٦٢ هـ، وأخذ العلم عن العلماء المشهورين في عصره، كالشيخ الفتى عناتي أحد الكاوكوري تلميذ الشيخ بزرك علي الملاهوري الذي تلّمذ على يد الشيخ حيدر علي الرامفوري الطوكي خليفة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، أخذ الطريقة عن الشيخ الكبير فضل الرحمن بن أهل الله البكري الكنج مراد آبادي ، وقاوم نشاطات القسوس المسيحيين ودعاة التبشير في نشر النصرانية وتشكيك المسلمين في عقيدتهم ودينهم ، وألف في رد "المسيحية" علة كتاب قيمة من أهمها "بيان حمدي" (رسالة محمد صلى الله عليه وسلم)، وأسس ندوة العلماء سنة ١٣١١ هـ وذهب نفسه وعقله وعناته لهذه الحركة ومركزها، وقاوم "القاديانية" بالدعوة والمناظرة ، وألف في رد القاديانية نحو مائة مؤلف بين رسالة وكتاب كبير، من أحستها "فيصلحة آسماني" ثم انقطع إلى الإرشاد والتعليم ، فمات إليه القلوب وتهافت عليه الناس وبايته خلق لا يمحضون بحد وعد ، وقد غلب عليه الحب والاستغراب في آخر حياته، فكان مولانا محمد علي المونجيري عالماً ربانياً ، ومصلحاً كبيراً، صاحب جذبة إلهية ونسبة قوية ، وكان شديد الغيرة على الإسلام ، شديد الحمية، قوي الدفاع عن العقيدة الصحيحة وحرمات الدين ، شديد الاشتغال بما ينفع الإسلام وال المسلمين ، شديد الاتباع للسنة ، شديد الحبة لله ورسوله، توفي في ٨ ربيع الأول سنة ١٣٤٦ هـ ، ودفن في زاويته بمونجير بولاية بيهار.

الشهيد وجده من جهة الأم الشيخ سراج الدين المسوى كان من أصحاب الإمام الشهيد<sup>١</sup>.

كانت ندوة العلماء التي أنشئت كحركة تعليمية وتربيوية تجربة فريدة في التعليم والدعوة، فقد انضم إلى هذه الحركة علماء باحثون كالعلامة شibli النعmani ١٣٣٢ هـ صاحب المؤلفات الكثيرة، ومؤسس المجتمع العلمي المعروف بدار المصنفين في أعظم كراه، وعدد من كبار المشايخ والمصلحين، وقد كان تأسيس هذه المدرسة بغرض إقامة قنطرة تصل بين الثقافتين الإسلامية، والغربية، والطبقتين علماء الدين والثقافتين العصريين، وإحداث فكر جديد يجمع بين محاسن القديم والجديد.

كان لهذه المدرسة فضل لا يستهان به في نشر الثقافة الإسلامية، وعرض السيرة النبوية، ومحاسن الإسلام وتعاليمه في أسلوب عصري قوي، وثوب قشيب، فقد كان لكتابات العلامة شibli النعmani وتلميذه النابغة العلامة السيد سليمان الندوي والأستاذ عبد الباري الندوي تأثير قوي في نشر الفكر الإسلامي ورد كيد أعداء الإسلام بأسلوب علمي رزين.

١ - كان الشيخ سراج الدين بن مهلي المسوى من أقارب السيد الإمام أحمد بن عرقان وخلفائه، يتصل نسبه إلى سيدنا حسين بن علي رضي الله عنهما، كان يضرب به المثل في الزهد والتورع والعلم والشهادة والجلالة، تلمذ لديه الشيخ المربi الكبير والعالم التحرير السيد عبد السلام ابن شقيقه الشيخ أبي القاسم بن مهلي الحسيني وخته الذي استفاد منه عدد كبير من العلماء والمشايخ الذين نالوا الدرجات العلى في العلم والسلوك، منهم الشيخ ناظر علي الكاكوري والد الشيخ عبد الشكور الفاروقى اللكنوى الذى لقب بإمام أهل السنة والجماعة فى الديار الشرقية الشمالية بالمند على خدماته لتصحيح العقائد وإصلاح الأعمال ورد البدع والاشراك.

وتولى رئاسة ندوة العلماء سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوبي (م رمضان ١٤٢٠ هـ - ديسمبر ١٩٩٩ م) ابن العلامة السيد عبد الحفيظ الحسني فقطعت ندوة العلماء شوطاً بعيداً في الكفاح العلمي والدعوة الإسلامية والتربية الدينية في عهد رئاسته، وقام سماحته بدور قيادي في معظم الحركات الدينية والتربوية بالإضافة إلى مجده العلمي الجبار.

وكان يرأس الشيخ الندوبي بجانب رئاسة ندوة العلماء رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ومركز الدراسات الإسلامية بأكسفورد، وهيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند، والمجمع الإسلامي العلمي بلكتناو، ودار المصنفين بأعظم جراه، ومجلس التعليم الديني وعدة منظمات هندية وعالمية.

وفي عهد رئاسة الشيخ الندوبي لم تعدد ندوة العلماء مجرد مدرسة تعليمية، بل تعددت أهدافها، وتنوعت نشاطاتها، فأصبحت مركزاً إسلامياً، يغطي مجالات التعليم والتربية، والتثقيف، والتوعية الإسلامية، والدعوة والإرشاد، وتعدت نشاطاتها من التعليم إلى الإعلام، ورقابة الإعلام، وصدرت منها مجلات وصحف كـ "البعث الإسلامي"، وـ "الرائد" بالعربية، وـ "تعمير حبات" بالأردية، ومجلة إنجليزية ومجلة هندية، وأسهم المتخرجون في الندوة في ميادين التعليم والدعوة والإعلام بنطاق واسع، كان له تأثير محلياً وعالمياً.

### السيد أحمد خان وحركته التعليمية

لا يستثنى من هذا التأثير السيد أحمد خان الذي قاد حركة التعليم العصري، وإن الروح السائدة فيه للدفاع عن الإسلام، وخاصة عن ذات الرسول صلى الله عليه وسلم، ورده لأباطيل

المستشرقين، واهتمامه البالغ برفع مستوى المسلمين، ومنهم الشرف والكرامة التي سلبها الاحتلال البريطاني، كل ذلك يرجع إلى تأثر والدته وبعض أعضاء أسرته بحركة الإمام أحمد، ويتجلى هذا الحرص على تجديد العهد الظاهر للمسلمين من كتابه "آثار الصناديد" وكتاب "خطبات أحمدية" ويتجلى تأثيره عندما ذكر آثار مشايخ دهلي، والآثار الخالدة للمسلمين فيها، وخاصة مجالس الشيخ غلام علي المجدد.

يقول الشيخ عبد الحي الحسني :

"الرجل الكبير الشهير أحمد المتقي بن الهادي بن عماد بن برهان الحسيني الدهلوi، كان من مشاهير الشرق، لم يكن مثله في زمانه في الدهاء، ورزانة العقل، وجودة القرىحة، وقوية النفس والشهامة، والقطنة بدقائق الأمور، وجودة التدبير، وإلقاء الخطبة على الناس".

ويقول :

"الناس قسمان في شأنه، فبعض منهم يقصر به عن المقدار الذي يستحقه، وبعض منهم يبالغ في وصفه، ويتجاوز به الحد، ويلقبه بالمجدد الأعظم والمجتهد الأكبر".

ويقول :

"كان في بداية أمره على مذهب مشايخ النقشبندية، لأنه نشأ فيهم، وكان والده محمد المتقي من أصحاب الشيخ غلام علي الدهلوi، وأمه عزيز النساء بنت فريد الدين الكشميري الوزير كانت بايعت السيد الإمام المجاهد السيد أحمد بن عرفان الشهيد السعيد البريلوي، فصنف الرسائل في إثبات الرابطة، وتصور الشيخ، ثم

رغم إلى طائفة الإمام وختاراته، وصنف الرسائل في الانتصار له، فنسبه الناس إلى الوهابية".  
ويقول:

"كان مولده في الخامس ذي الحجة سنة ١٢٣٢ هـ بدمشق وتربى في حجر أمه وجده لأمه خواجة فريد الدين".

وقد أنشأ السيد أحمد خان في عام ١٨٨٦ م هيئة التعليم الإسلامية، في وجه المدارس العصرية التي كان المشرفون يفتحونها في مختلف أنحاء الهند، كان من أهدافها:

نشر العلوم والأداب الغربية في المسلمين، وبحث التدابير لرفع مستوى تعليمهم.

التعريف بعلوم المسلمين القديمة، وإعداد مقالات وبحوث حولها.

إعداد كتب عن أعلام الإسلام والموظفين الكبار ونشر ترجمتهم.

إحياء التراث العلمي الإسلامي والكشف عن دفائنه.

الاهتمام بتحفيظ القرآن في الأطفال.

الاهتمام بتعليم العلوم الإسلامية بالطريقة القديمة في مراكزها.

ولا يستبعد تأثر السيد أحمد خان بحركة الإمام أحمد بن

عرفان ، فقد ولد في عام ١٢٣٢ هـ ، وكانت نشأته في البيئة التي كان

دوى حركة الإمام السيد أحمد فيها مسموعاً ، وكان خلفاؤه قد

انتشروا في الهند ، وكان ذا عاطفة وقادة ، وقد ذكر تأثير زيارة الإمام

أحمد بن عرفان الشهيد لكلكتا ، وكيف تغيرت حياة المسلمين فيها ،

فأغلقت حوانين الخمر ودور البغاء ، ورفض الناس دفع الضرائب في

كتابه "آثار الصناديد" إلا أنه خضع للإنجليز في أثناء دراسته العصرية و

غلبة الإنجليز كلياً، وتخلف المسلمين في التعليم، وتقدم غيرهم واستيلائهم على المناصب الإدارية، فثارت حميتها الإسلامية ، وكانت سيطرة الإنجليز قد دامت ، فقبل الوظائف في الحكومة الإنجليزية ، وغابت عليه فكرة تعليم المسلمين تعليماً عصرياً . في الوقت الذي كان زملاؤه أمثال الشيخ محمد قاسم النانوتوي الذي كان زميلاً في الدرس عند الشيخ مملوك علي في دلهي مشغولين بفتح مدارس التعليم الديني - وتقيفهم ليسايرفا ركب الحضارة ، فأنشأ مجتمعًا علمياً للترجمة والتأليف ، والنشر ، وأصدر مجلة "تهذيب الأخلاق" ، وسافر إلى أوروبا سنة ١٢٨٠ هـ ، وألف كتابه المشهور " الخطبات الأحمدية " في الرد على السير وليم ميور ، والدفاع عن صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ، ثم أنشأ سنة ١٨٥٧ م كلية إسلامية إنجليزية وهي التي تسمى الآن "جامعة عليجراه الإسلامية" ، وتوفي سنة ١٣١٠ هـ المصادف ١٨٩٨ م.

ويقول الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوبي :

" شاهد سيد أحمد خان انهيار الحكومة الإسلامية المغولية التي كانت صورة مصغرة شاحبة للإمبراطورية الإسلامية ، ورأى إخفاق الثورة الكبرى في سنة ١٨٥٧ م ، واطلع على أسباب هذا الإخفاق الذريع ، وانهزام مجموعة كبيرة ضخمة في البلاد ، أمام حفنة من الأجانب الغرباء ، ورأى ما دفعه المسلمون من قيمة هذه الثورة التي رسموا خطتها وتولوا كبرها ، ورأى هوان الشعب الكبير الذي كان صاحب الأمر والنهي في البلاد ، وشقاء الأسر والبيوتات الكبيرة ، ورأى سطوة الإنجليز على هذه الأنماض ، وأنبهة ملتهم ، وطلائع مدنيتهم الخلابة ، واتصل بالإنجليز اتصالاً وثيقاً عن طريق الوظيفة والزمالة ، وعن طريق الصداقة والتعارف ، فأعجب بذكائهم وكفاءتهم

ومدنية لهم<sup>١</sup>.

وصار السيد أحمد خان في آخر حياته من الدعاة إلى قبول  
الحضارة الغربية بكمالها.

### جهود العلماء ضد الاستعمار البريطاني وتحرير البلاد

من العلماء الذين قادوا حركة تحرير البلاد من الاستعمار  
البريطاني شيخ الهند محمود حسن الديوبندي، وشيخ الإسلام حسين  
أحمد المدنبي، والشيخ عطاء الله شاه البخاري، ومولانا أبوالكلام  
آزاد، والشيخ عبد الباري الفرنججي محلبي، والشيخ داود الغزنوبي، وقد  
أدى هذا الجمع بين العلوم الظاهرة والباطنة، وبين الربانية والطريقة إلى  
خلود هذه السلسلة الذهبية، فوجد جيل بعد جيل من العلماء  
والمشايخ لإرشاد المسلمين وشرح التعاليم في مختلف العصور حسب  
مقتضيات الظروف، وإحياء الدين الإسلامي.

وإن حركة الخلافة التي هبت في الهند كانت كعاصفة هوجاء  
لحماية الخلافة العثمانية، وكان لها فضل كبير في الهند في حركة تحرير  
البلاد، وفي طرد الإنجليز، والقضاء على الحكم الأجنبي في شبه القارة  
الهندية، يتزعمها هؤلاء العلماء، على رأسهم الشيخ محمود حسن  
الديوبندي، والشيخ عبد الباري، وكان مولانا محمد على جوهر(دفين  
قدس ١٩٣١ م) من كبار قادتها وزعماءها، كان رجلاً أمعياً وشخصية  
مؤثرة قوية، وكاتباً قديراً، أنشأ مجلة "كامريد" Comrade الإنجليزية من  
كلكتا، ينتقد فيها السياسة الإنجليزية في أسلوب أدبي ساخر، وعرفت  
هذه الحركة بقوة عاطفتها الدينية، وحبها العميق في الأحساء لرسول

١- الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية. ص : ٧٠

الله صلى الله عليه وسلم، وارتباطها بمهد الإسلام ومركزه، وباهتمامها الشديد بقضية فلسطين والمسجد الأقصى المبارك.

### الشيخ محمود حسن الديوبندي

وكان الشيخ محمود حسن بن ذوالفار علي العثماني الديوبندي الذي كان يقود تلك الحركة من الأسرة التي كانت له صلة عميقة بالإمام أحمد بن عرفة الشهيد وجماعته، ولما سافر السيد أحمد الشهيد إلى ديواند وسهارنفور خلال جولاته الإصلاحية بعد رجوعه من دهلي ، استفادت أسرته منه ، وكان والده الشيخ ذوالفار على يذكر قصص تأثيره وأحوال جماعته<sup>١</sup> .

إنه كان من كبار الحاقدين على الحكومة الإنجليزية ، فأعد عدته للجهاد ضد الإنجليز ، وأراد إنشاء حكومة مستقلة في الهند ، فيها الأمر والنهي للمسلمين ، ودفعه طموحه وهمته إلى الاتصال بتركيا والانسجام معها على خط الثورة والجهاد ، وإن الرسائل الحريرية والاجتماع بأنور باشا واعتقاله في جزيرة مالطا كل ذلك يدل على علو همتة ونشاطه الدائب المستمر ، ويقول الشيخ أبو الحسن الندوبي في كتابه "المسلمون في الهند" لا نعرف أحداً بعد السلطان تيبو من يبلغ مبلغه في عداء الإنجليز والاهتمام بأمرهم ، وكان من كبار أنصار الدولة العثمانية التي كانت زعيمة العالم الإسلامي وحاملة لواء الخلافة ، وكان من كبار الدعاة إلى استقلال الهند ، وتأسيس الحكومة الوطنية الحرة ، وكان من الذين ملكتهم هذه القضية ، وتقنوا فيها ، وحاول الاتصال بحكومة أفغانستان ، ورجال الدولة العثمانية لأنور باشا وغيره ، وقد أسرته حكومة

١ - ذكرها الشيخ أبو الحسن الندوبي في كتابه "سيرة السيد أحمد الشهيد" بالأردية .

شريف حسين سنة ١٩١٦ م في المدينة المنورة ، وسلمته إلى الحكومة الإنجليزية التي نفتها وزملاعه وتلاميذه إلى جزيرة "مالطا" سنة ١٩١٧ م، ومكثوا هنالك إلى سنة ١٩٢٠ م.

وبعد ما أطلقته الحكومة رجع إلى وطنه ، وتوفي بعد أشهر في تلك السنة ، وخلفه تلميذه النابغ مولانا حسين أحمد المدنى المعروف بـ "شيخ الإسلام" ، وكان من تلاميذته النبغاء الآخرين ومستشاريه وأصحابه العالم الصالح شبير أحمد العثماني ٢ ، والشيخ عبيد

١ - أما الشيخ حسين أحمد المدنى فإنه لازم شيخه ملزمة كلية حتى مكث ثلاث سنوات في منفى مالطا مع شيخه صابرا محتسبا ، وبعد ما أطلق سراحه مع شيخه اشتغل بتدريس الحديث الشريف في دار العلوم بيروت ، وشر عن ساق الجد في التدريس ، وفي بيت روح النخوة والإباء في المسلمين ، ومازال مشتغلًا في خدمة البلاد والعباد ، ثم ألقى القبض عليه مرة أخرى سنة ١٣٦١هـ و بقي معتقلًا نحو ثلات سنوات حتى جاء الأمر بالإطلاق ، فعاد إلى ما كان عليه من كفاح وجهاد وتعليم وإرشاد حتى نالت الهند الاستقلال ، فعكف على الدرس والإفادة و التربية النفوس ، لا يتصل بالحكومة ورجالها ، وقد رفض رتبة فخرية "بدم بهوشن" عرضها عليه رئيس الجمهورية بعد استقلال الهند ، وغلبت عليه الحمية الدينية والغيرة للشرع والسنّة النبوية في آخر عمره ، فكان لا يتحمل تفريطا فيها ، يشدد الإنكار على من خالف السنّة أو استخف بشعائر الإسلام ، وكان له دور عظيم في بناء المسلمين في الهند وتربيتهم تربية دينية بعد ما انقسمت البلاد إلى بليدين - الهند وباسستان .

٢ - العلامة الشيخ شبير أحمد العثماني من العلماء المبرزين وهو معروف بكتابه "الفتح للهم في شرح صحيح مسلم" ، وكان له إسهام كبير في حركة باكستان الدولة الإسلامية المستقلة وتدوين دستورها وتطبيقه بالشريعة ، فإنه بذلك وبمكانه الرفيعة في صفوف العلماء لقب بشيخ الإسلام في باكستان ، وكانت وفاته خسارة عظيمة وفراجا لا يسد لسلمي شبه القارة الهندية ، خلف مؤلفات عظيمة وتفسيرا للقرآن الكريم نشره جمع الملك فهد للقرآن الكريم مرات وكرات توفي سنة ١٩٤٩ م

الله السندي<sup>١</sup> ، والمفتى كفایت الله الدهلوی ، وغيرهم .  
يقول الشيخ أبو الحسن الندوی في كتابه " المسلمين في الهند " عن الشيخ حسين أحمد المدنی :

" هو خليفة شيخه مولانا محمود حسن في العداء الشديد للإنجليز والحماس للقضية الوطنية والإخلاص لها والتضامن في سبيلها ، وقد تحمل هو وزملاؤه أعضاء جمعية العلماء كل سخط وإهانة ، ونذكر منهم بصفة خاصة المفتى الأكبر مولانا كفایة الله ، ومولانا محمد سجاد البهاري ، وهو مؤسس الإمارة الشرعية لولايتها "أریسہ" و"بھار" الهند ، ومولانا حفظ الرحمن الأمين العام للجمعية ".

### مولانا أبو الكلام آزاد

وقد اعترف أبو الكلام آزاد الذي كان من قادة حركة تحرير الهند وتولى رئاسة المؤتمر الوطني مدة من الزمن بتأثير حركة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، فقد ولد والده في عام ١٨٣١ م الذي كان فيه

بكراتشي . وخلف من تلامذته علماء أجياله كالسيد مناظر أحسن الكيلاني والشيخ محمد منظور النعماني .

١ - الشيخ عبد الله السندي من العلماء المحققين والقادة السياسيين ، ولد في بيت من بيوت الوثنيين ، ثم ألقى الله في روعه محنة دين الإسلام ، وحصلت له الكتب الإسلامية كـ " تقوية الإيمان " للشيخ إسماعيل الشهيد ، وأسلم على يد الشيخ محمد صديق السندي ، ثم اشتغل بالعلم على علماء عصره كالشيخ أحمد حسن الكانفورى ، والشيخ محمود حسن الديوبندي ، اشترك في حركة شيخ الهند ، وكان في مقدمة جماعته التي هيأها للقضاء على الحكم الإنگليزي في الهند ، وفي سائر المستعمرات البريطانية تقوم إمارة إسلامية ، ويخلص المسلمين من عبودية الإنگليز في جميع البقاع . وكان يدرس التفسير و " حجة الله البالغة " على طريقته الخاصة ، تخرج عليه بعض كبار العلماء ، أشهرهم الشيخ أحمد علي اللاھوري ، ولد في ٩ / حرم سنة ١٢٨٩ھ ... وتوفي في ... ١٣٦٠ھ ...

دوى حركة الجهاد للإمام يسمع في أرجاء الهند كلها، وسمع منه مأثر الإمام أحمد وأبدى تأثره في بعض مقالاته، وكان مجلتى "الملال" و"البلاغ" اللتين أصدرهما مولانا أبو الكلام آزاد تأثير كبير في نفح روح الجهاد والكفاح، وإيقاظ المسلمين من سباتهم، وقد دافع بقوة عن الخلافة العثمانية، وهاجم الإنجليز في كتاباته المشيرة وخطبه، وسجن عدة مرات.

وفي عهد رئاسته للمؤتمر الوطني وتحت إشرافه وتوجيهه نالت الهند الاستقلال، وله في حركة استقلال الهند والكفاح الوطني أوفر نصيب يمكن أن يكون لزعيم وطني صرخ به الشيخ أبو الحسن الندوى في كتابه "المسلمون في الهند"، وقد اعترف بذلكه ولياقته وحنكته السياسية والفتنة للدقائق الدستورية أعضاء البعثات وممثلو الدول والزعماء والقادة.

### حركة الشيخ محمد إلياس للدعوة والتربية

**كان الشيخ محمد إلياس الكاندھلوي ۱ الذي أسس الحركة**

١ - ولد الشيخ محمد إلياس سنة ١٣٠٣هـ في كاندھلة في بيت عريق في العلم والدين، امتاز رجاله وأسلافه بعلو المهمة وشلة المواجهة والتمسك بالدين والصلابة فيه، أشهرهم العلامة الفتى إلهي بخش الكاندھلوي خليفة الإمام السيد أحمد بن عرفان الشهيد، وجاهد في سبيل الله غير واحد من أفراد هذه الأسرة الكريمة مع الإمام الشهيد، واستشهد معه، فلذلك كانت المجالس والمحافل في البيت وخارجيه معمورة بقصص وحكايات السيد الإمام الشهيد البريلوي وشيخه العلامة الحديث الشيخ عبد العزيز بن الإمام علي الله الندوی، وقصص أسرتهما، فكانت الأحاديث تدور على الألسنة، والأمهات وربات البيوت يسردن على الصغار هذه القصص الباعثة للرورح والمثيرة للإياع والحنان، ولما صنف سلسلة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوی كتاباً عن الإمام أحمد بن عرفان الشهيد وحركته (في الأردو) وقدمه إلى الشيخ

الإصلاحية المعروفة بجماعة الدعوة والتبلیغ من أسرة عميقة الصلة بخليفة الإمام أحمد بن عرفة الشهید، فكانت لأسرة الشيخ صلات روحية وعقائدية بالسيد الإمام الشهید، فجده لأمه العلامة المفتی إلهي بخش الكاندھلوی کان من خلفاء السيد الإمام ، وشارحي فكرته، وقد کان منهجه في الدعوة يقوم على الاتصال الشخصي بالمسلمين، ودعوتهم إلى الخروج في سبيل الله ، وتعليمهم وتربيتهم أثناء جولات الدعوة، وقد تركت هذه الجماعة أثراً واسعاً وعميقاً على حياة الخاصة وال العامة من المسلمين ، وتوسعت دائرةها إلى مختلف أجزاء العالم الإسلامي ، وتغيرت حياة عدد لا يحصى من خرج في جولات الدعوة.

ويقول الشيخ أبو الحسن الندوی عن دعوته ومحركاتها ، "لقد رأى مولانا محمد إلياس ما أصاب المسلمين من التحلل والإفلات في الإيمان والروح والشعور الديني في هذه المدة ، وما أثرت فيهم الحكومة الإنجليزية والحضارة الغربية والتعليم المدني ، وغفلة الدعوة ، والاشغال الزائد بالحياة ، والانهماك بال المادة حتى صارت المدارس الشرعية والأوساط الدينية كجزر في بحر محيط ، وأصبحت تتأثر بمحيطها الشائر على الدين ولا تؤثر ، بضعفها وعزلتها عن

إلياس قال له بعد ملاحظته: "ما زاد شيئاً في علمي مطالعة كتابك ، لأنني قد سمعت جميعاً من نساء أسرتي من الجدات والحالات" ، وصرح مرة بقوله : "لا نزال إلى يومنا هذا في ظل تجديد الإمام الشهید" ، فكانت جرعة الجهد ، تشتعل في قلبه ، وروح الإيمان تتبعث وتشور ، وكانت حماسة الجهد ، والعزمية مما دفعه إلى أن يباعي الشيخ محمود حسن الديوبندي بيعة الجهاد ، ولكن الشيخ محمود حسن أشار عليه أن يباعي الشيخ الحدث خليل أحد السهارنفوری بيعة التركية والسلوك ، فباعه وتلقى منه التربية الروحية ، توفي سنة ١٣٦٣هـ في دلهي عاصمة الهند ، وخلفه الشيخ محمد يوسف الكاندھلوی .

الحياة، فرأى أن التعليم وحده لا يكفي، والاعتزال لا يفيد، والانزواء لا يصح، ولابد من الاتصال بطبقات الشعب والتقدم إليها من غير انتظار، لأنها لا تشعر بمرضاها وفقرها في الدين، ويجب أن يبتداً بغرس الإيمان في القلوب ومبادئ الإسلام، ثم الأركان والعلم والذكر مع مراعاة الآداب التي تقوى هذه الدعوة وتحفظها من الفتنة<sup>١</sup>.

ولما توفي الشيخ محمد إلياس في رجب سنة ١٣٦٣هـ خلفه مجله البر الراشد الشيخ محمد يوسف<sup>٢</sup>، وقام بأعباء الدعوة خير قيام، وفي عهده توسيع نطاق هذه الدعوة توسيعاً كبيراً، فانتشرت بعثاتها في العالم الإسلامي والعربي وفي الغرب، وبعد وفاة الشيخ محمد يوسف خلفه الشيخ إنعام الحسن<sup>٣</sup> الكاندھلوي، فشملت هذه الحركة قارات العالم في آسيا، وأوروبا، وإفريقيا، وأمريكا، وأستراليا، وانتشرت الدعوة وتغلغلت في مدنها وقرابها، ولا تزال الحركة تواصل نشاطها الدعوي والتربوي، وقد أشعلت هذه الدعوة محامر القلوب، وألهمت جذوة الإيمان في آلاف المسلمين.

وقد حكى الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي أن الشيخ محمد إلياس الكاندھلوي كان يقول: إننا مسلمون بفضل دعوة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، وكان يعترف بفضله ويعظم شأنه، وكان

١ - الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها - للشيخ السيد أبي الحسن الندوي ص: ٣٩

٢ - توفي الشيخ محمد يوسف في ٢٩ / ذي القعده سنة ١٣٨٤هـ ١٩٦٥م، وكان سنه ٤٨ سنة.

٣ - توفي الشيخ محمد إنعام الحسن سنة ١٤١٦هـ / ١٠ محرم سنة ١٩٩٥م، وكان تربى الشيخ محمد يوسف رحمه الله.

يقول: نحن في ظل تجديده.

### جهود العلماء بعد الاستقلال

نالت الهند الاستقلال، وانقسمت البلاد إلى بلدين في عام ١٩٤٧م، فمررت البلاد بشورة عصبية وغليان ل القوميّة والعداء الديني، فكان لمعاشر التربية الدينية المذكورة دور عظيم في بقاء المسلمين في الهند، وتربيتهم تربية دينية، وكان في مقدمة العلماء الربانيين الذين قاموا بتوجيه المسلمين في هذه الفترة العصبية شيخ الإسلام حسین أَحمد المدنی شیخ الحدیث فی دار العلوم بدیویند، والذی کان له دور قیادی فی حرکة تحریر بلاد الهند، وقد کان محدثاً کبیراً، ومربياً عظیماً، وقائداً سیاسیاً فی وقت واحد، والشیخ عبد القادر الرأی بوری الذي کان من كبار المریین والمصلحین والعلماء الربانیین المطلعین البصیرین الذين يجمعون بين العلم والعمل والتربية والتزکیة، ومن أولئک القائدين والعلماء الصالحین الذين يحتاج إلیهم المسلمون بل قادتهم فی كل زمان للقيادة والتوجیه والاستفادة من تجاریبهم وطیب أنفاسهم، وإنه کان ينتمی إلى تلك الجماعة الربانیة التي لا تصرفها أشغالها والعکوف على الذکر والتسبیح والانقطاع إلى الله عن تتبع حال المسلمين والتفكير في مسائلهم، ولا يجعلها غافلة عن قضایا المسلمين لحظة، بل تزيدها اهتماماً بها، وقد رأى تلامیذه ومستشاروه في اطلاعه وبصره بأوضاع العصر وظروفه، ويصیرته السیاسیة وفراسته الإیمانیة و جمعه بين العبادة والإنابة والجانب العملي المشرق نموذجاً طیباً للزوايا السنوسیة، وإنه کان ينظر قبل كل شيء إلى حیة الصحابة رضی الله عنهم وجهودهم العظيمة الحالدة التي انتشر بها الإسلام في نصف المعمورة في نصف قرن تقريباً، وكانت له صلة قوية بالإمام

أحمد بن عرفان الشهيد وجماعته مع اطلاع واسع على حركته وتاريخ رجاله، وكان له بها شغف عجيب، وكان ينتسب إلى الإمام المذكور وبياع الناس على طريقته، وكان يقول عن أحوال رجال جماعته : "إنه يبدو لدارس أحوالهم أنهم كانوا نموذجاً للصحابة عليهم رضوان الله في هذا العصر المتأخراً ، والشيخ محمد زكريا الكاندھلوي الذي أثرى

١- ومن حكمة الله تعالى وقدرته أن الشيخ عبد القادر الرائي فوري عاش في بيشت مختلفة ، وإنه رأى الأوضاع المتغيرة ، وشاهد الحركات ، ولاحظ المراكز الدينية ورجالها ، وصاحب العلماء والقادة والربانيين ، وفهم الفتن والمخاطر ، وكان له فهم الإسلام الصحيح الشامل والاهتمام بما يؤثر في حياة المسلمين الاجتماعية والسياسية ، والمرؤنة الفكرية والخلقية ، فكان يؤكّد ضرورة تقدّم البلدان الإسلامية وتطورها اقتصادياً واستقرارها سياسياً ، واعتمادها ذاتياً ، وكان يقول بالأسف الشديد : "فقد كان المسلمون نائمين نوماً عميقاً لما كانت أوروبا متيقظة فأعادت كل نوع من المعدات الحربية وأهملتها المسلمون ، وكيف يمكن شن حرب بدون سلاح ، فلو تحولت جميع الدول المسلمة إلى دول إسلامية حقيقة فإنها لا تستطيع أن تحتمل نفقات حرب يوم واحد .

وإنه شاهد مراحل نشوء القاديانية عن كثب، فقد كانت له صلات معرفة قريبة بمنشئ هذا المذهب "المرزا غلام القادياني" فكان الشيخ خبيراً بأهداف هذه الحركة ومنظلمها، وكان واثقاً بأن هذه الحركة وسيلة للتخرّب وهدم الإسلام ، فكان له الإسهام الكبير في حركة مقاومة القاديانية ، وإنه هو أمر العلامة الشيخ السيد أبو الحسن الندوي رحمه الله بتأليف كتاب بالعربية في التعريف بها والرد عليها، وهو الذي نفع الروح في القادة الذين قاموا بحركة مقاومة القاديانية، كحركة "أحرار الإسلام" وعلى مقلّعتهم خطيب الهند المصعب السيد عطاء الله شاه البخاري .

ويتحدث الشيخ أبو الحسن الندوي (وهو من مسترشديه) عن مزاياه التي أثرت في حياته وهو يقول :

"إدحادها : تواضعه وما يسميه علماء النفس والكتاب العصريون" [إنكار الذات] "الذي لم أر له نظيراً ولا أعلم له مثيلاً، {وفوق كل ذي علم عليم}

المكتبة الإسلامية بكتبه في الحديث الشريف والتربيـة الإسلامية، وأنشأ جيلاً من العلماء والدعاة بتراثـته. وكان للشيخ محمد زكريا اتصـال بسائر الحركـات الإسلامية التعليمـية والتـربـوية والـاجـتمـاعـية، وكان يستـفيد من رعايـته الزـعمـاء والـقـادـة المسلمين باختـلاف مـيـولـهـمـ، وكان يراقب الحـيـاة الإسلامية مـراقبـة دقـيقـةـ، ولـذلك يـعتبر بـحـقـ، الـدـرـةـ الـأـخـيـرةـ في عـقـدـ الـرـبـانـيـينـ الـكـرـامـ الـذـيـنـ كـانـ لـهـمـ دـورـ قـيـاديـ فيـ الـهـنـدـ، وكان يـلتـقـيـ فيـ مـجـلـسـهـ الـزـعـمـاءـ السـيـاسـيـوـنـ، وـالـحـكـامـ، وـالـعـلـمـاءـ، وـالـدـعـاـةـ، وـالـمـرـبـونـ، وـالـبـاحـثـوـنـ، وـكـلـ مـنـهـمـ يـسـتـنـيرـ بـرـعاـيـةـ فـيـ مـجـالـهـ، وـبـذـلـكـ كـانـ شـخـصـيـةـ جـامـعـةـ تـلـقـيـ فـيـهاـ مـجـالـاتـ الـعـلـمـ الـإـسـلـامـيـ الـمـخـلـفـةـ، وـكـانـ لـهـ دـورـ مـلـحوـظـ يـخـلـدـ فـيـ التـارـيـخـ فـيـ تـأـلـيفـ قـلـوبـ الـمـسـلـمـيـنـ وـتـرـبـيـتـهـمـ وـإـعـدـادـهـمـ لـمـواجهـةـ الـوـضـعـ الـمـتـغـيرـ وـالـتـحـديـاتـ النـاشـئـةـ عـنـهـ ١ـ.

والـثـانـيـةـ : سـعـةـ أـفـقـهـ وـرـحـابـةـ صـدـرـهـ وـوـاقـعـيـةـ الـتـيـ لـمـ أـشـاهـدـهـاـ فـيـ كـبـارـ الـعـامـلـيـنـ فـيـ مـجـالـاتـ الـحـيـةـ وـالـقـادـةـ السـيـاسـيـوـنـ الـذـيـنـ جـرـبـواـ الـحـيـةـ حـلـوـهـاـ وـمـرـهـاـ، وـالـثـالـثـةـ : الـعـطـفـ ، وـالـعـطـفـ الـنـيـ لـأـسـطـيعـ أـشـبـهـ إـلـاـ بـعـطـفـ الـأـمـ وـحـتـانـهـاـ، وـمـنـ مـزاـيـهـ الـأـخـرـىـ أـنـ كـانـ يـخـرـضـ الـعـلـمـاءـ عـلـىـ إـشـاعـةـ الـفـكـرـ الصـحـيـحـ السـلـيمـ، وـالـاهـتـامـ بـشـؤـونـ الـمـسـلـمـيـنـ، وـالـعـنـيـةـ بـتـعـلـيمـ الـدـيـنـ، وـتـبـلـيـغـ الـإـسـلـامـ مـعـ الـتـزـامـ الـذـكـرـ وـالـدـعـاـةـ وـالـمـراـقبـةـ، يـقـولـ الشـيخـ الـنـدوـيـ: وـهـوـ الـنـيـ حـتـيـ عـلـىـ إـتـامـ سـلـسلـةـ "رـجـلـ الـفـكـرـ وـالـدـعـوـةـ فـيـ الـإـسـلـامـ"، وـكـانـ يـخـرـضـيـ دـائـماـ عـلـىـ ذـلـكـ، وـعـلـىـ تـأـلـيفـ الـكـتـبـ الـمـفـيـدةـ، وـالـاشـتـغلـ بـالـقـضـيـاـ الـإـسـلـامـيـةـ، وـنـشـرـ الـثـقـافـةـ وـالـقـيـامـ بـالـدـعـوـةـ" تـوـفـيـ رـحـمـهـ اللـهـ سـنـةـ ١٣٨٢ـهـ عـنـ عـمـرـ يـنـاهـزـ تـسـعـيـنـ عـامـاـ، وـكـانـ خـلـيـفـةـ الشـيخـ عـبـدـ الرـحـيمـ الرـائـيـ فـوـرـيـ (مـ ١٣٣٧ـهـ) (رـاجـعـ" شـخـصـيـاتـ وـكـتبـ لـلـشـيخـ أـبـيـ الـحـسـنـ عـلـىـ الـحـسـنـيـ الـنـدوـيـ )ـ ١ـ.

١ـ كـانـ الشـيخـ العـلـمـاءـ الـمـخدـثـ مـحمدـ زـكـرـيـاـ بـنـ مـحـمـدـ يـحيـيـ الـكـانـدـهـلـوـيـ مـنـ موـالـيدـ ١٣٦٥ـهـ، وـكـانـ وـالـلـهـ مـنـ الـعـلـمـاءـ الـمـخدـثـ الـكـبـارـ، وـجـلهـ مـنـ الـذـيـنـ اـتـفـقـتـ الـأـلـسـنةـ عـلـىـ إـخـلاـصـهـ وـصـلـاحـهـ وـزـهـهـ، وـكـانـ لـسـلـفـهـمـ دـورـ فـيـ تـارـيـخـ الـإـصـلاحـ الـدـينـيـ وـمـسـاـهـمـةـ فـعـالـةـ فـيـ حـرـكـةـ الـجـهـادـ وـالـدـعـوـةـ إـلـىـ الـدـينـ الـخـالـصـ الـتـيـ قـدـمـهـ الـإـمـامـ السـيـدـ أـمـدـ بـنـ عـرـفـانـ الشـهـيدـ وـالـشـيخـ مـحـمـدـ إـسـمـاعـيلـ الشـهـيدـ، أـدـرـكـ الشـيخـ الـكـبـيرـ رـشـيدـ أـمـدـ

قام هؤلاء العلماء بجولات واسعة مضنية في الهند، وأقاموا اتصالات شخصية بسكان المناطق النائية والمنعزلة، وبحثوا مشاكلهم التعليمية والاجتماعية، وأنشأوا حركات ومنظمات لمعالجة المشاكل الجديدة، وللتوعية الإسلامية كمجلس الأحوال الشخصية، والمجلس الاستشاري لل المسلمين لتوحيد صفوف المسلمين وتهيئة منبر لبحث المشاكل الإسلامية السياسية، ومجالس إقليمية للتعليم الديني، وجمعيات طوعية أخرى، وانتقل عدد كبير من العلماء إلى باكستان، وتولوا قيادة المسلمين في ذلك البلد، ولو لا حركة هؤلاء العلماء الريانيين لضاع التراث الإسلامي، وكانت الطاقة الإسلامية عرضة للتخرّب والتشوّه والضياع.

### الأستاذ أبو الأعلى المودودي

ويذل الأستاذ أبو الأعلى المودودي في عرض الإسلام وحل مشكلات العصر، والتوعية الفكرية لل المسلمين جهوداً مشكورة بغض النظر عن مؤاخذة العلماء على بعض توجيهاته، فقد كانت له مساهمة كبيرة في عرض الإسلام علمياً وفي تأليف جماعة للعمل الإسلامي، وقد أنشأت تلك الجماعة "الجماعة الإسلامية" مكتبة كاملة للكتب في

الكنكري، وأخذ من تلميذه وخليفة الشيخ الحدث خليل أحد السهارنفورى ، وألت إليه النيابة بعد وفاته ، وكان محافظاً على أوقاته وأشعاره ، دؤوباً في المطالعة والتأليف ، مشتغلًا بربه ، ومنفردًا بعبادته ومتاجاته ، كثير الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والأهل بيته وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين .

وكان من العلماء الذين بذلوا كل الجهد في خدمة الحديث الشريف ، وإنه اشتهر بشيخ الحديث ، ومن أعظم مصنفاته "أوجز المسالك شرح المؤطرا للإمام مالك " في خمسة عشر مجلداً ، هاجر إلى المدينة المنورة وتوفي هناك ودفن بالبقع في حظيرة أهل البيت الكرام في غرة شعبان سنة ١٤٠٢هـ .

## الموضوعات الإسلامية.

وقد كان من معترفي فضل الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، ومتأثراً بحركته، وقد كتب عنه أن حركته غيرت وجه الهند، وكل بقعة وقعت فيها أقدام رجالها حدث فيها انقلاب فكري ديني يجدد ذكريات عهد أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم.

### مساهمة أتباع الإمام أحمد بن عرفان في الأدب واللغة

وقد اعترف الباحثون في تاريخ اللغة الأردية بفضل المتسبين إلى حركة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد في تسهيل اللغة الأردية وترويجها، بتأليف كتب بالأسلوب العام، وقد ألف الإمام أحمد بن عرفان الشهيد نفسه رسالة في شرح سورة الفاتحة، والإمام إسماعيل الشهيد كتاب "تقوية الإيمان" كما ألف تلاميذهم والمتسبون إليهم كتاب في التعريف بالإسلام ومكافحة العقائد الباطلة نشأ بها أدب جديد وصفه بعض الكتاب بالأدب الوهابي<sup>١</sup>، ويعرف هؤلاء الكتاب بفضل المتسبين إلى الإمام أحمد بن عرفان دورهم الكبير في نقل العلوم الإسلامية إلى اللغة الأردية السهلة، ودورهم في تسهيلها وترويجها ليس في شمال الهند فحسب، بل في جنوب الهند، ونقل معاني القرآن الكريم، وتأليف كتب في السيرة، والعقائد، والحديث،

١- الوهابي تعير يستخدم في الهند بيعاز من الإنجليز لمن يحمل عقيلة التوحيد، ويحث على التمسك بالشريعة واتباعها، واستخدم هذا التعير لجماعة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد والعلماء الذين انتسبوا إلى دعوته ، تشبيهاً بحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولا يزال أهل البدع يستخدمون هذا التعير لأهل التوحيد، ويطعنون به في الشيخ الكوكوهي والشيخ أشرف علي التهانوي ومن سار على دربهم من علماء ديوان وندوة العلماء .

والفقه، والإفتاء.

يقول محمد حسين آزاد في "آب حيات" وهو يذكر تاريخ تطور اللغة الأرديّة والجهود البدائِية لتسهيلها:

"مد رجال الدين والمشايخ أيدوهم إلى رعاية هذه اللغة، فألف الشيخ عبد القادر الدهلوبي كتاباً في نقل معاني القرآن، وألف الشيخ محمد إسماعيل الدهلوبي رسائل في التربية الإسلامية، وكتب الأستاذ محمد إكراام: كانت اللغة الأرديّة فتية لم تنضج بعد، فألف الشيخ محمد إسماعيل الدهلوبي كتابه "تقوية الإيمان" بأسلوب عذب سائع يستميل القلوب" وتأثر بهذه الحركة عدد من الشعراء الذين نفخوا روح الجهاد والكفاح والحرية، كما اختار عدد منهم موضوعات الإصلاح والتربية عن طريق الأدب، نظماً وثراً.

ويقول الشيخ أبو الحسن الندوبي، وهو يلقي الضوء على ذلك الفضل الذي يرجع إلى تلك الحركة التي قادها الإمام أحمد بن عرفان الشهيد:

"وقد قام الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ورفقته وأصحابه باستخدام هذه اللغة الأرديّة السهلة في الخطاب الدينية الإصلاحية، وقاموا بعمل ثوري عظيم عن طريق هذه الخطاب والكتيبات والرسائل السلسلة في تصحيح العقائد، وإصلاح المجتمع، وإزالة المنكرات والبدع، بدأ عهداً جديداً، وصنع تاريخاً مجيداً يقل نظيره في التاريخ الإسلامي، وفي تاريخ الدعوات والحركات الإصلاحية، حتى أنه لم يفضل الشعر الأردي الحماسي أن يستخدم في المعارك الجهادية وإشعال عواطف الشهادة، ويمكن أن يذكر في هذا الصدد للمثال كتاب "تقوية الإيمان" للعلامة الشيخ إسماعيل الشهيد، وـ"نصيحة المسلمين" للشيخ خرم علي البلهوري وقصيدته

المجاهدية التي كانت تنشد عند تسوية الصفوف للجهاد، وكتب الشيخ كرامت علي الجونفسوري في موضوع العقائد والأحكام الشرعية التي استفاد منها ليس مئات الآلاف بل مئات الملايين من الناس ، وتأثرت بها حياتهم ووقع تغير كبير فيها ١ .

---

١ - قاله الشيخ الندوى في ندوة أدبية عقدتها "رابطة الأدب الإسلامي العالمية" بندوة العلماء في ١١-١٢/نوفمبر ١٩٧٧م حول موضوع "تأثير حركة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد على الأدب الأردي" راجع : "في مسيرة الحياة" للشيخ الندوى ٢٣٢/٢ .

الباب السابع

خلفاء وأتباع



## الفصل الأول

### خلفاء الإمام الشهيد

الشيخ محمد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوi

الشيخ العالم الكبير المجاهد في سبيل الله الشهيد، إسماعيل بن عبد الغني بن ولی الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوi، أحد أفذاذ الدنيا في الذكاء، والفقنة، والشهامة، وقوية النفس، والصلابة في الدين، ولد بدلّه لاثنتي عشرة من ربيع الثاني سنة ثلاثة وتسعين ومائة وألف، وتوفي والده في صباحه، فترى في مهد عمه الشيخ عبد القادر ابن ولی الله الدهلوi، وقرأ عليه الكتب الدرسية، واستفاض عن عميه الشيخ رفيع الدين والشيخ عبد العزيز أيضاً، ولازمهم مدة طويلة، وصار بحراً زاخراً في المعقول والمنقول، ثم لازم السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد البريلوي، وأخذ عنه الطريقة، وسافر معه إلى الحرمين الشريفين سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف، فحج وزار ورجع معه إلى الهند، وساح البلاد والقرى بأمره ستين، فانتفع به خلق لا يحصون بحد وعده، ثم سافر معه إلى الحدود سنة إحدى وأربعين ومائتين وألف، فجاهد معه في سبيل الله، وكان

الوزير للإمام، يجهز الجيوش ويقتحم في المعارك العظيمة بنفسه حتى استشهد في "بالاكوت" ١

وكان نادر من نوادر الزمان، وبديعة من بدائع الحسان، مقبلاً على الله بقلبه وقاليه، مشتغلًا بالإفادة والعبادة، مع تواضع وحسن أخلاق، وكرم وعفاف، وشهامة نفس، وصلابة دين، وحسن محاضرة، وقوة عارضة وفصاحة ورجاحة، فإذا جالسه منحرف الأخلاق أو من له في المسائل الدينية بعض شفاق، جاء من سحر بيانيه بما يؤلف بين الماء والنار، ويجمع بين الضب والنون، فلا يفارقه إلا وهو عنه راض، وقد وقع مع أهل عصره قلائل وزلازل، وصار أمره أحدوثة، وجرت فتن عديدة في حياته وبعد ماته، والناس قسمان في شأنه، فبعض منهم مقصر به عن المقدار الذي يستحقه بل يرينه بعظائم، وبعض آخر يبالغ في وصفه ويتغصب له، كما يتغصب أهل القسم الأول، وهذه قاعدة مطردة في كل من يفوق أهل عصره في أمر.

#### مصنفاتة

فهي عديدة، أحسنها كتابه "الصراط المستقيم" بالفارسية، جمع فيه ما صرح عن شيخه السيد الإمام قولًا وفعلاً، وفيه بابان من إنشاء صاحبه الشيخ عبد الحي بن هبة الله الصديقي البرهانوي، ومنها "إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح" في بيان حقيقة السنة والبدعة، ومنها "منصب إماماة" في تحقيق منصب النبوة والإماماة ، وهو مما لم يسبق إليه، ومنها رسالة له في مبحث "إمكان النظير وامتناع النظير" وكلها بالفارسية، ومنها "ختصر" له بالعربية في أصول الفقه،

١ - تقع "بالاكوت" الآن في دولة باكستان وهو في وادي (كاغان) بين جبلين شاحنين، وكانت هذه المنطقة كلها تسمى "ياغستان" قديماً.

ومنها رسالة له بالعربية في "رد الإشراك والبدع" ربها على بابين ، ومنها "تنوير العينين في إثبات رفع اليدين" بالعربية ، ومنها "سلك نور" مزدوجة له بالهندية ، ومنها "تقوية الإيمان" كتاب له مشهور بالهندية<sup>١</sup> ، وهو ترجمة الباب الأول من رسالته في رد الإشراك ، وقال أحمد بن محمد المتقي الدهلوi<sup>٢</sup> في كتاب "آثار الصناديد": إن رسالة له في المنطق ادعى فيها أن الشكل الرابع من أجلى البديهات والشكل الأول خلافه ، وأقام على ذلك الادعاء من البراهين ما لم يندفع ولم يجترئ على دفعها أحد من معاصريه<sup>٣</sup>.

وقال الشيخ محسن بن يحيى الترهتي في "اليانع الجنى":  
 "إنه كان أشدhem في دين الله ، وأحفظهم للسنة ، يغضب لها ويندب إليها ، ويشنع على البدع وأهلها ، من مصنفاته كتاب "الصراط المستقيم" في التصوف ، و"الإيضاح" في بيان حقيقة السنة والبدعة ، مشهوران يرغبان الناس فيما ، ومحظتان في أصول الفقه ، و"قرة العينين" صوابه تنوير العينين انفرد فيها بمسائل عن جمهور أصحابه ، واتبعه عليها أناس من المشرق من "بنكال" وغيرها أكثر عدداً من حصى البطحاء ، وله كتاب آخر في التوحيد والإشراك ، فيه أمور في حلاوة

١ - وهو كتاب صريح العبارة ، قوى البيان والاستدلال بالقرآن ، نفع الله به خلقاً لا يحصون بحد وعد ، نقله العلامة الشيخ أبو الحسن على الحسني الندوبي رحمه الله إلى العربية وأسمه "رسالة التوحيد" وعلق عليه حواشى مفيدة وعبارات مؤيدة لما جاء في هذه الرسالة من التصریح بالتوحید والرد على الشرک، صحت نسبتها إلى كبار علماء الإسلام السابقين والشيخ الصالحين المتفق على ولائهم وجلالتهم ، طبعته مكتبة ندوة العلماء ، وقرر تدرسيه في عدد من المدارس . وطبع مراراً بالمملكة العربية السعودية ، في عدة لغات ووزع بين الناس مجاناً . (المؤلف)

٢ - المشهور بالسيد أحد خان مؤسس جامعة على جراه الإسلامية .

٣ - الجزء السابع من "الإعلام بن في الهند من الأعلام"

التوحيد والعسل ، وأخرى في مرارة الحنظل ، فمن قائل إنها دست فيه ، وسائل إنّه تعمدها .

يقول العلامة الشيخ السيد صديق حسن القنوجي في "أبجد العلوم" بعد ما نقل تلك العبارة : أقول ليس في كتابه الذي أشار إليه وهو المسمى بـ "رد الإشكال" في العربية ويتقوية الإيمان بالهندية ١ ، شيء مما يشان به عرضه العلي ، ويهاه به فضله الجلي ، وإنما هذه المقالة الصادرة عن صاحب "اليانع الجنبي" مصدرها تلمذته بالشيخ فضل حق الخيرآبادي ، فإنه أول من قام بضدّه وتصدى لرده في رسائله التي ليست عليها أثارة من علم الكتاب والسنة ، انتهى

وقال في "الخطبة بذكر الصحاح الستة" في ذكر الشيخ ولی الله بن عبد الرحيم الدھلوی : إن ابن ابّه المولوی محمد إسماعیل الشهید اقتنی أثر جده في قوله و فعله جمیعاً، وتمم ما ابتدأه جده، وأدی ما كان عليه وبقي ما كان له ، والله تعالیٰ مجازیه على صوالح الأعمال ، وقواطع الأقوال ، وصحاح الأحوال ، ولم يكن ليختبر طریقاً جدیداً في الإسلام كما یزعم الجھال ، وقد قال الله تعالیٰ ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتَيَ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُوئُنَا عِبَادًا لِّيٌ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُوئُنَا رَبَّانِينَ بِمَا كَتَّمْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كَتَّمْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران : ٧٩] وطريقه هذا كله مذهب حنفي وشريعة حقة مضى عليها السلف والخلف الصالحة من العجم والعرب العرباء ، ولم یختلف فيه إثنان من قلبه مطمئن بالإيمان ، كما لا يخفى على من مارس كتب الدين ، وصاحب أهل الإتقان ، كيف وقد ثبت في محله أن الرجل العامل بظواهر الكتاب ، واضحات السنة ، أو بقول

إمام آخر غير إمامه الذي لا يقلده لا يخرج عن كونه متمنه بمنذهب إمامه ، كما يعتقد جهلة المتفقهة ويتفوّه بها الفقهاء المتشففة من أهل الزمان المحروميين عن حلاوة الإيمان ، وهو رحمة الله تعالى أحياناً كثيراً من السنن المماثلات ، وأماتاً عظيماماً من الأشرك والمحدثات حتى نال درجة الشهادة العليا ، وفاز من بين أقرانهم بالقبح المعلى ، وببلغ منتهى أمله وأقصى أجله .<sup>١</sup>

وكانت آخر معركته في "بالاكوت" وقبل هذا المعركة حينما كان مشتغلاً فالاستيلاء على كشمير واتخاذها مركزاً للدعوة والجهاد ، إذ جاءته دعوة إلى القدوم إلى "بالاكوت" أخبر فيها بأن "شيرسنغ بن مهاراجه رنجيت سنغ" قد نزل بجيشه على بضعة أميال من "بالاكوت" في جنوب نهر "كنهار" فتوجه إليها ، وكانت رحلة شاقة مضنية في الجبال ، وفي آخر لحظاته رؤى الشيخ معلقاً بندقيته في عنقه ، بيده سيف مسلول وجيبه ينضح دماً وهو يمسح بيده ولا يشعر أحد بأحد حتى استشهد وسجل هو والمجاهدون تاريخ الشجاعة والبسالة والحنين إلى الشهادة واستشهادهم بالحياة وحبهم للإمام وإياتاره على أنفسهم وانقيادهم للأمير وخضوعهم للنظام ما جدد ذكرى القرون الأولى ورد التاريخ على أعقابه قروناً كثيرة ، وكانت شهادته في ٢٤ من ذي القعدة ١٢٤٦ هـ بتلك المعركة في بالاكوت.

### الشيخ عبد الحفي البرهانوي

الشيخ الإمام العالم الكبير العلامة عبد الحفي بن هبة الله ابن نور الله الصديقي البرهانوي ، أحد العلماء المشهورين وعبد الله

١- راجع للتفصيل : الجزء السابع من "الإعلام" للشيخ عبد الحفي الحسني (م ١٩٣٣) وكتاب "شه إسعاعيل الشهيد" بالأردية للأستاذ حسين الحسني (م ٢٠٠٤).

الصالحين، ولد بقرية "برهانة"، بضم المونحة، ونشأ بها ودخل "دهلي" فلازم الشيخ عبد القادر بن ولی الله العمري الدهلوی، وقرأ عليه الكتب الدراسية، وأخذ عن الشيخ عبد العزیز بن ولی الله، وانتفع به نفعاً عظيماً، وكان الشيخ عبد العزیز يحبه جداً مفرطاً، لأن عمته كانت تحت الشيخ عبد العزیز، ولأن الشيخ عبد العزیز قرأ الفقه على جده نور الله، ولذلك زوجه الشيخ المذكور بابنته، وأقرأه بعد ترك التدريس لإخوته كما في "مقالات الطريقة".

قال محسن بن يحيى الترهتي في "اليانع الجني":

"إنه كان من أحسنهم (يعني به أصحاب الشيخ عبد العزیز) خبرة بالفقه، وأمرسهم بالكتب الدراسية، ورأيت له رسالة في حث الناس على تزویج أيامهم ، وردعهم عن استقباح ذلك" انتهى.  
وللشيخ عبد الحیی البرهانوی مصنفات منها : بابان من "الصراط المستقیم" بالفارسیة في السلوك على طریق النبوة، ومنها : تعرب "الصراط المستقیم" ومنها : رسالة في حکایة المناظرۃ التي جرت بيته وبين الشيخ رشید الدین الكشمیری الدهلوی ، ومنها : فتاوى کثيرة مشهورة لا يحويها الدفاتر.

وكان آیة من آیات الله سبحانه في التقوی ، والعمل ، وتأثير الوعظ ، وقلة الأمل ، وإیشار القناعة في الملبس والمأكل ، كثير الصمت ، شديد التوکل ، جلیل الوقار ، حباً للسنة السنیة ، بعيداً عن الرسوم والبدع ، قد غشیه نور الإیمان وسيماء الصالحين ، یغضب إذا مدح ، ویبشر إذا نصح ، والقلم یعثر في المدح لعدم إمكان الإحاطة به .

وكان الشيخ عبد الحیی مفرط الذکاء ، قوي الحفظ ، شديد الاشتغال بالبحث والمطالعة ، حلو الكلام ، فصیح المنطق ، درس وأفاد مدة بـ "دلهی" ، ثم لازم السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهید البریلوی

في حياة شيخه عبد العزيز، وأخذ عنه الطريقة، وسافر معه إلى الحرمين الشريفين سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف، فحج وزار وعرَّب "الصراط المستقيم" لأهل الحرمين الشريفين، وبعث إليه القاضي محمد بن علي الشوكاني بعض مصنفاته مع الإجازة العامة لمروياته، ورجع إلى الهند مع الإمام أحمد بن عرفان، وساح البلاد والقرى بأمره سنتين، فانتفع به خلق لا يحصون بمحدوعد، ثم سافر معه إلى الحدود الشمالية الغربية للهند<sup>١</sup> سنة إحدى وأربعين للجهاد، فتوفي بها على فراشه، وآخر كلمة جرى لسانه "اللهم الحقني بالرفيق الأعلى في ١٢٤٣/٨/٨ هـ بقرية "خار" ودفن بها".

وكان وفاة شيخ الإسلام الشيخ عبد الحفي البرهانوي رزية عامة، وخسارة فادحة تبادل فيها الناس التعازي، وقدوا فيه العالم الزبياني، والداعي المخلص، والأب الرحيم، وكان مصاباً كبيراً، وقد تجلت في آخر عهده بالدنيا واستقباله للأخرقة قوته الإيمانية وغيرته الذهنية.

وفي "إذا هبت ريح الإيمان"

"بقي شيخ الإسلام مولانا عبد الحفي البرهانوي خلف المجاهدين، وخلفه أميرهم السيد أحمد لمصالح دينية، و حاجات يقضيها ثم يلحقه، فبقي الشيخ يحن ويتطلع إلى الطلب، وكأنه حوت أخرج من الماء أو منفي يعيش في الخلاء، ولما جاءه الطلب لم يتمالك فكان يجري ويعدو ويقول للناس: ها قد طلبني الأمير، ها قد طلبني الأمير، ولم يزل يجوب القفار والصحارى، ويجتاز الأودية والبراري، ويعبر الأنهر العميقه، ويتطلع الجبال الشاسخة حتى وصل إلى ثكنة

١ - وتقع الآن في باكستان بين مديرية "بشاور" ومديرية "مردان" و"سوات".

المجاهدين في حدود الهند الشمالية الغربية، ولما سمع السيد الإمام بقدوم شيخ الإسلام استبشر وفرح به كثيراً، واستقبله من بعيد وأكرم مثواه.

ووصل شيخ الإسلام، وكتب إلى أصدقائه في الهند : كنت أسمع وأقرأ في الكتب أن الرجل إذا دخل الجنة نسي أحزان الدنيا والآلامها، وزال عنه التعب والوعاء، وقال : «وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أَدْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ» (فاطر: ٣٤) وقد وقع لي هكذا، فلما وصلت إلى أصدقائي وإخواني وصرت فيهم زالت عندي وعاء الطريق .

ومكث شيخ الإسلام في عسكر المجاهدين يفيدهم في العلم والدين، ويحكم بين المسلمين، ويقضي بين المختصمين، حتى وفاه الأجل ، ولما حضرته الوفاة أرسل إلى شيخه السيد الإمام - وهو أصغر منه سنًا . وقال : أردت أن أموت شهيداً في ميدان القتال، وأراد الله أن أموت مريضاً على الفراش، ثم سكنت نفس الشيخ ، وفاحت روحه وهو يقول : "اللهم الرفيق الأعلى" ولحق بالرفيق الأعلى<sup>١</sup> .

خلفه نجله الشيخ العلامة المحدث عبد القيوم الذي كان من بقية رهط الشيخ عبد العزيز الدھلوی، والإمام أحمد بن عرفان الشهید، وكان من مسترشدیه ، أخذ عنه عدد كبير من العلماء والمشايخ وبعض أفراد أسرة السيد الإمام الشهید، توفي سنة ١٢٩٩ھ.

### الشيخ ولايت على الصادق فوري

الشيخ الإمام المحدث المجاهد المصلح ولاية علي بن فتح علي بن وارث علي بن محمد سعيد الهاشمي الصادق فوري العظيم آبادي كان

<sup>١</sup> "إذا هبت ريح الإيمان ص: ١٠٧ ط: مؤسسة الرسالة ، بيروت .

جده من جهة الأم رفيع الدين حسين خان الذي كان حاكم ولاية بيهار، وكان جده يحبه كثيراً، فعاش في التنعم، وقضى حياة ترف، ثم سافر إلى لكتاؤ، وقرأ الكتب الدراسية على الشيخ أشرف بن نعمة الله اللکھنوي ، وكان من الشباب المترفين، لكنه لما بايع سيدنا الإمام أحمد بن عرفة البريلوي الشهيد تغيرت حياته فتزهد مثل الصحابي الخليل سيدنا مصعب بن عمير رض، واشتعل بالتدريس والتذكير مدة، ثم لازم الشيخ السيد أحمد المذكور، وأخذ الحديث عن الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدهلوi، وكان يذهب إلى الغابة، ويحمل الخطب، ويطبخ الطعام بيده، ويشترك في أعمال البناء فيشتغل بالطين والماء، وسافر معه إلى الحدود، وجاحد في الله مدة، ثم بعثه شيخه السيد أحمد إلى بلاد دكن فسافر إلى حيدرآباد، وأقام بها زماناً، وهدى الله به بعض عباده، ثم لما سمع بشهادة السيد أحمد في معركة "بالاكوت" رجع إلى بلده "عظم آباد" وأقام بها ستين، ثم سافر إلى الحجاز فحج وزار، وأنسد الحديث عن الشيخ عبد الله سراج مفتى الأحناف بمكة المكرمة، ثم راح إلى اليمن، وتجدد، وحضرموت وغيرها من أقطاع العرب، وأخذ عن القاضي محمد بن علي الشوکانی ، ثم عاد إلى الهند، وبعث أخاه عنایت علي إلى الحدود لمواجهة حاكم الشيخ غلاب سنغ، وبعد مدة غزا على "كشمير" وحصل له الفتوحات العظيمة، فلاذ صاحب كشمير بالإنجليز، فأخذوه وأنروا به إلى "لاهور" واستقبله الحاكم الإنجليزي وأقنعه بأن يفرق الجنود ويذهب بنفسه إلى عظيم آباد، ولا يخرج من بيته ستين، فرضي بذلك، وأقام بيته، وعكف على التدريس والتلقين والتذكير، حتى انقضت المدة، فارتاحل

مع أهله وعياله ووصل إلى دلهي بعد سنة ونصف قضاها في التربية والوعظ، وكان يشتراك في مواعظه ألف من الناس<sup>١</sup>، وأتيحت له فرصة الوعظ في "ستهانه" وكان بها معسكر للمجاهدين، فتحول المعسكر إلى مدرسة.

وكان ربع القامة . مائلاً إلى القصر، أسمى اللون ، أزرج الحاجبين كث اللحية ، يلوح على وجهه علائم الهم ومخايل الذل والافتقار ، وكان حريصاً على اتباع السنة السنية متبعاً للسنن في كتب الحديث والسير عاملاً بها ، جامعاً بين العلم والعمل والعبادة والفتواة ، عالى الهمة ، بعيد النظر ، رابط الجأش ، زاهداً في الدنيا مقبلًا إلى الله بقلبه وقلبه ، قوي التأثير ، كثير الابتهاج والدعاء .

وقال القنوجي في "إبقاء المتن" إنني لقيته في "قنوج" وحضرت تذكيره ، فما رأيت أحداً أسرع تأثيراً منه ، انتهى .

مات في شهر محرم سنة تسع وستين ومئتين وألف ، يصف الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوبي قصة انضمامه إلى حركة الإمام الشهيد ومجاهداته :

"كان ولايت علي العظيم آبادی من أبناء اليسار والشرف ، نشأ نشأة أبناء الأمراء وكبار الأغنياء ، أبوه الشيخ فتح علي عالم البلد ، ومن أعيانها وسراتها ، وجده - لأمه - رفيع الدين حسين خان حاكم مقاطعة بيهار "رئيسها الإداري" .

تعلم ولايت علي في بيته وبيلده ما تعلم ، ثم سافر إلى لكتناو - بلد العلم ودار الحكومة ومركز الحضارة - فكان فيها مثلاً في أناقة

١ - انتفع خلق بمواعظه ، وكان من أبرزهم السيد محمد عابد حسين الديوبندي أحد مؤسسي دار العلوم بدبيوند ، وقد تحقق أنه كان من مسترشديه ، راجع: مجلة "أنوار لينة" الشهرية الصادرة بلاهور في عدد يوليو سنة ٢٠٠٤ م .

اللباس ، وحسن الهناء ، وجمال الشارة ، وكان يؤثر أغلى الملابس وأفخرها ، ويكثر من الطيب والعطور .

اتفق قدوم الإمام السيد أحمد مع ركب الميمون في لكانة ، وجاء الشيخ محمد أشرف اللکھنوي ، يزور السيد ويختبر علمه ، وجاء معه تلميذه النجيب ، " ولايت على " ليشهد انتصار أستاذة ، وسأل الشيخ محمد أشرف السيد عن معنى قوله تعالى " (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) " [الأنياء : ١٠٧] وتكلم السيد عن الآية ، وبدأ يفسرها في أسلوبه العجيب ، فسمعا كلاما لم يسمعاه من قبل ، ولم يقرأه في كتاب ، وبיקى الشيخ حتى اخضلت لحيته ، وبايضا السيد ، ولزمه الشاب ولايت على ، وصحبه إلى قريته .

وهنا في القرية تغير الشباب عما كان عليه من التجمل في اللباس ، والتنعم في العيش ، وهانت في عينه المظاهر ، وملكت قلبه حقائق ، هي أعلى وأحلى من الملبس والمطعم ، ورأى حياة أجمل وأقرب إلى الطبيعة من الحياة المصطنعة الأولى ، فاندمج فيها واستغل مع زملائه بكل ما يستغلون به من عمل وحمل ، ورأى أنه أنعم بالآ ، وأهناً عيشاً من ذي قبل .

وبينما هو ذات يوم يستغل بالماء والطين ، - وهو في ملابس متواضعة - إذ جاء خادمه القديم ، وقد أرسله أبوه مع أربعيناء روبية وجموعة كبيرة من الملابس الفاخرة ، ومتاع غير ذلك ، وصادفه الخادم . وقد تغيرت هيئة الشباب - فسأله عن ولايت على ، فقال : أنا ولايت على ، قال الخادم : لا تسخر مني ، فإنما أسأل عن ولايت على بن العالم الكبير الشيخ فتح علي وسبط الأمير الجليل رفيع الدين حسين خان ، فقال إذا لم تصدقني ، فاذهب ، وأبحث عن صاحبك ، فذهب الخادم ، وجعل يسأل عن السيد " ولايت على " ، والناس

يشارون إلى الأول، ويقولون هو ذا! فرجع الخادم وبكى، وقدم إليه المال والملابس، وذهب الشاب إلى شيخه، ووضع كل ذلك بين يديه ليقسمه على من يستحقه، ويضعه حيث يرأى ثم عاد، فاشتغل مع زملائه كأن لم يقع شيء.

كان الشيخ ولait على أحد كبار خلفاء السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، ومن قائد حركته، تولى القيادة بعد وفاة الشيخ نصير الدين الدهلوi (م ١٢٥٦ - ١٨٤٠ م) في سنة ١٢٦٢ هـ، ومات في ٢٢ / محرم سنة ١٢٦٩ هـ، وإنه أصيب بالمحن والشدائد، ذكر الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوi في كتابه "إذا هبت ريح الإيمان": قد ألجأه الإنجلiz إلى العودة إلى الهند ولزوم بيته، وقضى هذه المدة في قلق عظيم كأنه سمك أخرج من الماء، ولم تكن تنقضي هذه المدة حتى توجه الشيخ إلى مركز المجاهدين، كأنه طائر يعود إلى وكره في السماء، ووصل إليه ٨ / من ربيع الآخر سنة ١٢٦٧ هـ، وتولى القيادة بعد وفاته شقيقه المجاهد الجليل مولانا عنایت علی العظیم آبادی (م ١٢٧٣ هـ)، وكان من مسترشدی الإمام أحمد بن عرفان أيضاً، وعالماً، محدثاً، شجاعاً مقداماً، عارفاً بالفنون الحربية، كانت له حروب ووقائع مع الإنكلiz، ولم تقطع سلسلة هذا الجهاد من وفاته، واستمرت إلى عهد خلفائه وهو تاريخ حافل بالبطولات والمعارم وحوادث وخطوب وموضوع كتاب مفرد وسفر مستقل ١.

١ - اقرأ مفصلاً عن مآثر الإمامين الجليلين الشيخ ولait على والشيخ عنایت علی وأتباعهما وبطولاتهم في كتاب "المدرسة الإسلامية الأولى في الهند" للأستاذ مسعود عالم الندوi رئيس تحرير مجلة "الضياء" الصادرة من ندوة العلماء سابقأً، والجزء الثالث والرابع من سلسلة تاريخ السيد أحمد الشهيد للمؤرخ الباكستاني الكبير والصحفي الإسلامي الأستاذ غلام رسول مهر رئيس التحرير بصحيفة "انقلاب"

## الشيخ محمد علي الرامضاني

الشيخ العالم الكبير المحدث محمد علي بن عناية علي بن فضل علي الحسيني النقوي الدهلوi ثم الرامضاني، كان شقيق العلامة حيدر علي وصنه الصغير وتلوه في العلم والعمل، أخذ الطريقة عن السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، ولازمه مدة من الزمان، فاستخلفه السيد، ووجهه إلى "مدرس"، فسار إليها، واستغل بالإرشاد والوعظة، وكان في تذكيره تأثير عجيب، وتاب على يده الكريمة ألف من الرجال والنساء، وأنابوا إلى الله سبحانه ورفضوا البدع والأهواء، حتى نهض زعماء البدعة ودعاتها إلى خاصمه، وكفروه، وأحرقوا "تقوية الإيمان" للشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدهلوi، فثارت الفتنة العظيمة، وكان جمال الدين بن علاء الدين

بلاهور سابقاً، وصلدين صادقور بالأردية للسيد محمد الثاني الحسيني رئيس التحرير مجلـة "رضوان" بلكتـاء سابقاً.

١- الشيخ العالم الكبير الكبير حيدر علي بن عناية علي بن فضل علي الحسيني البخاري الدهلوi، ثم الطونكي أحد العلماء الربانيين، كان من نسل الشيخ جلال بن الحسين بن محمد الحسيني البخاري، ولد ونشأ بدھلی، وسافر إلى رامضان في صغر سنه، وأخذ النحو والعربيـة عن السيد غلام جيلاني، والشيخ عبد الرحمن القهستاني، والشيخ رستم علي الرامضاني، ثم دخل لكتـاء، وأخذ عن الشيخ مبين بن محـبـ الله الأنصاري الـلكـهـنـوـيـ، ولازـمهـ مـلـةـ منـ الزـمـانـ ثمـ سـافـرـ إـلـىـ دـھـلـيـ، وأـخـذـ عنـ الشـيـخـ رـفـيـعـ الدـيـنـ وـصـنـهـ الشـيـخـ عـبـدـ العـزـيزـ بـنـ وـلـيـ اللهـ العـمـرـيـ الـدـھـلـوـيـ، وـتـلـقـىـ الطـرـيـقـةـ الـعـلـيـةـ عـنـ السـيـدـ إـمـاـمـ أـحـمـدـ بـنـ عـرـفـانـ الشـهـيدـ، كـانـ غـايـةـ فـيـ الذـكـاءـ، وـسـرـعـةـ تـزـوـجـ بـرـامـضـانـ وـأـقـلـمـ بـهـاـ فـعـرـفـ بـالـرـامـضـانـيـ، ثـمـ سـافـرـ إـلـىـ كـلـكـتـةـ، ثـمـ إـلـىـ طـوـكـ، فـقـرـبـهـ النـوـابـ وـزـيـرـ الدـوـلـةـ إـلـيـهـ، وـجـعـلـهـ مـنـ نـدـمـائـهـ، فـسـكـنـ بـطـوـكـ، فـاشـتـهـرـ بـالـطـوـكـيـ. أـلـفـ رسـالـةـ فـيـ الدـفـاعـ عـنـ الشـيـخـ إـسـمـاعـيلـ بـنـ عـبـدـ الغـنـيـ الشـهـيدـ، تـوـفـيـ فـيـ ١٢٧٣ـ هـ. بـيـلـةـ "طـوـكـ" (الـإـلـعـامـ بـمـنـ فـيـ تـارـيـخـ الـهـنـدـ مـنـ الـأـعـلـامـ جـ٧ـ).

اللکھنوي رأس تلك الفتنة، وکفره وسعي إلى الحکام، فأمرروا بجلائه من مدراس، حتى خرج منه، واستخلف خان عالم المدراسي من بعده بمدراس، وقد دافع عنه الشيخ عبد الحی.

وتدل رسالة كتبها الإمام أحمد بن عرفة الشهيد إلى شقيقه الأكبر العلامة حیدر علي الرامفوري أنه وصل إلى مناطق الحدود مع جماعة من المجاهدين في عام ١٢٤٢ هـ، وأبدى الإمام أحمد سروره البالغ بوصوله، وقضى الشيخ محمد علي مدة من الزمان في مساهمة الجهاد، ثم أمر الإمام بالتوجه إلى حیدر آباد للدعوة إلى الله، وإعداد النفوس للجهاد، وإصلاح أحوال المسلمين، فاعتذر الشيخ وقال: ليس لديه علم، ولا صلاحية المجادلة مع العلماء، أو الوعظ والإرشاد، وأبدى رغبته في أن يسمح له الإمام بالبقاء في ساحة الجهاد، لكن الإمام أحمد قال له: إن الله سبحانه وسيشرح له صدره، ويزيل عنه عقدته، فتوجه إلى حیدر آباد وهو يعظ الناس، ويدعوهم إلى الإسلام، واتباع تعاليمه في الطريق، وواجه في حیدر آباد معارضة شديدة من العلماء الحاسدين، لكنه احتمل كل ما واجهه من الأذى، ورحب به حاكم المنطقة وأيده، فتاتب على يده ألف من الناس، وكان يركز على إحياء السنة، واتباع الشريعة، ومحو البدع والخرافات الشائعة.

كان الشيخ محمد علي مشغولاً بالدعوة والإرشاد، وقد تغير بواعظه الوضع في حیدر آباد، وتغيرت حياة الناس، وفي أثناء ذلك تلقى رسالة من السيد الإمام أحمد يأمره فيها بالذهاب إلى مدراس، فوصل إلى مدراس في عام ١٢٤٥ هـ ١٨٢٩ م، ولقي هناك استجابة عظيمة من الناس، وأقبل على مجالس وعظه ألف من الناس، وتابوا من الذنوب، وأنابوا إلى الله، ودخل في بيته عدد من الأمراء وأعضاء أسرهم، وتاب ألف من الذين كانوا يتعاطون الخمر، ويقضون سائر أوقاتهم في

القمار، وارتكاب الجرائم، وأغلقت حوانیت الحمر، واعتذر أصحابها عن دفعضرائب، وفي هذه الأثناء التي كان فيها الشيخ محمد علي يدعو الناس، وقعت حادثة بالاكوت التي استشهد فيها الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، والشيخ إسماعيل بن عبد الغني الشهيد، فأصيب بصدمة عنيفة، وعاد إلى رامفور، بعد أن قام بتربية عدد كبير من تلاميذه ومستشاريه في مدراس يواصلون مهمة الدعوة والإرشاد.

وفي عام ١٢٥٠ هـ خرج للحج عن طريق كلكته، وأصر أهل مدراس على أن يقيم بمدراس مدة، ثم يتوجه إلى الحجاز، فأقام بمدراس مرة ثانية، وكان لها أثر طيب على النفوس، لكن أهل البدع شاروا عليه وألبوا الحكم عليه بإصدار فتوى التكfir، وأحرقوا كتاب تقوية الإيمان للإمام إسماعيل بن عبد الغني، فأجبر الشيخ محمد علي على الخروج من مدراس وتوجه إلى الحج.

وقد صنف الأمير أفسر الدولة ابن الأمير محمد خان عالم خان الذي كان من مستشاري الشيخ محمد علي كتاباً في اللغة الدكنية بعنوان "القول الجلي في كرامات السيد محمد علي" ذكر فيه قصص إقبال الناس عليه، وتوبتهم بوعظه، وكراماته، وقال: إن مواعظه كانت تلين القلوب التي كانت كالحجر صلابة، وكان يتوب على يده من قضى حياته كلها في السرقة والزنا، وارتكاب الجرائم، وتصلح حياتهم بسماع وعظه في مجلس واحد، وكان صاحب تأثير عظيم، توفي سنة ١٢٥٨ هـ.

#### الشيخ الداعية كرامت علي الجونفوري

**الشيخ الصالح والمصلح الكبير كرامت علي ١ بن الشيخ إبراهيم**

١ - كان اسمه "علي" أضيف إليه اسم كرامت من أجل كراماته التي توالت وتسلاست عنه أثناء عمل الدعوة وهداية الناس، صرح به الكتاب عن سيرته الذاتية في الكتب والرسائل .

إمام بخش بن جار الله بن جل محمد بن محمد دائم الصديقي الحنفي الجونفوري، أحد كبار فقهاء الحنفية ودعاة الإسلام، ينتهي نسبه إلى سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولد سبع عشرة خلون من المحرم سنة خمس عشرة ومائتين وألف في حي "ملاتوله" بمدينة جونفور، بدأ التعلم من والده الشيخ إبراهيم وهو من محبي الإمام أحمد بن عرفة الشهيد، وقرأ بعض الكتب الدراسية على الشيخ أحمد الجرياكوتي، وبعضها على مولانا أحمد الله الأنامي، وبعضها على مولانا قدرة الله الرودولوي، وارتحل إلى "دلهي" للاستفادة من الشيخ عبد العزيز الدھلوی، ثم عاد إلى وطنه، وسافر إلى "رأئي بريلي".

يقول الشيخ عبد الحفي في كتابه "الإعلام" في اباع السيد الإمام أحمد بن عرفة الشهيد البريلوي، ولازمه زماناً، وعهد إليه السيد بالدعوة إلى الدين والشرع والإصلاح، وبشره بها، فسافر إلى بنغاله<sup>١</sup>، ودار البلاد للإرشاد، وكان الناس بدوأ أميين بعداء عن

- ١- تعرف الآن بنغلاديش ، قصدها بعد عمل الدعوة والإصلاح في بلدته "جونفور" فأقام الجمعة في المساجد ، وكان في جونفور لا يؤذن إلا في وقتين وقت الغرب والصبح ، ففتح المسلمين على الأذان لجميع الصلوات المكتوبة ، وفرق بين الحضارة الإسلامية والحضارة الهندوسية ، ورد الأشرار والبدع ، وأزال الوثنية من بيوت المسلمين ومساجدهم ، ورسخ في قلوبهم الإيمان وحب الإسلام ، وشعائر الدين ما تغافل وما تكاسل في ذلك شيئاً ، وفي عمل الدعوة والإصلاح كان لا يبالي العداوة والبغضاء من أي جهة كانت حتى تأمر الناس باغتياله ، ولكن مكيدتهم باءت بالفشل أخيراً ، وأنشأ المدارس كمدرسة الإمامية الحنفية ومدرسة القرآن ، وعين الشيخ عبد الحليم الكنوي والد العلامة الإمام عبد الحفي الفرجي على أول مدرس في إحداها ، وحصل الشيخ عبد الحفي المذكور على الدراسات الابتدائية ، وحفظ القرآن الكريم بتلك المدرسة ، ذكره الشيخ مجتبى الله الندوى أحد العلماء الأفضل في الهند مؤسس جامعة الرشد

المدنية والحضارة لا يلبسون من الشاب إلا ما يسترون به عوراتهم، وكانت النساء سافرات الوجه لا يحتجبن، ولا يمتاز المسلمون عن الوثنيين في العادات والتقاليد والشعائر حتى في الأسماء، وكانوا يفرون من أهل الحضر، ويستوحشون من المصلحين، فلم يزل يقتل في غارتهم ويتلطف بهم، حتى استأنسوا به واجتمعوا لديه، فأرشدهم إلى الحق، وهداهم إلى الدين الخالص، وعلّمهم وهذبهم، وأصبح نافذ الكلمة فيهم، يعظمه الناس، ويتلقون إشاراته بالقبول، وتغلغلت دعوته في أحشاء البلاد، وأوغلت في أوديتها وجبالها، وقرابها وأمصارها، واهتدى به خلائق تعد بئات الألوف".

يقول العلامة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوبي في كتابه "في مسيرة الحياة": إن الشيخ كرامت علي الجونفوري اتخذ بإرشاد من الإمام (السيد أحمد بن عرفان الشهيد) وأمره منطقة بنغال الشرقية مجالاً لجهوده الإصلاحية والدعوية وحقق فيها نجاحاً باهراً عظيماً لا يتفق إلا بتأييد من الله تعالى ونصره لعيادة المخلصين من الدعاة المصلحين، وقد سمعت أذناي الأمير بها در جنك أحد كبار القادة والخطباء في الهند قبل التقسيم وهو يخطب: "إن عدد المستفيدين والمستشارين والذين صلحت أحوالهم، وحسن إسلامهم، واهتدوا على أيدي الشيخ الجونفوري يبلغ حسب علمي إلى عشرين مليوناً من البشر" ١.

وتدل روایات أسرته أن رحلته الأولى إلى "بنغاله" قد استغرقت حوالي ثمانية عشر يوماً، وكان قواماً ذاكراً، دائم الوضوء، صابراً محتسباً قنوعاً، يجود بالمال لغيره ولا يدخل لنفسه، حريصاً على الجهاد

باعظم جراه ومديرها في مقدمة كتاب "أنوار محلي للشيخ كرامت علي الجونفوري، طبعته ندوة التأليف والترجمة بجامعة الرشاد.

١ - في مسيرة الحياة: ج ٢ ص ٤٠.

في سبيل الله<sup>1</sup> لإعلاء كلمته وكلمة الإسلام النافذة على الأرجاء، وكان قوي الجسم، فارساً شجاعاً، بأسلاً، وكان يحب أن يغزو مع شيخه الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، حينما أراد الهجرة والجهاد، لكنه رجع إلى وطنه امثلاً بأمر شيخه بأن يتوجه إلى عمل الدعوة وإصلاح الناس، وهدايتهم، وأشار عليه التوجّه إلى "بنغاله" فاشتغل بها مدة حياته، واهتدى به خلق كثير لا يحده ولا يعود في منطقة آسام وبنغاله، وكانت هذه المناطق التي وجهه إليها الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، متخلفة اقتصادياً ودينياً، ومعظم سكانها يعيشون عيشة ثانية، فبجهود الشيخ كرامت علي الجونفوري أصبح أغلبيتها مسلمين، وبنغال الشرقية الآن وهي دولة إسلامية مستقلة المعروفة بـ"بنغلاديش".

وكان طريق دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة وفي وقت الجدال والتي هي أحسن، وكان يقول قولًا ليناً، لعلهم يتذكرون وإلى ربهم ينبطون، وقد قوى أمر الدعوة أيضاً بأنه أرسل الدعاة وابتعد العلماء إلى أنحاء لم يستطع أن يبلغ إليها.

وكان مجوداً يقرأ القرآن بلحن شجي يأخذ بمجامع القلوب، سافر إلى الحرمين الشريفين فحج وزار، وأخذ القراءة عن السيد إبراهيم المدنى، والسيد محمد الإسكندراني.

وله مصنفات في الفقه والسلوك نحو "مفتاح الجنة" وقد نال قبولاً عظيماً وانتشاراً كبيراً، ونقل إلى لغات عديدة، وأعيد طبعه مراراً و"زينة المصلى" و"زينة القارئ" و"زاد التقوى" و"الكوكب الدرى"

1 - كتب بعض المؤرخين: أنه ساهم قيادياً في حركة الثورة ضد الاستعمار البريطاني سنة ١٨٥٧ المسيحي

و"الدعوات المستونة" و"شرح الجزري" و"نور الهدى" و"رفيق السالكين" و"فيض عام" و"مكاشفات رحمت" و"قوة الإيمان" و"نسيم الحرمين" و"أنوار محمدي" ترجمة الشمائل للإمام الترمذى ، وترجمة مشكاة الصابيح ، وغيرها من الكتب والرسائل. مات يوم الجمعة لثلاث خلون من ربيع الثاني سنة ١٢٩٠ هـ بـ "رنكبور من أعمال بنغالا"<sup>١</sup> ، وخلفه الدعاة والمربيون من مسترشديه وأولاده ، وكان شقيقه الشيخ رجب على أيضاً كان من خلفاء الإمام أحمد بن عرفان ، ومن أجلة العلماء والفقهاء بجنوب فور.

### الشيخ جعفر علي النقوي البستوي

الشيخ السيد جعفر علي بن السيد قطب علي كان من كبار علماء عصره ، استوطن أجداده "بستي"<sup>٢</sup> ، أخذ عن الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدهلوى ، كان مشتغلاً بالتدريس إذ بلغته أخبار الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، فعمز على السفر للقائه ، لكنه كان في الحجاز لتأدية الحج ، فلما رجع توجه إليه والده قطب علي وأخوه السيد حسين علي مع سبعة عشر شخصاً ، وأقاموا شهرآ ، ففاز السيد قطب علي بالخلافة ، فلما توجه الإمام أحمد إلى الحدود للجهاد ، واستأذنه السيد قطب علي في الانضمام إلى المجاهدين مع أعضاء أسرته فمنعه الإمام من السفر لضعف صحته ، لكن ابنه السيد جعفر علي لحق بهذه الجماعة مع المهاجرين والمجاهدين الآخرين ، فوصل في رمضان ١٢٤٥ هـ ، ورافقهم إلى المعركة الأخيرة التي وقعت في "بالاكوت" ، وكان كاتباً خاصاً للإمام أحمد .

١ - الإعلام بن في تاريخ الهند من الأعلام ، ج ٧:

٢ - بلدة في الولاية الشمالية بالهند ، في جانب الشرق تتصل بها دولة "نيبل"

ذكر الشيخ جعفر علي نفسه في كتابه "منظورة السعداء في أحوال الغزاة والشهداء": لما بلغنا قصد السيد للهجرة، وأنه على جناح السفر، أراد أبوانا السيد قطب علي وشقيقنا السيد حسين علي أن يلحقا به، وأردت كذلك، واستشرف كل واحد منا لهذا المقصد الأُسْنَى، ووقع التناقض، كل يريد أن ينال هذه السعادة، ويحظى بهذا الشرف، حتى وقع التحاكم إلى أمّنا، ورفعت إليها القضية وحكمت لي، وتوجهت إلى السيد وهو في مركز المجاهدين في الحدود، فاستقبلني خارجاً من مقره، ومشي بعيداً، وأطلق البنادق فرحاً بقدومي، وإعلاناً بوصول فرقه من المجاهدين من ناحية الهند، ورحب بي أكبر ترحيب، واختارني كاتباً لرسائله، وألحقني بفرقة الشيخ إسماعيل الشهيد.

وبعد استشهاد الإمام أحمد عاد إلى وطنه "مجهوّاً ميرًا" ، وقضى حياته في تعليم المسلمين وتربيتهم، وبث الوعي الديني، ونفع الحرارة الإيمانية في قلوبهم، فكان يزور القرى والمدن، ويعظ الناس بأسلوب مؤثر، ويوقظهم من سباتهم، وكان من تأثير رحلاته الدعوية أن تاب ألف من المبتدةعة والشيعة، وهجر كثير من المسلمين التقاليد والخرافات التي كانوا متغمسين فيها.

ويرجع فضل الشعور الديني الذي يوجد اليوم في "بستي" و"كوركهبور" و"غوندة" ، و"نبيال" إلى رحلات هذا الإمام، ولا يزال الناس يذكرون الكرامات والتأثير الشخصي في هذه المنطقة الواسعة، ويعتبرون إسلامهم ثمرة جهوده، وقد نشر شبكة من المدارس والكتاتيب، ولتركيزه على التدريس والدعوة والجهاد، لم تتح له فرصة للتأليف إلا أنه ألف كتاب "منظورة السعداء في أحوال الغزاة

١ - قرية من أعمال بستي .

والشهداء" بالفارسية، وهو من مراجع سيرة الإمام أحمد الشهيد، ورسالة تحليل وتحريم الأئمّة كالسائبة والبحيرة، وقد أنشأ مدرسة هداية المسلمين بعد رجوعه من "بالاكوت" في ١٢٤٧هـ، ولا تزال هذه المدرسة تقوم بنشاطها التعليمي، وقد أنجبت عدداً كبيراً من العلماء. ولد الشيخ جعفر في "مجهوا مير" في ١٢١٨هـ، وتوفي بعد أن نشر العلم، واهتدى على يدهآلاف من الناس، وأنار العالم في ١٢٨٨هـ وقد بلغ من العمر سبعين سنة.

و قبل وفاته رأى في المنام أن الشيخ عبد العزيز الذهلي، والشيخ الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، والشيخ إسماعيل بن عبد الغني الشهيد جالسون على الكراسي مع جمع من الناس الآخرين، وهناك كرسي خال، فسأل أحد الحاضرين: من هذا الكرسي؟ فقيل إنه للسيد جعفر علي، وهناك هب السيد جعفر علي من منامه.

وتفيّد الروايات المتداولة في الأسرة بأن السيد جلال الدين وصل إلى الهند من المدينة المنورة في القرن الثامن للهجرة، وأقام بمنطقة "نارنول" في بنجاب، وقام بالإصلاح والتربية، وأنشأ مدارس دينية، ثم انتقل بعض أفراد هذه الأسرة إلى "أيودهيا" بالقرب من فيض آباد، ثم انتقل السيد دوست علي أحد أفراد الأسرة إلى "مجهومير" في "بستي"، وكان من هذه الأسرة السيد قطب على والد الشيخ جعفر علي النقوى.

واشتراك السيد جعفر علي في معركة "بالاكوت" بجانب الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، وبعد شهادته عاد إلى وطنه، ووجه جهوده إلى نشر التعليم، وتصحيح العقيدة، فطاف الأرياف والمدن في المنطقة الشرقية للهند، ودولة نيبال، وتاب على يدهآلف من الناس، ولا تزال تلمّس آثار جهوده في هذه المنطقة.

ومن المدارس التي أنشئت بجهوده ولا تزال باقية :  
 المدرسة الجعفرية هداية العلوم في كرهي ، بستي  
 المدرسة العربية ، يوسف بور ، سدهارت نغر  
 المدرسة العربية "سمرا" ولاية بيهار  
 المدرسة العربية ، سيوان بولاية بيهار  
 المدرسة العربية ، مادهوبور سيوان بولاية بيهار .

### الشيخ نصیر الدین الدهلوی

الشيخ العالم الكبير المجاهد نصیر الدین بن نجم الدین الحسینی السونی بتی الدهلوی کان من نسل الامام ناصر الدین الحسینی السونی بتی من جهة الأب ، وأما من جهة الأم فكان سبط الشيخ رفیع الدین بن ولی الله العمری الدهلوی ، ولد ونشأ بمدینة دلهی ، وقرأ على الشيخ المحدث محمد إسحاق بن محمد أفضل العمری الدهلوی ، وعلى غيره من العلماء ، وتزوج بابنة الشيخ محمد إسحاق المذکور ، ثم أخذ الطريقة عن الشيخ محمد آفاق العمری النقشبندی <sup>١</sup> ، ولازمه مدة ، وأخذ أيضاً عن الإمام أحمد بن عرفان الشهید ، واستفاض منه فیوضاً کثيرة ونال به الإجازة <sup>٢</sup> .

وكان من اشتراكه في الجهاد مع السيد الإمام أحمد بن عرفان

<sup>١</sup> - تاريخ الفكر الإسلامي للدكتور محمد اجتباء الندوی بالأردية ، ص : ۱۶۷ ، وصدر أخيراً كتاب مفصل في سيرته "حيات جعفر" للأستاذ عبد الله بن مرتضى الحسینی .

<sup>٢</sup> - كان الشيخ محمد آفاق (م ۱۲۵۱ھـ) من كبار مشايخ الهند ، وكان من ذرية الشيخ الإمام أحمد السرهندي ، أخذ عنه خلق كثير .

<sup>٣</sup> - صرخ به تلميذه ومستشاره الشيخ إمداد الله المهاجر إلى مكة المكرمة في كتابه "ضياء القلوب"

المذكور، ثم تولى قيادة المجاهدين بعد استشهاده في "بالاكوت"، فقام بجولات واسعة في أرجاء الهند لتأليف جماعة المجاهدين، وتوحيد شمل من بقي من جماعة السيد الإمام الذين كانوا قد تفرقوا في أنحاء مختلفة، وقد ذكر الأستاذ غلام رسول مهر في كتابه أكثر من مائة مجاهد انضموا إلى جماعته كان معظمهم من دلهي، والبقية كان من أجмир، وتونك، وعظيم آباد، (بنته عاصمة ولاية بيهار) وبنغال، وقد ساعده والي تونك بأسلحة وعتاد.

يقول والي تونك النواب وزير الدولة في كتابه "وصايا الوزير": إن عمل إصلاح الناس وإرشادهم قد توقف بعد شهادة الإمام أحمد بن عرفان، ففيض الله عز وجل لإحياء هذا العمل الدعوي الإصلاحي الشيخ نصیر الدين، فقام بإرشاد الناس وإصلاحهم دينياً وخلقياً، ونفع في حركة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد الحيوية والنشاط من جديد.

وبعد تنظيم جيش المجاهدين قام الشيخ نصیر الدين بالهجرة إلى السندي، وقاتل الشيخ والإنكليل قتالاً عنيفاً في معارك مختلفة، لكن بعض أمراء "غزنة" خانوا المجاهدين، وتأمروا ضدّهم مع الإنكليل، وأغاروا عليهم على المجاهدين، فاستشهد منهم عدد كبير، ولكن الشيخ نصیر الدين نجا من هذه الغارة، وبذلك خابت هذه المحاولة لإنقاذ الجهاد الذي كان قد قاده السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، وتوفي في نحو سنة ست وخمسين ومائتين وألف.

وكان رحمة الله صاحب همة عالية، ونفس قوية، كثير الدعاء، أمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، حبيباً للسنة، وكان من تلاميذه ومترشديه الشيخ الكبير إمداد الله المهاجر المكي.

### الشيخ الفتى إلهي بخش الكاندھلوي

كان الشيخ إلهي بخش بن الشيخ شيخ الإسلام بن قطب الدين بن عبد القادر الحنفي الصديقي الكاندھلوي من كبار تلاميذ الشيخ عبد العزيز بن الشيخ أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشيخ ولی الله الدهلوی ولد في ١١٦٢ھ بکاندھلہ من أعمال مظفر نگر۔ يرجع نسبة إلى سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

كان راسخ العلم ، قوي الحجة ، جاماً للعلوم العقلية والنقلية ، وكان له باع طويل في الطب ، والافتاء ، وكان مدرساً مقبولاً ، صاحب نظم ونشر في العربية والفارسية والأردية ، وكتابه شرح بانت سعاد (قصيدة البردة) لکعب بن زهير رضي الله عنه يدل على براعته في قول الشعر والترجمة ، فقد شرح كل بيت بالعربية ، ثم ترجمه إلى الأردية والفارسية ، ومؤلفاته تربى على ستين مؤلفاً ، أهمها "شيم الحبيب في ذكر خصائص الحبيب" ، و"تكملة المشتوى المعنوي" لجلال الدين الرومي ، و"جوامع الكلم".

**صلة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد واشتراكه في حركته**

كان الفتى إلهي بخش بعد إكمال دراسته يتلقى الطريقة من الشيخ عبد العزيز الدهلوی ، فلما وصل الإمام أحمد بن عرفان الشهيد إلى کاندھلہ مقر الفتى إلهي بخش وأسرته ، وقد بلغ الفتى إلهي بخش من العمر ٧١ سنة ، وقد ذاع صيته في الأوساط العلمية والدينية بزهده وتورعه وكتبه ودروسه ومواعظه ، وكان مكرماً مبجلاً ، وكان الإمام أحمد بن عرفان الشهيد أصغره سناً ، لكنه رغم صلته بالشيخ عبد العزيز الدهلوی وشهرته العلمية ومكانته المرموقة دخل في بيعته ، ولم تمنعه من أن يكون من مربيه سنه وشهرته وعلمه ، وقد وصف

حالته وشوقه وإعجابه بالإمام أحمد بن عرفان في بعض رسائله وقصائده، وقد وصف في شعره أن الشيخ أحمد السرهندي هو مجدد المائة الثالثة لال ألف الثاني، ووصفه بالفيض الرياني، وصنف كتاباً في طريقة الذكر للإمام أحمد بن عرفان سماه "بالمهمات الأحمدية في الطريقة الحمدية"، وهو تلخيص للصراط المستقيم، وطبع الكتاب من مطبعة مفید عام بأجرة بأمر النواب يمين الدولة محمد علي خان والي طوك، وذكر المؤلف تاريخ قدوم الإمام أحمد إلى كاندھلہ ۱۷ ربیع الأول ۱۲۳۴ هـ وتوفي الفتی إلهی بخش في عام ۱۲۴۵ هـ، وقد بلغ من العمر ۸۳ سنة، لكنه نفع في قلوب كل من اتصل به حب الإمام أحمد الشهید، وانتقل حب الفتی إلهی بخش للإمام أحمد وشوقه إلى نجله الشیخ أبي الحسن، والشیخ أبي القاسم<sup>١</sup>، وقد أنسد الشیخ أبو الحسن قصيدة في مدح الإمام أحمد بن عرفان بعد عودته من الحج، وهي حافلة بعواطف الحب والغرام والإجلال للإمام، ذكر فيها أنه لا يوجد مثال لتعمیر المساجد ومراکز الذکر ومعاهد العلم والمعرفة كما يوجد في هذا العصر بتأثير حركة الإمام، ففي كل مكان يسمع صوت الأذان، وفي كل مكان يرفع هناك "الله أكبر" وكسرت الأصنام، وأعيدت المنابر التي كانت تهدمت، وقضى على البدع والخرافات، وطهرت البلاد من البدع، وانتشرت الثقافة الإسلامية، وعمت الهدایة والرشاد.

واشتراك إثنان من أبناء بنت الفتی إلهی بخش الشیخ محمد مصطفی الجنهجهانوی، والشیخ محمد صابر الجنهجهانوی اللذان كانا

١ - كان الشیخ أبو القاسم أول شخص من هذه الأسرة الكاندھلیویة الذي بايع الإمام الشهید وهو جد العالم الكبير الشیخ محمد إدريس الكاندھلیوی صاحب "التعليق الصبیح على مشکلة المصابیح" بالعربیة و"تفسیر القرآن الکریم" بالأردیة، وكان رئيس قسم التفسیر في دار العلوم بدیوبند.

من تلاميذ المفتى إلهي بخش أيضاً في الجهاد مع الإمام أحمد بن عرفان، واستشهد الشيخ محمد مصطفى، وعاد الشيخ محمد صابر، لكنه قضى حياته كلها في الدعوة والإصلاح، وكان من تأثير هذه الصلة بالإمام أحمد أن كاندهلة وجهنجهانة والمناطق المجاورة ظلت مربوطة بهذه الحركة، وغمرت عواطف الولاء والوفاء للإمام أحمد قلب كل كبير وصغير، وكل رجل وامرأة في هذه المنطقة ١.

وكان ابن شقيقة الشيخ مظفر حسين بن محمود الكاندھلوي ٢ الذي كان آية في الورع والتقوى واتباع السنة المطهرة من تلمذ على يدي عمّه الشيخ إلهي بخش، وصاحب الإمام أحمد بن عرفان، فاستفاض منه، وانتصر للسنة السنّية البيضاء، ذكره الشيخ عبد الحي الحسني في "الإعلام".

١ - وكان الشيخ إلهي بخش الكاندھلوي من أجداد الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندھلوي والعلامة الحبيب الشيخ محمد زكريا بن بخي الكاندھلوي لأمهما.

٢ - أخوه الشيخ محمود بن شيخ الإسلام (١٢٥٨م) كان من عبد الله الصالحين والعلماء النابغين، يذكر الشيخ أبو الحسن الندوی في كتابه "ماذا خسر العالم بالخطاط المسلمين" عن صدق لهجته وسداد قوله ومكانته المرموقة لدى أرباب الحكم وعامة الناس بغير ذكر اسمه وهو يقول: "إنه وقع نزاع بين المندك والمسلمين في قرية كاندھلة من مديرية مظفر ثغر في الولايات المتحدة الهندية على أرض ، فادعى المندك أنها معبد لهم ، والمسلمون أنها لهم مسجد ، وتحاكموا إلى حاكم البلد الإنجليزي ، فسمع الحاكم القضية ودلائل الفريقين ولم يطمئن إلى نتيجة ، فسأل المندك: هل يوجد في القرية مسلم تتقدون بصدقه وأمانته أحكم على رأيه؟ قالوا: نعم فلان: وسمواشيخاً من علماء المسلمين وصلحائهم ، فأرسل إليه الحاكم وطلبه إلى المحكمة ، فلما جاءه الرسول قال: قد حلفت أن لا أرى وجه أفرنجي ، ورجع الرسول ، فقال الحاكم: لا بأس ، ولكن أحضر وأدل برأيك في القضية ، فحضر الشيخ وولى دربه إلى الحاكم وقال: الحق مع المندك في هذه القضية ، والأرض لهم ، بذلك قضى الحاكم ، وخسر المسلمون القضية ، وakan كسبوا قلوب المندك ، وأسلم منهم جماعة ، (ص ٢٥٧-٢٥٨ ط: دار القلم دمشق)

وكان لهذه المنطقة التي تقع فيها كأندهله وجنهجهانة ونانوته وكنكوه وشاملي وتهانة بهون، دور كبير في الجهاد والدعوة والإصلاح، ومكافحة البدع والخرافات، ونشر العلوم الإسلامية وخاصة الحديث النبوي الشريف والفقه، وقد تحولت هذه المناطق بعد زيارة الإمام أحمد بن عرفان إلى معاقل الإسلام، وجميع هذه الأماكن مجاورة تقع بين دلهي وسهازنفور على بعد حوالي ٨٠ كيلو متراً، وقد أثبتت كبار المشايخ الرباطيين والدعاة المصلحين ابتداء من الشيخ عبد الرحيم الوليتي، والشيخ ميان جي نور محمد الجنهجهانوي اللذين بايعا على يد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد إلى الشيخ رشيد أحمد الكنكوفي، والشيخ محمد قاسم النانوتوبي، وشيخ الهند محمود حسن الديوبندي، والشيخ أشرف علي التهانوي، والشيخ محمد إلياس الكاندھلوي، والشيخ حسين أحمد المدنبي، وتلاميذهم، وقد اشترك الجيل الأول من مؤلاء العلماء في الجهاد العملي ضد الإنجليز، واستشهد منهم عدد، وتولى من بقي منهم مهمة الجهاد بالقلم واللسان، و التربية الأجيال الجديدة، ووقاية المسلمين من الغزو الثقافي، وأنشأوا شبكة من المدارس، وقادوا حركات التعليم والدعوة وإصلاح المجتمع، وظلت هذه المناطق مرجع العلم الديني والتربية الدينية في شبه القارة الهندية كلها إلى العصر الحاضر.

### الشيخ نور محمد الجنهجهانوي

الشيخ العارف الكبير نور محمد بن جمال محمد بن بير محمد بن محمد رضا بن إلهي بخش بن محمد بن محمد بن محمد بن الشيخ الكبير

الولي الشهير عبد الرزاق الجنهجهاني ينتهي نسبه إلى الإمام محمد بن علي - من بطن الحنفية - بن أبي طالب الهاشمي.

كان من المشايخ المشهورين، ولكن ستر حاله بتعليم الأطفال في قرية "لوهاري" ، ولد في لوهاري ببلدة جنهجهانة من أعمال مظفر نغر سنة ١٢٠١ هـ وتوفي بها سنة ١٢٥٩ هـ، تلقى العلوم الدراسية الابتدائية في موطنه، ثم سافر إلى دهلي ، وتلمذ بين يدي الشيخ الكبير والإمام البصیر عبد العزیز بن ولی الله الدھلوي ، ونال حظاً وافراً من علومه ومعارفه، حتى رجع إلى بلاده جنهجهانة واشتغل بالقرآن الكريم درساً وإفادة ، ثم توجه تلقاء سهارنفور، ووضع يده في يد الشيخ العارف الكبير عبد الرحيم الأفغاني<sup>١</sup> ، ثم السهارنbori لتزكية النفس ، وللحصول على الدرجات العلى في مجال السلوك والإحسان ، ففاز بصحبته ، ونال الشرف والكمال ، ثم سافر إلى بلاد التغور مع شیخه عبد الرحيم ، وأخذ عن الإمام أحمد بن عرفان الشهید البریلوي ، وبایعه ، وحاز ثقته ، ولكن رجع وانصرف منها بأمر شیخه الإمام أحمد بن عرفان إلى الهند لتصحیح العقيدة ، وتعلیم الدين ، وتهذیب الأخلاق ، وأما الشیخ عبد الرحيم فبقي مع شیخه الإمام ، وجاهد معه فاستشهد في سبیل الله تعالیٰ .

<sup>١</sup> هو أحد المشايخ المشهورين ، أخذ الطريقة القادرية عن الشیخ رحم علی القمیصی السادھوروی ، وأخذ الطريقة الجشتیة عن الشیخ عبد الباری بن ظھور الله الأمروھوی ، ثم سافر إلى الحرمين الشریفين فحج وزار ، ورجع إلى الهند ، وسكن بسهارنفور مدة من الدھر ، مشتغلًا بالتریبة والإصلاح ، ودخل في بيته خلق كثير ، فلما وصل السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهید البریلوي إلى سهارنفور ، ولقیه وبایعه تغیرت حياته ، وانقطع إلى الدعوة والجهاد وأوصى سائر متبتعه بالدخول في بیعة الإمام الشهید ، وسافر معه إلى بلاد التغور الهندية ، واستشهد بها في سبیل الله عام ١٢٤٦ هـ .

وكان الشيخ نور محمد شديد الاهتمام بالصلوة، بلغت عناته بها إلى أنه ما فاتته التكبيرة الأولى لمدة ثلاثين سنة أو أكثر، وكان ورعاً تقلياً، يذكر من ورمه أنه جاءه ذات مرة رجل حسن الصوت طيب الترجم، فاجتمع عليه الناس أن يسمعوا منه وأولعوا به، ودعى الشيخ إلى أن يستمع منه شيئاً، فاعتذر عن ذلك قائلاً: الغناء بدون المزامير أمر مختلف فيه، وأنا أصلبي بالناس أحياناً، فالاجتناب عنه أولى وأحرى تورعاً وخروجًا من الخلاف.

وأما من تعلق به واستفاد منه وأخذ عنه العلوم والمعارف فكثير اشتهر من بينهم الإمام القدوة الشيخ إمداد الله الشهير بالمهاجر المكي، والشيخ محمد ضامن الشهيد، والشيخ المحدث محمد التهانوي. أما الشيخ الحافظ ضامن فكان مقداماً بأسلاً شديد الغيرة والحمية ضد الإنجليز، مات شهيداً في المعركة التي دارت بين المسلمين والإنجليز في الميدان المعروف بـ "شاملي" سنة ١٨٥٧ م.

### الشيخ محمد ظاهر الحسني الرأي ببريلوي

الشيخ محمد ظاهر بن غلام الجيلاني بن محمد واضح بن محمد صابر بن آية الله بن الشيخ علم الله الحسني، كان من بني أعمام الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، ولد في دارة الشيخ علم الله برائي ببريلي عام ١١٩٨هـ، وقرأ على عميه الشيخ قطب البدي الذي كان من تلاميذ الشيخ عبد العزيز بن علي الله الدهلوi، ثم قرأ الكتب العليا على تلميذه بحر العلوم عبد العلي الفرنجji محلji، والشيخ ذي الفقار علي الديوي، والشيخ عبد الجامع السيدن فوري، وأساتذة عصره البارزين في العلوم المختلفة، ثم أخذ الطريقة عن الإمام أحمد بن عرفان

الشهيد، وأجازه الإمام أحمد بن عرفان<sup>١</sup> ، وأدى الحج معه في عام ١٢٣٨هـ ، ولازم صحبته مدة طويلة ، وكان خطيباً تلين له القلوب ، وتنجذب إليه النفوس ، يحترز في خطبته عن المسائل المتنازع فيها ، وكان فقيهاً يعكف على تحقيق المسائل وتدقيق النظر في الأحاديث النبوية ، ويبحث على اتباع طريق السلف ، والالتزام بالسنة ، وكان يرجع إليه الناس في قضياتهم ، ومعرفة أمور الشريعة في المناطق المجاورة لرأيي بربلي ، وتناول فتاواه القبول ، وكان متورعاً خاشعاً متواضعاً تقبل عليه النفوس ، وقد تاب على يده عدد كبير من الناس ، وصحت عقائدهم ، وصلحت حياتهم ، وبالإضافة إلى نشاطه للإصلاح والدعوة إلى الله ، و التربية النفوس ، وقيامه بحملات دعوية واستغفاله بالإفتاء ، وعكوفه على البحث والتحقيق ، كان بفضل تربية شيخه الإمام أحمد بن عرفان يقضى ساعات في الأعمال الفروضية كالرمادية وإطلاق البنودقية ، وكان يدرّب متبعيه على استخدام الأسلحة ، والتربية البدنية للاشتراك في الجهاد .

ووصفه الشيخ العلامة الشريف عبد الحفيظ بن الشيخ فخر الدين الحسني في كتابه "الإعلام بين في تاريخ الهند من الأعلام" ، وهو كما يلي :

"كان ورعاً تقياً ذا مهابة وخلق حسن وتواضع ، وسلام العقل ، فصريح اللسان ، يحترمه الناس لما اشتمل عليه من حسن الصورة ، وحلو المنطق ، وعدوينة الحاضرة ، لم يزل مشتغلًا بالوعظ

١ - وقد بايع السيد الإمام أبوه السيد غلام الجيلاني الحسني وأعمامه الشيخ محمد جامع والسيد معصوم أحمد (زوج أخت السيد الإمام أهدى بن عرفان) قبل رحلته للحج فدعاهم بالبركة والقبول وتقبل الله دعائهما .

والخطابة، والتدريس، والإفتاء، وفصل الخصومات من غير أن تنصبه السلطة، وكان ذلك مع الفضل والدين والرزانة.

وكانت له ملكرة راسخة في قرض الشعر، ينشئ بكمال الفصاحة والحلابة، لا سيما في المندية الحالصة عن خلط الألفاظ العربية والفارسية يقال له "بهاشا" وعلى كلامه رونق القبول، وقد جمع السيد الوالد جملة صالحة من ذلك في كتابه "مهرجهانتاب" وهو جد سيدى الوالد (فخر الدين رحمة الله) من جهة الأم<sup>١</sup>.

لم يرزق الشيخ محمد ظاهر الذكور من الأولاد، وكانت إحدى بناته السيدة الشريفة فاطمة زوجة العالم الكبير عبد العلي الحسني النصير آبادي<sup>٢</sup> جدة الشيخ عبد الحي الحسني بن الشيخ فخر الدين، وكانت متورعة صالحة زاهدة ، عالية الثقافة ، طيبة ماهرة ، مهتمة بتربية الأولاد وإصلاح النساء وتربيتهن تربية دينية بالإضافة إلى المواظبة على الصلوات ، والتلاوة ، والتسبيح ، ومطالعة الكتب الدينية ، وخاصة كتب الحديث والفقه وتعليمها.

كان الشيخ محمد ظاهر من أقرب مسترشي الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، وكان شيخه يحبه ويقرره إليه ، وقد ذكر الشيخ جعفر علي النقوي البستوي<sup>٣</sup> أحد أقرب خلفاء الإمام أحمد بن عرفان

١- كان الشيخ محمد ظاهر الحسني جد الشيخ فخر الدين بن الشيخ عبد العلي الحسني النصير آبادي من جهة الأم ، والشيخ فخر الدين مؤرخ وأديب وشاعر وفقيه وحلاق ، وكان من كبار الصالحين ، والمصنفين ، له كتاب في تاريخ الأسرة والأنساب "سيرة السادات" وكتاب في أعيان الإسلام وتاريخه بالفارسية "مهرجهانتاب" وكتب ورسائل أخرى وديوان الشعر .

٢- تزوج بها الشيخ السيد عبد العلي الحسني بعد وفاة شقيقها التي كانت في حرمته  
٣- قد أسلفنا ذكره .

الشهيد الذين اشتركوا معه في الجهاد ولازموا صحبته في كتابه "منظورة السعداء في أحوال الغزاة والشهداء": أنه لما وصل إلى معسكر الإمام أحمد في بنجاحب، وكان قد زار رأي بريلي في طريقه من فيض آباد إلى بنجاحب لمعرفة أحوال أسرة الإمام أحمد فسأل الإمام عن أحوال أسرته في رأي بريلي، وخص الشیخ محمد ظاهر الحسني بالذكر، فقال: الشیخ محمد ظاهر بخیر؟ فقلت: نعم وجده بخیر الحمد لله".

وللشيخ محمد ظاهر رسالة في إرشاد الطالبين سماه بـ "خير المسالك" بالفارسية ذكر فيها الطرق الأربع، ووظائفها ومناهجها، وقد قام بطبع هذه الرسالة ونشرها الشیخ خليل الدين الحسني<sup>١</sup> الذي كان من مسترشدي الشیخ رشید احمد الکنکوھی، وعلق عليها الشیخ عبد الحیی الحسني، ونشرت هذه الرسالة في عام ١٣٠٤ھـ، وهي رسالة قيمة تفید السالکین وترشدھم إلى دقائق الطرق الصوفية، كالجلشتیة والنقبشتیة والسهوردية والقادریة، وطرق الذکر، وأمور البيعة والإرشاد، وطرق الإحسان والسلوك، والوصول إلى الله، واتباع الشریعة والإفادة.

وافتتح الشیخ محمد ظاهر الرسالة بالتركيز على اتباع السنة في الطريقة، وترك كل ما يخالف السنة، وأکد أهمیة التمسک بعقائد

١ - الشیخ خلیل الدین بن رشید الدین الحسني جد هذا الكاتب والشیخ محمد الرابع الحسني والشیخ محمد الثاني الحسني كان من سرة رأي بريلي، وكان الشیخ عبد الحیی الحسني ابن خاله الشیخ فخر الدین الحسني، وكان يحب الصالحين، ویکرمھم وقد رافق ابن خاله الشیخ السيد عبد الحیی في رحلته العلمیة والدعویة الطویلة، التي زار فيها مراکز التربية والإرشاد الإسلامي من دلهی إلى سهارنبور، وطبعت هذه الرحلة بعنوان "دلهی اور اسکی اطراف" (دلهی وضواحیها) زار فيها العلماء والمشايخ وفي مقدمتهم الشیخ رشید احمد الکنکوھی في عام ١٣٢٢ھـ....

الصحابة، والتابعين، والسلف الصالحين، والتزام أركان الإسلام، واجتناب كبائر الذنوب، وتعظيم شعائر الإسلام، كان ذلك من سمات أسرة الشيخ علم الله الحسني، لأنها ظلت مرتبطة بمشيخ سلسلة الإمام أحمد السرهدني، والإمام الشاه ولی الله الدهلوی، ثم الإمام أحمد بن عرفان الشهید في عصورهم المختلفة ۱.

وله رسائل وكتب أخرى منها "تحريم الحرام" في تفسير قوله تعالى "وما أهل لغير الله به" و"قاطع البدعة" ورسالة في مبحث وحدة الوجود، وله ديوان الشعر الهندي، توفي سنة ١٢٧٨ هـ ببلدة "رأئي بريلي" ومن خلفائه الشيخ محمد معین الحسني التصیرآبادی ۲ والشيخ فخر الدين الحسني الرائي بريلوي.

### الشيخ عبد العلي التصیرآبادی

الشيخ عبد العلي بن علي محمد بن أكبر شاه بن محمد شاه بن محمد تقی بن عبد الرحيم بن هدایة الله بن إسحاق الحسني الحسیني

۱ - ونقلت هذه الرسالة إلى الأردية بكلمة تقديم ضافية للعلامة أبي الحسن علي الحسني الندوی في عام ١٤١١ هـ نقلها الشيخ عتیق أحد البستوي أحد أساتذة دار العلوم ندوة العلماء .

۲ - كان الشيخ محمد معین بن السيد محمد مقیم الحسني التصیرآبادی الذي توفي سنة ١٢٨٧ هـ ابن أخي السيد محمد مستقيم التصیرآبادی وهو من مسترشاري الإمام أحمد بن عرفان الشهید وأعضاء جماعته ، وكان شیخاً عالی الهمة ، كبير الشأن ، قوي النسبة ، بأسلاً مقداماً زاهداً متصلباً بالسنة السنیة يعرض عن اللهو واللغو شدید الغيرة والحمیة للإسلام وال المسلمين ، وكانت له أبيات مثيرة بالفارسیة والہندیة ، استفاد منه خلق ، وأثنى عليه الشيخ فخر الدين بن عبد العلي الحسني في "سیرة السادات" و "مهر جهانتاب" ، وكان السيد محمد معین جد والله الشيخ أبي الحسن على الحسني الندوی من جهة الأم .

النصيرآبادي، صهر الشيخ محمد ظاهر الحسني البريلوي المذكور سابقاً، هو أحد العلماء الربانيين من مسترشدي الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، ولد بنصيرآباد ونشأ بها، وتلقى مبادئ العلم عن عمّه محمد ابن الأعلى النصيرآبادي وهو من مسترشدي الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، ثم سافر إلى لكتاف وأخذ عن أسانتها، وأخذ الحديث عن السيد محمد علي الرامبورى من مسترشدي الإمام أحمد بن عرفان، وأخذ الطريقة عن الإمام أحمد بن عرفان الشهيد.

كان الشيخ عبد العلي جاماً بين العلم والعمل، والزهد والتواضع وحسن السلوك، وقد مالت إليه النفوس لخصاله وسلوكه مع الناس، وحسن موقعته، وخدمته للخلق، وقناعته في المعيشة، واتباعه للسنة، وتولى التدريس، ثم تولى الإنشاء، ثم العدل والقضاء وتحصيل الخراج، وكان معروفاً بذكائه، وفطنته، وحسن تدبيره، وسياسته، وعفته وجوده، عاش بعيداً عن زخارف الدنيا، ورغم العيش رغم توليه المناصب العليا، كان يصرف ما يتاح له من الوقت من اشتغاله ومسئوليته الإدارية في تلاوة القرآن، ومطالعة الكتب، وكتابة المصحف، وعبادة الله، وموعظة الناس، وإصلاح أمورهم، ودعوتهم إلى الخير، كانت له مهابة لدى الولاة، ومحبة لدى الناس، كان لا يغضب ولا يكابر، بل يغفو ويسامح عن الخطايا، وكانت له اليد الطولى في صناعة الخط، والشعر، والصياغة، والتذهيب وغير ذلك من فنون أخرى.

عاش في آخر عمره في ناكود بنديل كهند(وسط الهند) حيث ولاه أمير الولاية الهندوكية التدريس ثم القضاء، وتوفي بها، وقد

أصيب بالفالج في سنة ١٢٦٩ هـ وكانت آخر كلمة رطب بها لسانه ، هو "الرفيق الأعلى ١".

والشيخ عبد العلي هو جد العلامة عبد الحفيظ الحسني مؤلف كتاب "الإعلام بن في تاريخ الهند من الأعلام" ووالد الشيخ فخر الدين الحسني صاحب الموسوعة التاريخية "مهر جهانتاب" ، وقد لعبت هذه الأسرة دوراً رائداً في مجال العلم ، والتعليم ، والدعوة ، والإصلاح ، ونبغ في هذا العصر من هذه الأسرة الكريمة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوبي بن الشيخ عبد الحفيظ الحسني الذي عرف في العالم بمؤلفاته العلمية القيمة ، ورحلاته الدعوية ، وجهاده بالقلم واللسان ، وقاد حركات التعليم والإصلاح للمسلمين في الهند ، فكانت وفاته في آخر ديسمبر ١٩٩٩ م على نهاية الألفية الثانية.

وتولى رئاسة ندوة العلماء الشيخ عبد الحفيظ الحسني إلى آخر حياته ، ثم نجله الأكبر الدكتور عبد العلي ، ثم انتقلت الرئاسة إلى نجله الأصغر الشيخ أبي الحسن علي الحسني ، وبعد وفاة الشيخ الندوبي تولى رئاسة ندوة العلماء ابن أخيه وخليفة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوبي ، وبذلك قادت هذه الأسرة حركة التعليم والتربية الإسلامية لثلاثة أجيال متواصلة ، واحتفظت هذه الأسرة صلتها بحركة الإمام أحمد بن عرفة الشهيد ، التي تحولت إلى مجال التعليم والتربية الإسلامية ، والدفاع عن قضايا المسلمين ، وتحرير البلاد من الغزو الثقافي والعسكري بالقلم واللسان والكفاح العلمي.

---

١ - الإعلام بن في تاريخ الهند من الأعلام ج ٧ .

الفصل الثاني

## أتباع المسترشدين للإمام أحمد بن عرفان

الشيخ عبد الحفيظ البنغوري

الشيخ عبد الحفيظ البنغوري الذي عرف بالوااعظ والمصلح الديني، ولا تزال تنشد مدائحه النبوية في المحافل الدينية رغم مرور أكثر من مائة سنة على وفاته في جنوب الهند، كان شخصية جامعة، جمعت بين العلم، والإصلاح، والدعوة، ورد المنكر، وسخر لسانه وقلمه الفياض لمكافحة الأوهام الباطلة، ونشر الحق، والدفاع عن الشرعية.

نشأ الشيخ عبد الحفيظ وشب في عهد انتشرت فيه حركة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، وتتأثر بحركته عن طريق خلفائه ومستشاريه، وفي مقدمتهم الشيخ محمد علي الرامفورى الذى زار فى ١٢٤٥ هـ مدراس، ونشر فيها دعوة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، وكان قبل ذلك زار حيدر آباد بأمر الإمام الشهيد يرافقه الشيخ ولية علي الصادقبورى، فكتاب على يده ألوف من الناس من العامة والخاصة، والأمراء والحكام، وجاء عن تأثير دعوته أن الحوانيت أغلقت، ورفض أصحابها دفع الضرائب لامتناع الناس عن شرب الخمر.

يقول الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوبي عن الشيخ محمد علي زيارته لمدراس :

"توجه الشيخ محمد علي من حيدرآباد إلى مدراس، وبasher عمل الدعوة والإصلاح، وترسيخ عقيدة التوحيد، وإحياء السنة، ومكافحة البدع والخرافات، فذاع صيته في الناس، وتدفق الناس من كل صوب، وتاب ألف من الناس، وترك الناس السماع، وكسروا المزامير، وكانت ولاية مدراس في ظلام وجهة، وكان المسلمون فيها منغمسين في الشرك والوثنية، وكان شرب الخمر عاماً، وكان عالماً فصيح اللسان بلغ الكلام".

وتدل على تأثر الشيخ عبد الحفيظ البنجلوري بدعة الإمام أحمد ابن عوفان قصيلته في مدحه التي قال فيها ما معناه :  
وفرد العصر وقطب الواثلين .  
السيد أحمد إمام العارفين .

صاحب السير والسلوك والجذب والحال .

وارث العلم اللدني بلا قيل وقال .

مجدد القرن الثالث عشر وإمامه .

وركن شرع ملة خير الأنام .

پارشاده وهدایته هدی الله البرية إلى الرشاد .

روج السنة والشريعة .

أمّحي به كل بدعة وخرافة .

استئثار العالم كله بفيمضه .

وذلك ما يعترف به العرب والجم .

وذكر الشيخ الرؤيا العجيبة في قصيلته عن الاستفادة بالإمام في  
المنام .

وقد ألف الشيخ عبد الحي كتاباً في مناقب الإمام أحمد، ذكر فيه نسبته وقال: إنه شيخه وشيخ شيخه، وقد توثقت صلته وحبه بجماعة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد قبل زيارة الشيخ محمد علي ملدراس، فإن شيوخه في "ويلور" كانوا أيضاً على صلة وثيقة بالشيخ عبد العزيز الدهلوi، وكانتوا مشتاقين إلى زيارته، لكن الظروف عاقت دون هذه الزيارة، وبعد وفاته كانوا يتبعون حركة الجهاد للإمام أحمد بن عرفان، ويبذلون تأييدهم لها، فلما وصل الشيخ محمد علي قبل العلماء عليه، وعند ما عارض بعض العلماء، وأصدروا فتوى تكفيه، تصدقى الشيخ عبد الحي لرد الفتوى، وأعلن تأييده له.

ومن أبرز ملامح تأثره بحركة الإمام الشهيد كان تصليبه في عقيدة التوحيد، وهو من سمات تربية الإمام الشهيد، فقد روى المؤرخون أن الشيخ عبد الحي كان في مجالسه يركز على رد البدع والخرافات، ويبحث على اتباع السنة، والتمسك بالشريعة، وكان قوي الحجة، ناصع البيان، و يؤثر في القلوب بعذوبة كلامه، وروعة بيانه، فكان يسخر النفوس بمواعظه ومناظراته، ومناقشاته، وكثيراً ما حدث أن تاب المستمعون لكلامه من الهندوس والمبتدعين والشيعة.

وعلى غرار منهج الإمام أحمد بن عرفان الشهيد قام الشيخ عبد الحي بجولات واسعة للدعوة والإرشاد، وإصلاح الطقوس والعادات، ومحو البدع والخرافات، فقام بجولة دعوية واسعة في عام ١٢٦٩هـ، زار فيها معظم مناطق جنوب الهند من القرى والأرياف والمدن، والتقي فيها بالحكام ورؤساء القبائل، وكان من عادته أن يزور هذه الأماكن حيناً بعد حين للوعظ والإرشاد، بجانب ما كان يؤلف من كتب ورسائل في التفسير، والحديث، والسيرة، وحياة الصحابة، والعلماء، وقد آثر النظم لأعماله، وله إنتاج في النثر كذلك، وكانت

مواعظه تحى القلوب، ويتوب الناس عن الذنوب، ويغمى على بعضهم بشدة الانفعال.

لقد كان بغض الشیخ عبد الحی للبدع والخرافات، وحرصه الشدید على إحياء السنة، غالباً على ما ألف من كتب ورسائل، فقد ألف "جنان السیر في السیرة النبویة" وهو يشتمل على ۲۲ ألف بیت، وقصيدة نشرت بعنوان "تنبیه العوام"، وقد نالت القصیدتان رواجاً عاماً، وطبعتا عدة مرات، وموضوع هاتين المنظومتين حتّى الناس على اتباع السنة، ورد البدع، والتقاليد الوثنية، ورد العقائد الباطلة، ومكافحة تأثير الشیعة، وتصحیح التصوف، ورد الاتجاهات المنعزلة لدى الزھاد والمتصوفین كزيارة القبور وتقديس الأولیاء، وبيان آداب الشریعة الإسلامیة، والحقوق الإسلامیة، ولرد البدع أشاع المبتدعون أنه وهابي ونجدي، كما أشاعوا عن أتباع الإمام أحمد بن عرفان الشهید.

وقد شکى في قصيدة له التفرق بين المسلمين، وشیوع الأوهام والخرافات، إلى الرسول صلی الله عليه وسلم فقال: كم نشأت في الأمة من فتن، وشاعت الفرق في أهل السنة، يکفر بعضهم بعضاً، وصار الناس أعداء أهل المهدیة، وصاروا في طريق الضلال، وجمعت فيهم البدع، والإلحاد، والزنادقة، واحکروا عن السنة، يروجون البدع علينا، ويطفئون سراج السنة، وعمت فيهم العقائد الباطلة، وشاع الفسق والفحور.

وكان من أوجه الشبه بينه وبين المتبتعن لحركة الإمام أحمد بن عرفان، شغفه بالفروضیة، فقد مر في أيام نشأته بالترییة الإسلامیة، وتدریب على الفروضیة، وقضی فترة في تدریب أحد المدربین المهرة من ولاية "میسور"، وظهرت براعته فيها، ولكنه لم يستطع أن يستخدم

هذه الخبرة، لأن عهده كان عهد استيلاء الإنجليز، وانتشار حضارتهم، وإقبال الشباب عليها، فانصرف بعد كسب العلوم إلى مكافحة هذه الاتجاهات، والانحراف في العقيدة، والميل عن الشريعة الإسلامية، بالوعظ، والتأليف، والدعوة، والجهاد باللسان، وتحمل الشدائد من علماء عصره المنحرفين.

وكانت أكبر قوة تناضل الإنجليز قد سقطت في ١٢١٣ هـ بهزيمة قوات السلطان تيتو في الجنوب، وتم استيلاء الإنجليز على هذه المنطقة، ثم استشهد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد مع خيرة أصحابه في عام ١٢٤٦ هـ ، فلجأ الشيخ عبد الحفيظ ك أصحابه الذين نجوا في الجهاد إلى الدفاع باللسان والقلم عن الإسلام، ونشر تعاليمه، ومكافحة الأخطار المحدقة بالأمة الإسلامية في الجنوب.

يقول الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوبي في مقدمة كتاب الدكتور قدرة الله الباقي عن الشيخ عبد الحفيظ وهو يلقي الضوء على منهجه ودعوته :

كان من أهم خدماته إصلاح العقائد، وشرح المسائل، وإيضاح انحرافات التصوف، والإرشاد إلى حقيقة الشريعة، ودعم سائر حركات النضال ضد الإنجليز الذين كانوا قد استولوا على الجنوب خاصة في عصره، وكان ذلك مخاطرة في ذلك العهد، ونقد الإجراءات التعسفية لهذا الحكم الأجنبي بجرأة فائقة، والدفاع عن الدعوة إلى التوحيد الحاصل، ورد التهم الموجهة إلى الموحدين الذين كانوا يتهمون بالوهابية، والدفاع عن مسلك الإمام أحمد بن عرفان الشهيد وأتباعه، وكان من أبرز خدماته تسخير الأدب الأردي لنفخ روح الكفاح، وإعادة المجتمع الإسلامي إلى اتباع الشريعة، وإصلاح مساويه.

إذا كان تسهيل اللغة الأردية وتعديمها يرجع إلى حركة الإمام الشهيد لما ألف المتنون إليها من كتب باللغة الأردية السهلة، ولمواعظهم التي كانت تستميل القلوب، ولنقل كتب العلوم الإسلامية إلى الأردية السهلة، كما يعترف به المؤرخون في تاريخ الأدب الأردي، فإن تسهيل اللغة الأردية وتعديمها في الجنوب يرجع إلى شخصية الشيخ عبد الحي البنغوري، فإن نشره ونظمته كليهما في غاية من السهولة في العصر الذي كانت اللغة الأردية مثقلة بالألفاظ الأجنبية، والعبارات العربية والفارسية، وفيها عاطفة وقادة وعدوية تؤثر في النفوس.

توفي في المدينة المنورة ودفن بها في عام ١٣٠١ هـ.

#### الشيخ أحمد الله الصادقبورى ١

الشيخ الصالح الداعية المجاهد في سبيل الله أحمد بن إلهي بخش ابن هداية علي الجعفري المهدانوي ثم العظيم آبادي، كان من نسل سيدنا جعفر الطيار بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد سنة ثلاثة وعشرين ومائين وألف، فسماه والده أحمد بخش ، فلما وصل السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد البريلوي إلى "عظيم آباد" في سفر الحج بدل اسمه بأحمد الله ،قرأ بعض الكتب الدراسية على مولانا ولاية علي العظيم آبادي ، ولما سافر شيخه إلى لكانؤ ،قرأ بعضها على الشيخ منور

١ - أسرة صادقبور كانت أسرة ربانية مجاهدة ، وصادق بور اسم حي من أحياء مدينة عظيم آباد ، المعروفة الآن بـ "بتنه" وهي عاصمة بيهار ، كان منها الشيخ ولait على والشيخ عنيت علي وتبعهما الشيخ أحمد الله والشيخ يحيى علي وغيرهما من العلماء المجاهدين الفدائين وقيل عنهم : لو وضع مأثر الفداء في الإيثار والبطولة في الهند التي يحكى بها تاريخ حركة التحرير والكفاح الوطني في كفالة ، ووضعت تصريحات أهل صادقبور وجهادهم في كفة أخرى لرجحت هذه الكفة الأخيرة رجحانًا ظاهرًا.

علي الآروي، وبعضها على غيره من العلماء، وأسنده الحديث على الشيخ ولالية علي المذكور بعد قوله من السفر، وتتصدر للتدرس، أخذ عنه فياض علي، وأكبر علي، ووجاهت حسين، وعبد الرحيم بن فرحت حسين، وعبد الحميد بن أحمد الله، وخلق آخرون.

وكان رجلاً كريماً، عفيفاً ديناً، كبير المنزلة عند الولاة، جليل القدر، يعيش في أطيب بالي، وأرغد حال، حتى أخذته الحكومة الإنكليزية ظناً منها أنه أعان الناس على الخروج عليها، ثم أطلقوه من السجن بعد ثلاثة أشهر، ثم أخذوه سنة ثمانين ومائتين وألف، وظنوا أنه أعan من كانوا في حدود "أفغانستان" من غزاة الهند، فألقوا عليه من المصائب ما تقدّر منها الجلود وتنخلع القلوب، ثم أجلوه إلى جزائر "سيلان" محكوماً عليه بالحبس مدة عمره.

توفي بها لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف ١.

### الشيخ يحيى علي الصادق بوري

الشيخ العالم المحدث يحيى علي بن إلهي بخش بن هداية علي الجعفري المهداني ثم الصادق بوري أحد العلماء الربانيين المجاهدين، ولد سنة سبع وثلاثين ومائين وألف، وقرأ العلم على صنوه الشيخ أحمد الله، وعلى الشيخ ولالية علي، وأخذ الطريقة عن الشيخ ولالية علي المذكور، وأسنده الحديث عنه، ثم تتصدر للتدرس، والتذكير، وكانت له اليد الطولى في الفقه، والحديث، ومهارة تامة في استخراج المواريث والحساب.

١ - الإعلام بن في تاريخ الهند من الأعلام ج ٧ ..

وكان آية من آيات الله سبحانه وتعالى في الصبر على البلاء، والرضا بالقضاء، والشجاعة والسامحة، سافر إلى الحدود مع شيخه ولالية علي، وأعانه في الغزو والجهاد، ثم عاد معه إلى الهند، واستغل بالتدريس والتذكير مدة، ثم سافر معه مرة أخرى، ولما توفي شيخه عاد إلى الهند، وعكف على التدريس والتذكير زماناً طويلاً، ثم قبض عليه الإنكليز بسبب الإعانة لمن كانوا من غزاة الهند من أصحاب السيد الإمام سنة ثمانين ومائين وألف، وألقوا عليه من المصائب ما لا يحصيها البيان، وكان يتحمل ذلك بكل صبر وإيمان، وينشد كما أنسد الصحابي الجليل خبيب رضي الله عنه.

فبدأت محاكمة المتآمرين في الهند ودامت مدة طويلة وحوكم عدد من قادة هذه الحركة وكان على رأسهم الشيخ يحيى علي العظيم آبادي والشيخ أحمد الله العظيم آبادي، والشيخ محمد جعفر التهانيسي<sup>١</sup> ، والشيخ عبد الرحيم الصادق فوري.

ثم أصدرت المحكمة حكمها بالشنق، فأبدى سروره وفرجه بذلك، فغيرت المحكمة الحكم بالتفي المؤبد إلى جزيرة "أندونس" ، وتوفي هناك سنة أربع وثمانين ومائين وألف كما في "الدر المثور" في تراجم أهل صادقبور للشيخ عبد الرحيم الصادقوري.

ووصف الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوبي قصة محاكمته بأسلوب مؤثر يصور صموده وحنينه إلى الشهادة<sup>٢</sup>.

١ - مات الشيخ يحيى علي والشيخ أحمد الله في الجزيرة، ورجع الشيخ محمد جعفر وزملاؤه بعد أن قضوا في المنفى ثمانى عشرة سنة في سنة ١٨٣٣م ، وهي قصة مشجية مثيرة حكاها الشيخ محمد جعفر في كتابه "المتنفي الأسود" اسم في الأرد" كلا باني" أو "تواریخ عجیب" وقد طبع هذا الكتاب مراراً وذاع واشتهر.

٢ - راجع كتاب "إذا هبت ريح الإيمان" ، و"قصص من التاريخ الإسلامي" .

## الشيخ المحدث نذير حسين الدهلوi

الشيخ الإمام العالم الكبير المحدث العلامة نذير حسين بن جواد علي بن عظمة الله بن الله بخش الحسيني البهاري ثم الدهلوi، ولد سنة ١٢٢٥ هـ بقرية "سورج كره" من أعمال بيهار، ونشأ بها، وتعلم الخط، والإنشاء، ثم سافر إلى عظيم آباد، "بنته" وأدرك بها السيد الإمام أحمد بن عرفان الحسني البريلوي، وصاحبيه الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدهلوi، والشيخ عبد الحي بن نور الله البرهانوي سنة ١٢٣٧ هـ حينما عادوا من سفر الحج المبارك ومكثوا بها أياماً، فملا قلبه من الإيمان، وغشه نور المعرفة ، فسافر للعلم، وأقام بيلادة "إله آباد" أيامًا، وقرأ المختصرات على أعيان تلك البلدة، ثم سافر إلى دهلي واستفاد من علمائها، ثم لازم دروس الشيخ إسحاق بن محمد أفضل العمري الدهلوi سبط الشيخ عبد العزيز الدهلوi، وأجازه الشيخ المذكور، فتصدر للتدريس والتذكير والإفتاء.

وقد أُوذى في ذات الله سبحانه غير مرة، واتهمه الناس بالاعتزال عن أهل السنة والجماعة ، والخروج على ولاة الهند، فقبض عليه الإنجليز، ونقلوه إلى "راولبندي" <sup>١</sup>، فلبث في السجن سنة كاملة، ثم أطلقوه، فعاد إلى دلهي ، واشتغل بالتدريس والإفادة ، ثم رحل إلى الحجاز، فاتهمه الناس مرة أخرى بالاعتزال ، فحبسه وإلى مكة ، ثم أطلقه ، ثم عاد إلى الهند ، فকفره الناس كما كفر الناس في الزمن القديم كبار العلماء من الأئمة المجتهدin ، فقد كان الشيخ آية ظاهرة، ونعمة باهرة من الله سبحانه في التقوى ، والديانة ، والزهد ، والعلم ،

وكتاب "القراءة الراسدة" للشيخ أبي الحسن الندوi .

<sup>١</sup> - مدينة كبيرة في دولة باكستان .

والعمل ، والقناعة ، والعفاف ، والتوكل ، والاستغناء عن الناس ، والصدق ، وقول الحق ، والخشية من الله ، والمحبة له ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

له رسائل عديدة أشهرها معيار الحق ، وواقعة الفتوى ، ودافعة البلوى ، وثبوت الحق الحقيق ، ورسالة في تحلى النساء بالذهب ، والمسائل الأربع ، ورسالة في إبطال عمل المولد ، ويبلغ عدد تلاميذه إلى آلاف ، أشهرهم ابنه الشريف حسين ، والشيخ عبد الله الغزنوبي ، والشيخ محمد بشير العمري السهسواني ، والعلامة عبد الله بن عبد الرحيم الغازيبوري ، والسيد مصطفى بن يوسف الحسني الطوكي<sup>١</sup> ، والسيد أمير علي الحسني المليح آبادي ، والشيخ المحدث شمس الحق الديانوي صاحب عون المعبد شرح السنن لأبي داود ، والشيخ عبد الله ابن إدريس الحسني المغربي ، والشيخ محمد بن ناصر بن مبارك النجدي ، والشيخ سعد بن حمد بن عتيق النجدي . وقد مدحه العلماء بقصائد غراء ، وكانت وفاته عام ١٣٢٠ هـ

### الشيخ عبد الله (محمد أعظم) الغزنوبي

الشيخ الإمام المحدث عبد الله بن محمد بن محمد شريف الغزنوبي الشيخ محمد أعظم الزاهد المجاهدي الساعي في مرضاة الله المؤثر لرضوانه على نفسه وأهله وماله وأوطانه صاحب المقامات الشهيرة والمعارف العظيمة الكبيرة .

ولد بقلعة " بهادر خيل " بناحية " غزنة " سنة ثلاثين ومائتين وألف ، وقرأ على جماعة من العلماء أشهرهم : الفقيه العلامة حبيب

١ - سبط الإمام أحمد بن عرفان الشهيد كان في الاتباع بالسنة السنية والاستقامة على الشريعة الغراء تذكاراً لجلده الإمام الشهيد والسلف الكرام .

الله القندهاري صاحب "مفتوم الحصول" ، وكان الشيخ حبيب الله يعظمه ، ويوقره ويصفه فوق ما يوصف ، ويقول الشيخ أبو الحسن الندوى في التعليق على ترجمته في "الإعلام بن في تاريخ الهند من الأعلام" :

" وقد تحقق أن العلامة حبيب الله القندهاري كان من خلفاء المصلح الكبير الداعي إلى الله والمجاهد في سبيل الله الإمام السيد أحمد الرائي بربلوي الشهيد (م ١٢٤٦ هـ) ومن هذا انتقل هذا الاتجاه الإصلاحي والحماس الدينى إلى صاحب الترجمة .  
 ويقول أيضاً :

" كان الشيخ عبد الله الغزنوى من سكان "غزنه" ، ولكن أجلى في عهد الأمير أفضل خان لأنه كان على التوحيد الحالص والعقيدة الصحيحة ، والسنة الثابتة ، فخرج من وطنه ، فصدقت عليه هذه الآية ﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله﴾<sup>٣</sup> وألقى الترحال في بلدة "أمرتسر" بولاية "بنجاب" وكان من كبار مشايخ عصره داعياً إلى الله ناصراً للسنة السنوية ، دخل في بيعة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد بواسطة الشيخ حبيب الله القندهاري ، واصطبغ بصبغة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، وهي صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة ، فجمع بين الظاهر والباطن ، والعلم والعمل وهي ميزة برز فيها بين أقرانه ، فحصل له القبول والتأثير على النفوس والقلوب "<sup>٤</sup> .  
 ونشأ الشيخ عبد الله (محمد أعظم) الغزنوى نشأة علم وعمل

١ - "الإعلام بن في تاريخ الهند من الأعلام" الجزء السابع

٢ - المصدر السابق

٣ - الحج : ٤٠

٤ - راجع المصايح القديمة (برانى جراج) ٢٧٥/٢-٢٧٧ بالأردية للشيخ الندوى .

ووجهاد ووفداء، قدم الهند، وقرأ الصحاح السبت على الشيخ نذير حسين الدهلوبي، ثم رجع إلى بلاده، وقام فيها لنصر دين الله، وإعلاء كلمته صابرًا محتسباً فأوذى في ذات الله من المخالفين، ثم أجلى إلى بلاد الهند، فلما قدم الهند، أقام بمدينة "بيشاور" أيام قلائل، ثم سكن بـ"أمritsar" من بلاد "بنجاب"، وعكف على العبادة والإفادة، فانتفع بالخلافة وقصدوه لذلك، وكان حسنة الزمان وزينة الهند، قد غشيه نور الإيمان وسيما الصالحين، واتفق الناس على الثناء عليه، ذكره النواب السيد صديق حسن القنوجي في "قصار جيود الأحرار" والشيخ شمس الحق الدياني صاحب "عون المعبد" في كتابه "غاية المقصود" وأفرد بترجمته مجله الشيخ عبد الجبار الغزنوبي في رسالة، وقال الشيخ شمس الحق الدياني في مقدمة "غاية المقصود": إنه كان في جميع أحواله مستغرقاً في ذكر الله عز وجل حتى أن لحمه وعظامه وأعصابه وأشعاره وجميع بدنـه كان متوجهاً إلى الله تعالى فانياً في ذكره عزوجل".

توفي ليلة الثلاثاء لخمس عشرة خلون من ربيع الأول سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف، وخلف وراءه جماعة من العلماء والمصلحـين من أولاده ومستشارـيه، ذكرـ الشيخ عبد الحـي الحـسـني عن مجلـهـ الشـيخ عبدـ الجـبارـ الغـزوـيـ الذيـ كانـ تـلوـ والـدـهـ فـيـ الـعـلـمـ وـالـعـمـلـ.

"رأيتهـ غيرـ مرـةـ فـيـ "أـمـرـتـسـارـ" فـأـلـفـتـيـهـ عـلـىـ قـدـمـ السـلـفـ الصـالـحـينـ منـ الـعـلـمـاءـ الرـبـانـيـينـ، وـكـانـ لـاـ يـلتـزمـ المـذـهـبـ الـمعـينـ إـذـاـ أـفـتـىـ بـلـ بـماـ يـقـومـ عـنـدـهـ دـلـيـلـهـ، وـلـكـنـهـ كـانـ لـاـ يـسـيـئـ الـظـنـ بـالـأـثـمـةـ الـمـجـتـهـدـينـ وـلـاـ يـذـكـرـهـ إـلاـ بـخـيـرـ، مـاتـ فـيـ الـجـمـعـةـ الـأـخـيـرـةـ مـنـ رـمـضـانـ لـخـمـسـ بـقـيـنـ مـنـ ذـلـكـ الشـهـرـ سـنـةـ ١٣٣١ـهـ، وـمـدـحـهـ بـقـولـهـ: "الـمـتـفـقـ عـلـىـ وـلـايـتـهـ وـجـلـلـتـهـ".

وامتاز من هذه الأسرة الغزنوية في الآخرين بين أقرانهم الشيخ داود الغزنوی ، والشيخ إسماعيل الغزنوی ، والشيخ أبو بكر الغزنوی رحمة الله .

### الشيخ إمداد الله المهاجر المكي وخلفاؤه

الشيخ العارف الكبير الأجل إمداد الله بن محمد أمين العمري التهانوي المهاجر إلى مكة المكرمة كان من الأولياء السالكين العارفين ، اتفقت الألسن على الثناء عليه والتعظيم له .

ولد يوم الإثنين لثمان بقين من صفر سنة ثلاثة وثلاثين ومائتين بعد ألف بـ "نانوته" قرية من أعمال سهارنفورا ، وقرأ على مولانا قلندر الجلال آبادي ، والشيخ عبد الرحيم النانوتوی ، كانوا من تلامذة الشيخ الفتى إلهي بخش الكاندھلوي ، واستفاد أيضاً من ابنه الشيخ أبي الحسن الكاندھلوي ، وسافر إلى دلهي ، ولازم الشيخ نصیر الدین المجاهد الذي رفع راية الجهاد بعد استشهاد الإمام السيد أحـمـد بن عـرـفـانـ ، وبعد وفاة الشيخ نصیر الدین عاد إلى وطنه "تهانه بهون" فأقام بها ، ثم دخل "لوهاري" ولازم الشيخ نور محمد الجنهجـهـانـوـيـ خـلـيـفةـ الإمام أحـمـدـ بنـ عـرـفـانـ الشـهـيدـ ، فأـخـذـ عنـهـ الطـرـيقـةـ ، وفتح الله سبحانه وتعالى عليه أبواب المعرفة ، فتصدر للإرشاد والتلقين بأمر شيخه ، ونفع الله به خلائق لا يحصون ، أجلهم الشيخ محمد قاسم النانوتوی مؤسس دار العلوم بدیوبند ، والشيخ رشید أحـمـدـ الـکـنـکـوـھـیـ ، وـمولـانـاـ

١ - وفي تلك السنة قام الإمام أحـمـدـ بنـ عـرـفـانـ الشـهـيدـ بـجـوـلـاتـ إـصـلـاحـيـةـ دـعـوـيـةـ ماـ بـيـنـ دـھـلـيـ وـسـهـارـنـفـورـ ، فـزارـ نـانـوـتـهـ وـدـیـوبـنـدـ وـکـانـدـھـلـهـ وـتـهـانـهـ بـھـوـنـ وـکـنـکـوـھـ وـغـيـرـهـاـ مـنـ الـقـرـىـ ، وـرـفـعـ إـلـيـهـ الشـيـخـ إـمـدـادـ اللهـ (وـکـانـ إـذـ ذـاـكـ صـبـيـاـ)ـ فـوـضـعـهـ فـيـ حـجـرـهـ ، وـدـعـاـهـ بـالـبرـكـةـ .

يعقوب بن ملوك النانوتوبي<sup>١</sup>، ومولانا أشرف علي التهانوي، والشيخ أحمد حسن الكانفوري<sup>٢</sup>، والمحدث الشيخ حيدر حسن خان التونسي<sup>٣</sup>، وكلهم صاروا شيوخاً أجلاء، وانتفع بهم خلق كثير.

ولما ثار المسلمون وأهل البلاد على الحكومة الإنجليزية سنة ١٢٧٤ هـ مطابقاً بسنة ١٨٥٧ مـ، وقامت جماعة من العلماء والصلحاء وأهل الغيرة من المسلمين في سهارنفور ومضفر نجر، فأعلنوا الحرب على الإنجليز، واختاروا الشيخ إمداد الله أميراً لهم، واشتبك الفريقيان في ميدان "شاملبي" قرية من أعمال مضفر نجر، (قرية من عاصمة دلهي) فقتل الحافظ محمد ضامن شهيداً، وانقلب الدائرة على المسلمين، ورسخت أقدام الإنجليز واشتد بطشهم بكل من اتّهم بالمشاركة في هذه الثورة، وضاقت على العلماء العاملين الغيارى الأرض، وضاق مجال العمل في الهند، فقضى بعض الرفقة مدة في الاختفاء والإِنْزَوَاء، كان منهم الشيخ محمد قاسم النانوتوبي، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهى، والشيخ محمد مظهر النانوتوبي، ولجأ بعضهم إلى الهجرة ومغادرة البلاد<sup>٤</sup>، وأثر الشيخ إمداد الله الهجرة إلى مكة المكرمة، ودخل مكة

١ - كان رئيس هيئة التدريس في دار العلوم بدبيوبند

٢ - كان الشيخ أحمد حسن البطالي ثم الكانفوري من العلماء المشهورين في كثرة الدرس والإِفادة، ومن الذين اجتمعوا لتأسيس حركة ندوة العلماء فكان من أنشط أعضائها في مرحلتها الأولى، توفي سنة ١٣٢٢ هـ ببلدة كانفور، وكان الشيخ ثناء الله الأمورتسري من أبرز تلامذته.

٣ - كان الشيخ المحدث حيدر حسن خان التونسي من مواليد سنة ١٢٨١ هـ ومن العلماء الأفاضل والخدّيين الكبار في عصره، وكان رئيس أستانة الحديث في دار العلوم لندوة العلماء، ثم عين مديرًا لها، تخرج على يديه عدد كبير من العلماء وعلى مقدمتهم الشيخ الإمام أبو الحسن علي الحسني الندوبي، والشيخ المحدث عبد الرحيم النعماني.

٤ - وكان من الذين اختاروا مغادرة البلاد الشيخ العالم الكبير رحمة الله الكبير أنوي

سنة ١٢٧٦ هـ، وألقى رحله بالبلد الأمين ، وكان أول إقامته على "الصفا" ثم انتقل إلى حارة الباب حيث قضى حياته ولقي ربه ، وعاش أيامًا طويلة في عسر شديد وفقر وفاقة ، شأن الأولياء المتقدمين ، وهو صابر محتسب ، راض بما قسم الله له من الحال ، حتى جاءه الله بالفرج ، وأبدل العسر باليسر ، وجاءته الدنيا راغمة ، واشتغل بالمجاهدات والعبادات متوجهاً إلى الله بقلبه وقلبه ، دائم الذكر والمراقبة ، فائض القلب والباطن بالعلوم والأنوار ، مع هضم للنفس ، وإطراح على عتبة العبودية ، وتواضع للعباد ، وعلوهمة وشهامة نفس ، وإجلال للعلم والعلماء ، وتعظيم للشريعة والسنة السنوية .

· غرس الله سبحانه جبه في قلوب عباده ، وعطف قلوب العلماء الكبار والشيخ الأجلاء من العرب والعجم إلى الرجوع إليه والاستفادة منه ، وأمه طلاب المعرفة واليقين من بلاد بعيدة ، وببارك الله في تربيته وطريقته ، فانتشرت أنوارهما في الآفاق ، ولقب بشيخ العرب والعجم .  
· توفي يوم الأربعاء ثاني عشر جمادي الآخرة سنة سبع عشرة وثلاثمائة وألف بمكة المكرمة ، ودفن بالمعلاة عند الشيخ رحمة الله الكبيراني ١ .

### الشيخ رشيد أحمد الكنكوفي

هو الشيخ الإمام العالمة المحدث رشيد أحمد بن هداية أحمد الأننصاري الحنفي الكنكوفي أحد العلماء المحققين والفضلاء المدققين ،

---

الذي صنف "إظهار الحق". رداً للنصرانية ، وأسس مدرسة دينية شرعية في البلد الأمين مكة المكرمة التي تعرف بالمدرسة الصولية تخرج فيها عدد كبير من العلماء والقضاة والجودين ، وتوفي بها .

١- راجع للتفصيل "الإعلام بن في تاريخ الهند من الأعلام" ج ٨ / ٨ .

المولود في شهر ذي القعدة سنة ١٢٤٤ هـ في كنکوه سهارنفور. وكان آية باهرة ونعمة ظاهرة في التقوى، واتباع السنة النبوية، والعمل بالعزيمة، والاستقامة على الشريعة، والحرص على نشر السنة، وإعلاء شعائر الإسلام، والصدع بالحق وبيان الحكم الشرعي، ثم لا يبالي بما يتقاول فيه الناس، لا يقبل تحريفاً، ولا يتحمل منكراً، ولا يعرف المحاباة والمداهنة في الدين، مع ما طبعه الله عليه من التواضع والرفق واللين، دائراً مع الحق، حيث ما دار، يرجع عن قوله إذا أتبين له الصواب، انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل، ورئاسة تربية المربدين، وتزكية النفوس، والدعاء إلى الله، وإحياء السنة، وإماتة البدع.

وقد رزقه الله من التلاميذ والخلفاء ما يندر وجود أمثالهم في هذا العصر في الاستقامة على الدين، وإتباع الشريعة الغراء، ونشر العلم النافع، وإحياء السنن، وإصلاح المسلمين، ونفع الله به خلائق لا تخصى بحمد وعد، فكان من كبار خلفائه الشيخ محمود حسن الديوبندي، والشيخ عبد الرحيم الرائي فوري، والشيخ خليل أحمد السهارنفور<sup>١</sup> والشيخ حسين أحمد المدنى، والشيخ محمد مظهر النانوتوي<sup>٢</sup>، ومن أحواله أنه قرأ أكثر دروسه على العلماء البارعين المشهورين كالشيخ عبد الغنى الدھلوی المهاجر المدنى، والشيخ مملوك العلي النانوتوي<sup>٣</sup>، وأخذ التربية الروحية والتلقين بأمر شيخه فصار

١ - كان الشيخ خليل أحمد السهارنفور من كبار الفقهاء والحدثين، نبغت بتربته جماعة من أهل التربية والإرشاد، وكان الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندھلوي والشيخ المحدث محمد زكريا الكاندھلوي من خلفائه الأجلاء، له كتاب عظيم "بنل الجھود" في شرح سنن أبي داود، توفي سنة ١٣٤٦ هـ بالمدینة المنورۃ ودفن بالبقیع.

٢ - راجع الإعلام بن في تاريخ الهند من الأعلام ج<sup>٨</sup>

٣ - وهو أحداً عن الشيخ محمد إسحاق الدھلوی تلميذ الشيخ عبد العزيز بن الشاه

مرجعاً لأهل السنة، والجماعة، وخاصة لأصحاب الشیخ إمداد الله المذکور.

ولما اشتباك الفريقيان في ساحة "شاملی" ۱ فجعل يقاتل الإنجليز تحت إمرة الشیخ إمداد الله، وينبع الهزيمة في المعركة اضطر هو نفسه، شیخه إلى الهجرة، فاضطر إلى التستر والخفاء مدة من الزمان، ثم حبس في السجن، ثم أطلق، فاشتغل بالدرس والإفادة، وسافر إلى الحجاز للحج والزيارة غير مرّة، واقتصر في آخر عمره على تدريس الصحاح الستة، وله مصنفات مختصرة قليلة، ولكن فتاواه جمعت في ثلاثة مجلدات، وقد جمع تلميذه النجیب الشیخ محمد يحيی بن محمد إسماعیل الكاندھلی ما أفاد به في درسه جامع الترمذی، فنشره ابنه الشیخ محمد زکریا الكاندھلی بتحقيقه باسم الكوکب الدری، وطبع له كتاب آخر في شرح صحيح البخاری باسم "لامع الدراری". ۲

وكان الشیخ رشید احمد شدید التأثر بالإمام احمد بن عرفان الشهید وجماعته، وكان يقول: إن الإمام احمد قد فاق جميع أقرانه حتى شیخه العلامة عبد العزیز الدھلی، توفي يوم الجمعة في جمادی الآخرة سنة ۱۳۲۳ھ في كنکوه من أعمال سهارنفور بالہند.

### الشیخ اشرف علی التھانوی

هو العالم الربانی والمریٰ الكبير أشرف علی بن عبد الحق التھانوی، ولد بـ"تهانة بهون" من أعمال مظفر نجیر خمس خلون من

ولي الله الدھلی وسبطه الذي كان من كبار أنصار حركة الإمام احمد بن عرفان الشهید البریلوی ومن أوئل أصحابه وخلفائه .

۱ - "شاملی" هي قرية جامعة بين دلهی عاصمة الهند وسهارنفور، وواقعة في مظفر نجیر.

۲ - راجع للتفصیل "الإعلام بن في تاريخ الهند من الأعلام ، الجزء الثامن .

ربيع الآخر سنة ١٢٨٠ هـ، قرأ العلوم والفنون عند الشيخ رشيد أحمد الكنكوفي، والشيخ يعقوب بن مملوك العلي النانوتوبي، ثم سافر إلى الحجاز، فصحب الشيخ الكبير إمداد الله التهانوي في مكة المباركة، وأخذ عنه ونال الإجازة والخلافة، وبعد مدة رجع إلى الهند، وقام مقام شيخه بأمره، فصار مرجعاً في التربية والإرشاد، وإصلاح النفوس، وتزكية الأخلاق، يشد إليه الرحال، ويقصده الراغبون في ذلك من أقاصي البلاد وأدانيها، وانتهت إليه الرئاسة في تربية المريدين، وإرشاد الطالبين، والإطلاع على غواصات النفوس ومداخل الشيطان، وكان شديد العناية كثير الحسبة على أداء الحقوق إلى أصحابها، وإصلاح المعاملات مع الناس، لا يحتمل في ذلك تساهلاً وتفاضلاً.

وقد كان من كبار العلماء الريانيين الذين نفع الله بمواعظهم ومؤلفاتهم، قد بلغ عدد مجالس وعظه التي دونت في الرسائل إلى أربع مائة مجلس، وقد كان نفع كتبه و المجالس وعظه عظيماً في إصلاح العقيدة والعمل، واستفاد منها ألف وخمسمائة مسلم، ورفض عدد لا يحصيه إلا الله العادات والتقاليد الجاهلية، والرسوم والبدع التي دخلت في حياة المسلمين، وفي بيوتهم، وأفراحهم وأحزانهم بسبب الاختلاط الطويل بالكافر والمشركين، وأهل البدع والأهواء، وبلغت مصنفاته ما بين صغير وكبير إلى قريب من تسع مائة، وقد كان لكتابه "بهشتي زبور" الذي ألفه أصلاً لتعليم البنات رواج وذيع قلماً بلغهما كتاب آخر من الكتب الدينية، وطبع مراراً كثيرة يصعب إحصاؤها، وترجم معاني القرآن الكريم في الأردية وفسرها وسمها "بيان القرآن" لها قبول عام في الأوساط العلمية والدينية، ولقبه العلماء بمحكيم الأمة ومجدد الملة.

وقد استفاد من الشيخ أشرف على نخبة من العلماء الكبار والمتقفين، ونالوا الدرجات العليّة والقبول العظيم، اشتهر منهم

العلامة السيد سليمان الندوبي، والشيخ عبد الباري الندوبي، والشيخ محمد يوسف البنوري، والشيخ ظفر أحمد العثماني التهانوي صاحب "إعلاء السنن"، والشيخ وصي الله الفتحبوري، والدكتور عبد الحفيظ العربي الكراشتوبي، والشيخ محمد شفيع الديوبندي مؤسس دار العلوم بكراتشي ومفتى عام دولة باكستان سابقاً، والشيخ محمد حسن الأمرستري مؤسس الجامعة الأشرفية بlahor، والشيخ عبد الماجد الدریابادی صاحب تفسیر القرآن الكريم باللغتين الأردية والإنجليزية، والشيخ محمد طیب القاسمی رئيس دار العلوم بدیوبنڈ سابقاً، والشيخ أبی الرحمه‌الحقی رحمة الله علیہ، ومن تلمذ علی یدیه الشیخ عبد الحفیظ الحسنسی الرائی بریلوی، توفي الشیخ اشرف علی لست عشرة خلون من رب سنة ١٣٦٢ھ في "تهانہ بهوں"

### الشيخ السيد خواجة احمد بن یاسین النصیرآبادی

الشيخ العالم الكبير الداعية المصلح الفقيه خواجة احمد بن یاسین النصیرآبادی تنتمي أسرته إلى أسرة الإمام احمد بن عرفان، ويتصل نسبه بجدوده في السيد محمد معظم بن القاضي احمد بن القاضي محمود النصیرآبادی، ولد سنة إحدى وأربعين ومائتين وألف ببلدة "نصیرآباد" بمديرية رائی بریلوی، يقول الشیخ أبو الحسن علی الحسنسی الندوی :

"إن اليوم الذي ولد فيه خواجة احمد هو ذلك اليوم الذي هجر الإمام احمد بن عرفان الشهيد وطنه لأجل الجهاد في سبيل الله، وإعلاء كلمته، وذلك يوم الإثنين في نفس السنة، وإن أمه قد رأت في المنام قبل ولادته أن بدرًا وثب ودخل فمها، فأظلمت الدنيا، وانتشر الظلم فيها، وبعد برهة من الزمن خرج ووصل إلى الموضع الذي كان

فيه، فأول الإمام أحمد بن عرفان هذه الرؤيا أن نور جبينه ينتشر في العالم كله، وينور قلوب المؤمنين، وقلوب بعض المبتدعين، وتتبدد به ظلمة الجهلة، ويتشير الدين من لسانه<sup>١</sup>.

تعلم السيد خواجه أحمد أولاً في بلدته من الشيخ السيد محمد بن أعلى النصيرآبادي تلميذ الشيخ محمد إسماعيل الشهيد وخلفة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، وذهب إلى الشيخ سخاوت علي الجونفوري، فلازمه أكثر من أربع سنوات، وصاحب الشيخ محمد يعقوب بن محمد أفضل العمري الدهلوi في مكة المكرمة، وأقام عنده ستة أشهر، فصار من أخص أصحابه، ونالت منه الإجازة، كما نال من الشيخ سخاوت علي، والشيخ محمد بن أعلى النصيرآبادي<sup>٢</sup>. ولما عاد السيد خواجه أحمد إلى وطنه قام بالعمل الذي بدأه السيد الإمام أحمد بن عرفان ضد الأعمال الشركية، ومحدثات الأمور التي فشت في القرى والمدن.

١ "كاروان إعان وعزيت" بالأردية ص : ١٣٤.

٢ - كان هؤلاء المشايخ الثلاثة من أ杰لة العلماء الربانيين والمشايخ الكبار الذين استفادوا من السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، وصاروا من خلفائه، فكان الشيخ محمد بن أعلى النصيرآبادي (م ١٢٨٦هـ) من أسرة الإمام الشهيد، وتلميذ الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدهلوi، وكان الشيخ سخاوت علي الجونفوري من العلماء الذين يرجع إليه الفضل الكبير في نشر العلم والدين وإزالة المنكرات والدعوة إلى التوحيد الخالص، أنشأ المدارس وعمر المساجد وقضى ملة في الحرمين الشريفين، ثم رجع إلى وطنه، ثم هاجر إلى مكة المكرمة، وتوفي بها سنة ١٢٧٤هـ، أما الشيخ محمد يعقوب بن أفضل العمري الدهلوi شقيق الشيخ العلامة الحدث محمد إسحاق بن أفضل العمري الدهلوi فكان عالماً محدثاً جليلاً، أخذ عن جله من جهة الأم الشيخ عبد العزيز الدهلوi في العلم والسلوك، واستفاد من الشيخ الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، وكان من كبار أنصار دعوته وحركته في الهند، كما كان شقيقه الشيخ محمد إسحاق وهاجر هو وشقيقه إلى مكة المكرمة، وتوفي بها ١٢٨٢هـ.

فكان يقوم بجولات دعوية وإصلاحية في أمكنته المختلفة ، ويلقي الكلمات ، ويدعو الناس إلى التوحيد الخالص ، ونبذ البدع ، وبيان الناس عليها ، فتاب على يديه وبايعه عدد كبير من الناس لا يخصهم إلا الله ، وكانت الأمكنته التي اختلف إليها كثيرا ، وتأثرت به لا تزال هناك بقايا تلك الآثار الدينية ، ولا توجد فيها بدع إلى حد كبير ، وهذا لأجل دعوته وجهاده ، وكتب الشيخ فخر الدين الحسني الذي كان خليفة وقربيه يقول في كتاب "مهر جهان تاب بالفارسية" إنه أكمل ما بدأه الإمام الشهيد كالأنبياء الذين قاموا بإيجراء الأحكام الشرعية التي جاء بها المرسلون ، فإنه أتم ما شرعه الإمام مجدد القرن الثالث عشر أحمد بن عرفان الشهيد ، واشترك معه في منصب التجديد ، كما أنه يمكن أن يوجد نبيان في عهد واحد كذا يمكن أن يوجد مجددان في عهد واحد ، ويصدقه الحديث "علماء أمتي كأنبياءبني إسرائيل".

وكان شديد التمسك بالكتاب والسنّة ، والاتباع الكامل لهما ، فقد كتب في إحدى رسائله عن البيعة :

"إنما المقصود من البيعة على أيدي المشايخ هو أن يحصل على طريق رضا الله سبحانه ، ورضاه منحصر في اتباع الشريعة الغراء ، فمن يدعي أنه يحصل على رضا الله عزوجل في غير الشريعة الغراء فإنه كاذب وضال ، ودعواه باطل غير مقبول ، إن أساس الشريعة قائم على الشيدين ، الأول ترك الإشراك بالله ، والثاني : ترك البدع والمحظيات ، لابد أن يأخذ طريقة خاتم النبيين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع العبادات والمعاملات ، وفي الأمور المعاشرة منها والمعادية".

يقول الشيخ عبد الحفيظ الحسني صاحب كتاب "الإعلام" من في تاريخ الهند من الأعلام :

"وكان رحمة الله في التقوى والديانة، واتباع الحق، والاقتداء بالدليل، ورد الشرك والبدع آية باهرة وقدوة كاملة ونعمه ظاهرة من الله سبحانه، وكان معظمًا لحرمات الله، دائم الابتهاج، كثير الاستعانة، قوي التوكيل، ثابت الجأش، قوي النسبة، ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وتأله ولهمج بالذكر، وشغف بالمحبة والإنابة والافتخار إلى الله تعالى والإنسار له، والإطراح بين يديه على عتبة عبوديته، لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يهاب أحداً في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر".

توفي يوم الثلاثاء جمادي الأولى سنة ١٢٨٩ في نصيرآباد بمديرية رائي بربلي، وكان عمره ثمانية وأربعين سنة.

أخذ عنه أبناء أستاذ الشیخ سخاوت على الجونفوري، والشیخ عرفان بن يوسف الحسني الطوکي<sup>١</sup>، والشیخ ضیاء النبی ابن سعید الدین الحسني الرائی بربلی، والشیخ فخر الدین بن عبد العلی الحسني<sup>٢</sup>، وكثیر من العلماء والمشايخ الذين قاموا بدور فعال في مجال الدعوة، ورفع رأیة التوحید والسنۃ اقتداء لآثار شیخهم .

### الشیخ ضیاء النبی الحسني

وقد وصف الشیخ عبد الحی الحسني الشیخ ضیاء النبی الذي

١ - هو سیط الإمام أحمد بن عرفان الشهید، جمع العلم والعمل والشعر والزهد والفصاحة، والورع والعبادة، والسداد في الروایة، له بالعربیة شعر رقيق، سهل التركيب منسجم الألفاظ عنذ النظم، وكان تذکاراً للسلف في الخشیة والربانیة، توفي يوم الجمعة سنة ١٣٣٢ هـ بلدة طوک.<sup>٣</sup>

٢ - يقول نجله العلامة الشیخ عبد الحی الحسني في كتابه "الإعلام" لازم السيد خواجه أحمد بن محمد یسین النصیرآبادی كان ابن حالة أبيه وزوج عمه وأجزاء الشیخ بجمع مرویاته ومسمو عاته ومقرؤاته .

كان خليفة الشيخ خواجة أحمد النصير آبادي بالألفاظ الآتية :  
"بركة الدنيا ، وسر الوجود ، ولب بباب العرفان ، كان آية  
من آيات الله ."

والشيخ ضياء النبي ولد في زاوية جده السيد علم الله الحسني  
 حوالي سنة ١٢٤٣ هـ ، ونشأ في تصنون تمام وعفاف وتقاله ، وقرأ شيئاً  
 نزراً من العلوم في بلاده ، ثم سافر إلى دهلي ، وأدرك بها الشيخ أحمد  
 سعيد وصنه الشيخ عبد الغني بن أبي سعيد العمري الدهلوي ، ثم  
 رجع إلى الوطن ، وقرأ بعض الكتب الدراسية على الشيخ الفتى سعد  
 الله المراد آبادي في لكانؤ ، وغيره من العلماء ، ثم أخذ الطريقة عن  
 السيد الشريف خواجة أحمد بن محمد ياسين النصير آبادي ، وصحبه  
 مدة من الزمن في نصير آباد ، وبعد وفاته لازم صحبة صاحبه الخواجة  
 فيض الله الأورنج آبادي ، ثم سافر إلى الحجاز ، فلما رجع إلى بلاده  
 كثرت الوفود عليه من العلماء والمشايخ ، وأخذوا عنه الطريقة ، منهم  
 الشيخ أبو الحيزير بن سخاوت علي العمري الجونيوري ، والسيد محمد  
 أمين بن محمد طه النصير آبادي وغيرهما .

كان قوي الإفاضة على المستفيدين والمستشارين ، فوي  
 النسبة ، يشعر الذين يجالسونه ويستفيدون منه بحلو في الصلاة ،  
 والدعاء ، وحب الله ولرسوله ، وتغير أحوالهم ، يوالى من والي الله ،  
 ويهجر من هجر الله ورسوله ، ولا يداهن في دين الله أحداً ، ولا يرعى  
 في ذلك حقاً وحرمة ، من رأه أو عاشره عرف أن الله خلقاً خلقهم  
 للأخرة ، وصدق قوله تعالى : «إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار»  
 [سورة ص : ٤٦] توفي سنة ١٣٢٦ هـ ، أعقب ابنين أحمد سعيد ، وعبيد

- "الإعلام بن في تاريخ الهند من الأعلام" ج ٨

الله، وخمس بنات، ومن أبرزهم السيدة خير النساء "بهر" ١.

**الشيخ محمد أمين النصيري آبادي**

وقد انتقلت طريقة وحميته الدينية إلى مسترشه الشيخ السيد محمد أمين بن طه النصيري آبادي الذي طبق صيته الآفاق، واهتدى على يده الآلاف، وصحت توبتهم، ولا تزال آثار دعوته تلاحظ في المناطق التي زارها، وقد جدد ذكريات خلفاء الإمام أحمد بن عرفان الشهيد في مكافحة البدع والخرافات، وإحياء السنة، ورفع كلمة الحق، وقد قضى حياته كلها بعد إكمال دراسته على كبار علماء عصره، في الدعوة إلى الله، أخذ الطريقة عن الشيخ ضياء النبي، ثم سافر إلى الحجاز، وأسند الحديث عن مشايخ الحرمين الشرفين، ثم رجع إلى الهند، وتتصدر للتدريس والتذكير، فانتفع به خلق لا يحصون بجد وعد، وصلاحت أحوالهم ، وهجروا البدع والعوائد الجاهلية، والشعائر الوثنية ، والتزموا الصلاة والصيام ، وتابوا عن كثير من المحرمات الشرعية كالربا وأكل الحرام ، وصنع الضرائخ من القرطاس تقليدا للشيعية ، كان شديدا على أهل البدع والرفض ، متورعا في الأكل ، وكان يأبى الدخول في محاكم الإنجليز ، وكان عملا بالحديث المشهور "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم

١- السيدة خير النساء بنت الشيخ ضياء النبي الحسني هي أم علامة عصرنا وإمامتنا، الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوبي، وزوجة العلامة عبد الحفيظ الحسني صاحب "الأعلام مبن في الهند من الأعلام"، وكانت مثل الرابعة البصرية في التقوى ، والتورع والدعاء ، والابتهاج إلى الله ، وخدمة الخلق ، ولها دور كبير في تربية ولدها الوحيد الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوبي بعد وفاة والده ، ولم يتجاوز عمره تسعة سنوات ، وكانت أدبية شاعرة . توفيت سنة ١٣٨٨هـ ، في دارة الشيخ عالم الله الحسني بمديرية رانى بربيلى الهند .

يستطيع فبلسانه ، فإن لم يستطع فقلبه ، وذلك أضعف الإيمان " وكانت له مهابة على النفوس ، ويحكي من عاصره أو لقي من عاصره غرائب في المرأة ، وصراحة القول ، وكثرة التجوال للدعوة ، وإحقاق الحق ، توفي في ١٣٤٩ هـ.

وحياة الشيخ محمد أمين النصير آبادي تدل على أن تأثير حركة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد لم يكن مقصوراً على عصره ، بل تأثرت به أكثر من ثلاثة أجيال ، ولا تزال آثارها تلمس في حياة الدعاة والصالحين والعلماء والباحثين .  
اللهم ارحمهم واحشرنا معهم .



## الباب الثامن

### **كتب المراجع عن الإمام السيد أحمد بن عرفان الشهيد للمعاصرين وبعض مفالطات الكتاب في العصر الحديث**

إن الاهتمام الذي أبداه الكتاب بحياة الإمام الشهيد الذي استشهد في ٦ / من مايو ١٨٣٠ م - ١٧ / من ذي القعدة ١٤٦ هـ في "بالاكوت" وتسجيل كل حادث صغير وكبير، له علاقة بحياته، يتذكر أن يلاحظ في تخليد حياة أي مصلح أو زعيم خلال القرون الأخيرة الماضية، ويستحق أن يذكر في هذا المجال مجاهودان.

مجاهود بذل بطريقة منتظمة واجتماعية بأمر النواب وزير الدولة أمير إمارة طوك فور شهادة الإمام حيث اجتمع لفيف من أصحاب الإمام في طوك من الذين لازموا صحبته مدة طويلة، وشاركوا في عمليات حرية معه، وتعرفوا عليه عن كثب، وكانوا معه ليلاً ونهاراً، فسجلوا انطباعاتهم ومعلوماتهم، والأحداث التي شاهدوها بأم أعينهم، ولعله أول عمل مجمعي (ACADEMIC) تحقق، وهذا السجل الحافل للواقع المخطوط يعرف بـ "وقائع أحمدي" وهو في أربعة مجلدات كبار، وهي محفوظة في مكتبة ندوة العلماء.

والسفر الآخر المؤتوق به هو الذي ألفه السيد جعفر على النقوي الحسيني (م ١٢٨٨هـ) بالفارسية باسم "منظورة السعداء في أحوال الغزا والشهداء"، وينحدر مؤلف هذا السفر القيم من أسرة سادات وعلماء في مديرية "كوركهبور" السابقة، وهي تعرف الآن بـ "بستي" وكان عالماً كبيراً وأديباً في الفارسية، واشترك في jihad بنفسه، وكان السيد أحمد بن عرفان الشهيد أسنده إليه منصب "باشكاتب" للجيش، وفي ذلك ما يضمن معرفته الدقيقة، ومسايرته الخشنة للأحداث ومجاري الأمور، ويؤمن صدق تسجيله ، وكل ذلك مضافاً إلى ما ألفه رفقة الإمام الشهيد، ومن أدركهم في هذا الموضوع باللغة الأردية والفارسية.

واستفاد المصنفوون التأخرون عن حياة الإمام برسائله التي طبعت في مجلد ضخم بعنوان "مكاتب سيد أحمد شهيد" بالفارسية، وهو خير سفر في هذا الموضوع ، وخير دال على جهود الإمام وما ثر في jihad، نشره الشيخ نفيس الحسيني (أحد كبار المشايخ بباكستان) بمجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد بلاهور<sup>١</sup>.

وأجمع كتاب وأكمله على الموضوع كتاب "سيد أحمد شهيد" للكاتب البالكتاني الكبير وأديب الأردية المشهور المرحوم الأستاذ "غلام رسول مهر" رئيس تحرير صحيفة "انقلاب" (سابقاً) في أربعة مجلدات ضخام، مجموع صفحاته ١٩٢١ ، ويکاد يكون هذا الكتاب

<sup>١</sup> - وكذلك استفاد الكتاب والباحثون عن حياة الإمام الشهيد من رسائل ابن أخيه السيد حميد الدين الطوكي ، ومن الكتب الأخرى المهمة في هذا الموضوع التي استفاد منها المصنفوون والمحققون "مخزن أحمرى" للسيد محمد علي الطوكي ابن اخت السيد الإمام ، و "سوانح أحمرى" للشيخ محمد جعفر التهانيسري من الأتباع لمستشاري الإمام الشهيد .

موسوعة في سيرة هذا الإمام، وحركته ودعوته، والتعريف بجماعته وكبار أصحابه، وقد طبع في "لاهور" وتلقى بالقبول والاعناية في الأوساط العلمية والأدبية.

وكتاب "سيرة سيد أحمد شهيد" للعلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي (م ١٤٢٠ هـ) أوثق وأوسع كتاب في حياة الإمام باللغة الأرديّة وقد كتب له الباحثة الإسلامي الكبير العلامة الدكتور السيد سليمان الندوي رئيس مجمع دار المصنفين (في أعظم كراهـ الهند) مقدمة بلغة لها مكانة في كتاباته الأدبية، والكتاب في مجلدين ضخمين مجموع صفحاتها ١٤٥١ صفحة، والكتاب من بين بعدة خرائط تاريخية ذات قيمة، وصور فوتوغرافية للأماكن الأثرية والوثائق التاريخية.

وكتاب "سيد أحمد شهيد" (SYED AHMAD SHAHEED) باللغة الإنجليزية في الأسلوب العصري الحديث مؤسساً على دراسة واسعة، وعلى وثائق تاريخية، وتقارير رسمية، وشهادات أجنبية لصاحبـه السيد محي الدين، أصدره المجمع الإسلامي العلمي في لكتاؤـ الهند، ويقع في ٤٢٧ صفحة بالقطع الكبير، والحرف الدقيق، هذا عدا ما ظهر من البحوث والرسائل العلمية، والكتب الكبيرة في باكستان وأوروبا وأمريكا.

ولكن مكتبة اللغة العربية لا تزال قليلة البضاعة في هذا الموضوع، وقد بقي العالم العربي على عدم معرفة هذه الشخصية الفذة، والأعلام من جماعته المخلصة، وأهمية دعوته وحركته زمناً طويلاً، ولعل أول مجهود بذل في هذا السبيل هو مقال الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي الذي نشره المرحوم العلامة السيد رشيد رضا في مجلته العالمية "النار" الغراء في سنة ١٣٤٩ هـ - ١٣٥٠ هـ.

(١٩٣٠م)<sup>١</sup>، واهتم بهذا المقال، فنشره كرسالة مفردة أسمها "ترجمة السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد" مجدد القرن الثالث عشر<sup>٢</sup>، ونفذت في مدة قريبة.

وكتاب متوسط في أسلوب قصصي شائق، جمع فيه الشيخ الندوى حكايات من تاريخ هذه الحركة الكبيرة، وصاحبها العظيم، تلقى الضوء على مراميه البعيدة، وتأثيره العميق، وأخلاق من صحبه وتأثر به، مع استعراض محمل لتاريخ هذه الدعوة، ومراحل حياة صاحبها وأسماء "إذا هبت ريح الإيمان"، نال القبول العام، وصدرت له عدة طبعات من بيروت، والكويت، ودمشق والهند وباكستان<sup>٣</sup>.

ومن سوء الحظ تأثر بعض الكتاب العرب بكتابات حملة القلم في الغرب الذين يعادون كل مصلح وداع إلى الحق، ومجاهد في سبيل الله، ونقدم فيما يلي بعض الأمثلة التي تلقى الضوء على هذا الموقف المضلل الذي اتخذه كثير من كتاب الغرب الذين اشتهروا بالتنقيب والبحث الدقيق على الموضوعات التاريخية، واختاروا ذلك شعاراً لهم. قال "هيوكس" THOMAS PATRIK HUGHES في "قاموس الإسلام"

"الوهابية" في مقال DICTIONARY OF ISLAM

<sup>١</sup>- ظهرت الحلقة الأولى من هذه السلسلة في مجلة "النار" عند ذي الحجة سنة ١٣٤٩هـ مايو سنة ١٩٣١م.

<sup>٢</sup>- تقع في أربعين صفحة، وطبعت في مطبعة "النار" مصر.

<sup>٣</sup>- وللشيخ أبي الحسن الندوى كتاب آخر "الإمام الذي لم يوف حقه من الإنفاق والاعتراف" بالعربية في رد مغالطات كتاب العصر الحديث والمستشرقين، طبعه الجمع الإسلامي العلمي بلكتناو، ويجب أن ينوه هنا بفضل أديب العربية الكبير والكاتب القدير الشهير الأستاذ علي الطنطاوي (م١٩٩٩م) فيكتبه "أحمد بن عرفان الشهيد" في (٤١) صفحة صدر سنة ١٢٨٠هـ في سلسلة "أعلام التاريخ" من دمشق، وهو أول جهد بذلك أحد كتاب العرب.

"ثم لما توجه رجل مضطرب قلق من الهند إلى مكة للحج للتکفير عن ذنبه، قبل تأثير المبشرین الوهابیین هناك الذين كانوا ينشرون دعویتهم الوهابیة سریا في الحجاج، عاد اللص، وقاطع الطريق السيد أحمد الذي ينحدر أصله من "رأئي بريلي" بعد تأدیة مراسم الحج في مكة عام ١٨٢٢م بعزم إعادة الهند الشمالية بکاملها إلى رایة الإسلام".

وقال "أولف كیرو" (OLAF CAROE) في مقاله THE PATHAN) "الأفغان" صفحة ٣٠١ :

"كان السيد أحمد متبعاً لأمير خان الذليل في زمانه، والذي كان حشد قوات مرتزقة في وسط الهند خلال عمليات الإنجليز ضد البندار" وبعد أن تشتت جيش أمير خان فقد السيد أحمد وظيفته".

ويقول (P.HARDY) في مقال "المسلمون في الهند البريطانية" (THE MUSLIMS OF BRITISH INDIA) ص ٥١ :

"ولد السيد أحمد في أسرة غريبة، لعلها كانت مكونة من أفراد يعيشون على وظائف عادية، وقضى حياة بين ١٨٠٩-١٨١٨م كجندي في جيش الأمیر خان البنداري، الذي صار فيما بعد أمیر تونك، ولعله لم يكن يتمیز بشيء خلال هذه المدة عن غيره من اللصوص البندار".

ويقول هنتر (W.W.HUNTER) الذي كان موظفاً مدنياً مسؤولاً مدة طويلة في الهند في كتاب "المسلمون الهنود" (OUR INDIAN MUSALMANS) ص ٦١-٦٢ :

"وطرد السيد أحمد بتهمة كونه وهابياً بذلة وإهانة من مكة" وقال في صفحة ٢٤ : وهكذا وصل إلى "بومبائی" في العام الثاني متستراً في ملابس الحاج، ليكتم حياته التي قضتها كقطاع طريق".

هذه هي بعض النماذج النادرة لكتاب التاريخ المتحضرين "الباحثين المحققين" التي تتم عن الكتابة بدون مسئولية وتحرر، ولم يكن ذلك يتوقع من المؤرخين للقرن العشرين الذين توفر لديهم تسهيلات السفر، وفرص الحصول على معلومات دقيقة، والبحث عن الواقع طبقاً للمبادئ المقررة للتاريخ.

إن بعض كتاب الشرق الأوسط وأسيا الذين كتبوا عن الوهابية والمهدوية، وحركة الجهاد في الهند، قد حذوا حذوهم، وقلدوهم تقليداً أعمى، واعتمدوا على هذه المصادر، ولم يأتوا بشيء من تلقاء أنفسهم سوى نقل ما كتبه هؤلاء المؤرخون الأوربيون.

وما يزيد في العجب والشكوى صنيع أولئك الكتاب الذين كان يمكنهم الحصول على معلومات صحيحة عن طريق الاستفادة - المباشر أو غير المباشر - من المواد العلمية والتاريخية في الهند، والذين كانت تربط بينهم وبين أولى الأفكار الصحيحة والاتجاهات السديدة من علماء الهند، والمؤسسات والمراکز العلمية والدينية صلات وثيقة، وقد جربوا ما نسجته الأغراض السياسية والعصبية الخزية من افتراءات وأكاذيب ضد المصلح الديني العظيم في القرن الثاني عشر الهجري الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله (م ١٢٠٦هـ)، تراكم لأجلها الغبار الكثيف على شخصيته، وأعماله، وقد احتجوا فعلاً ضد هذا الموقف، وانتقدوه ونددوا به.

وإليك قطعة كنموذج من كتاب "الشيخ محمد بن عبد الوهاب" :  
" كذلك غزت الدعوة بعض المقاطعات الهندية بواسطة أحد الحجاج

<sup>١</sup> - تأليف العلامة أحمد بن حجر آل أبوطا مي بن علي قاضي المحكمة الشرعية بقططر، وقد قدم له وصححه سلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الباز، وقامت بطبعه ونشره المملكة العربية السعودية في مطبعتها الحكومية بمكة المكرمة عام ١٣٩٥هـ ص ٨٨-٨٩.

الهند وهو السيد أحمد، وقد كان هذا الرجل من أمراء الهند، وذهب إلى الحجاز لأداء فريضة الحج بعد أن اعتنق الإسلام<sup>١</sup> سنة ١٨١٦ م، فلما التقى بالوهابيين في مكة اقتنع بصحة ما يدعون إليه، وأصبح من دعاة المذهب الذين تملّكهم الإيمان، وسيطرت عليهم العقيدة<sup>"الخ."</sup>

إنها في الواقع نتيجة مؤلمة ومؤسفة للتطفل على مائدة الكتاب الأوليئين، والثقة الكاملة بكل ما يقولون ويكتبون، وعدم السعي وراء البحث والتنقيب عن الحق بطريق مباشر، وقد وقع فريسة هذه السطحية، والتقليد الأعمى الدكتور أحمد أمين<sup>٢</sup> الكاتب والأديب المصري المشهور، صاحب سلسلة "فجر الإسلام" وضحى الإسلام الشهيرة، وبعض الكتاب العرب الآخرين الذين اقتصروا في استنادهم على المراجع الإنجليزية، والفرنسية فحسب، واعتمدوا عليها كلياً. يدل على ذلك ما قاله الدكتور أحمد أمين في كتابه "زعماء الإصلاح في العصر الحديث" في ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمة الله، وقد جاء فيه:

"وَقَامَ فِي الْهَنْدِ زَعِيمٌ وَهَابِيًّا اسْمُهُ السَّيِّدُ أَحْمَدُ، حَجَّ سَنَةَ ١٨٢٢ م، هُنَاكَ آمِنٌ بِالْمَذْهَبِ الْوَهَابِيِّ، وَعَادَ إِلَى بِلَادِهِ، فَنَشَرَ هَذِهِ الدُّعْوَةِ فِي "بَنْجَابَ" ، وَأَنْشَأَ بَهَا شَبِهَ دُولَةً وَهَابِيَّةً، وَأَخْذَ سُلْطَانَهُ يَمْتَدُ حَتَّى هَدَدَ شَمَالَ الْهَنْدِ، وَأَقَامَ حَرِبًا عَوَانًا عَلَى الْبَدْعِ وَالْخَرَافَاتِ، وَهَاجَمَ الْوَعَاظَ وَرِجَالَ الدِّينِ هُنَاكَ، وَأَعْلَنَ الْجَهَادَ ضِدَّ مَنْ لَمْ يَعْتَنِقْ

<sup>١</sup> - لم يتبه المؤلف وهو يكتب بقلمه كلمة "السيد" لأن الرجل كان مسلماً قد ورث الإسلام كابرًا عن كابر فما معنى اعتناقـه - يا ترى - للإسلام بعد؟

<sup>٢</sup> - ص ٧٨-٧٩ واقرأ أيضًا ص ١٩ من الكتاب فقد مضى المؤلف يتحدث عن السيد أحد الشهيد رحمة الله وحركته على نفس هذا الغرار.

<sup>٣</sup> - اقرأ كتابه "المهدوية والمهدويون"

مذهبه ويقبل دعوته، وإن الهند دار حرب، ولقيت الحكومة الإنجليزية متابع كثيرة شاقة من أتباعه حتى استطاعت إخضاعهم<sup>١</sup>.

ولعل عدد الأخطاء التاريخية - إذا لم نقل المغالطات - في هذه القطعة الصغيرة لا يقل عن عدد السطور التي اشتملت عليها، وهي من الوضوح يمكن لا تحتاج فيه إلى نفي ومناقشة، يعرف ذلك بداعه من كان له إمام قليل بسيرة هذا الإمام، وتاريخ دعوته وجهاده، ومن كان له اطلاع عابر على تاريخ الهند في هذه الفترة الزمنية، وما ذلك إلا لأن معلوماته مستعارة، أو مستقاة من مصدر إنجليزي، عول عليه كلياً، ولم ير حاجة إلى أن يدرس سيرة الرجل، وتاريخ دعوته وجهاده، دراسة وافية أصيلة، أو يذاكر في هذا الموضوع من له خبرة به من رجال الهند، والعلماء الذين كانوا يزورون مصر بين حين وآخر، ولو فعل ذلك لوضعه في طليعة "زعماء الإصلاح في العصر الحديث" بدل سيد أحمد خان صاحب حركة التعليم العصري الغربي في الهند، والسيد أمير علي صاحب كتاب (SPIRIT OF ISLAM) "روح الإسلام" وأمثال هذه الكتابات للكتاب العربي المسلمين، تجعل الإنسان ينشد قول الشاعر العربي:

<sup>١</sup>- زعماء الإصلاح في العصر الحديث ص ٢١

- وقد نبه الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوبي على ذلك شخصياً في بعض لقاءاته معه في مصر في يناير سنة ١٩٥١م ، وقد جرى الحديث عن كتابه المذكور ونبهه على مكانة الإمام السيد أحمد الشهيد والعلامة محمد إسماعيل الشهيد وعلى الأخطاء التي صدرت من قلمه في ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حين تحدث عن الشيخ أحمد الشهيد ، فاعترف أن معلوماته عنهما غير وافية ، وأنه لم يعرف مكانتهما الحقيقية في تاريخ الفكر الإسلامي ، والتأثير على حياة المسلمين في الهند . (راجع كتاب مذكرات سائع في الشرق العربي "ص ٣٧ ملاحظاته عن كتابه" زعماء الإصلاح في العصر الحديث")

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة  
على النفس من وقع الحسام المهند

ولا أدل على عظمة المرء وجلالة شأنه ، ومكانته الحقيقية من شهادات أولى الرأي والفكر من معاصريه ، فإليك نبدأ من شهاداتهم : يقول أحد الكتاب والمؤرخين الهنود ، الذي طبق صيته الشرق والغرب ، وهو المؤلف الكبير النواب السيد صديق حسن خان (أمير بوفال م ١٣٠٧ هـ) ذلك الذي شهد بأم عينيه تأثير تعليم السيد وتربيته ، وعاشر طائفة من أولئك الأفراد الذين تربوا في مدرسته مباشرة ، وذلك في كتابه " تقصير جيود الأحرار " :

" إنه كان آية من آيات الله في هداية عباده ، وإصلاح حالهم ، والرجوع بهم إلى الله وعبادته ، بلغ خلق كثير ، وعالم بأسره إلى درجة الريانية والإحسان بتعليمه وتربيته ، وتزكيته القلبية والجسمية ، وتطهرت الهند من أدناس الشرك والبدع ، والخرافات والأوهام بفضل مواعظ أ أصحابه وخلفائه ، واهتدت إلى جادة الكتاب والسنة ، ولا تزال مواعظه وتعاليمه تفعل فعلها ، وتؤتي أكلها ".  
ويضيف قائلاً :

" وقصيرى القول : إننا لا نعلم رجالاً يدانىهم في جلالة شأنه وفضله ، في أي جزء من أجزاء العالم المعاصر ، وما جناه الخلق من المنافع الإيمانية ، والمكاسب الروحية من هذه الجماعة الحقة ، لم ينالوا عشر أضعاره من العلماء والمشايخ المعاصرين الآخرين ".

ويقول علامة عصره ، وأستاذ أستاذة عهده ، الشيخ حيدر علي الرامفورى الطونكى (م ١٢٧٣ هـ) أحد تلاميذ الإمام الشیخ عبد العزیز بن ولی الله الدھلوی فی رسالتہ : " صيانة الناس عن وسوسۃ الخناس " .

"أشرق نور إصلاحه وتربيته كأشعة الشمس بكل قوة ودفعه على البلاد، وفي قلوب العباد، وجعل يتقاطر عليه من الناس من كتب لهم الله السعادة في الأزل ويتربون من الشرك والبدع، التي كانوا قد وقعوا فريستها، وعاشوا فيها كعامة الناس في عصرهم، فتمسّكوا بأهداب التوحيد والكتاب والسنّة، وقام خلفاؤه وأتباعه المؤمنون بجولات واسعة في البلدان والقرى، وهدوا مئات الآلوف من الناس إلى منهج الشريعة الحمديّة. على صاحبها الصلاة والسلام. فمن حالفهم التوفيق الإلهي، و كانوا سعداء أخذوا يسيرون على الدرب القويم، ويث أتباعه في جميع النواحي حتى يواصلوا القيام بالتربيّة والإرشاد، وتلقين التوجيه، والذين كانوا يكرهون الصلاة والصيام، ويتعاطون الحشيش، وكان الخمر والأشربة المحرمة قوام حياتهم، ويصدعون على رؤوس المحافل وال المجالس - سخرية واستهزاءً - بأن الصلاة لم تأمر بها الشركة الهندية الشرقيّة الحاكمة في الهند، وأن الصيام لم يفرضه مجلس (حكومي) فضلاً عن الزكاة والحجّ، وكانت الرشوة، والزنا، وإيذاء عباد الله، والربا، شغفهم الشاغل، وقد عم الاختلاط فيما بين الرجل والمرأة دون نكاح شرعي، كالبهائم والأنعام مما كثربه أولاد الزنا، وكان هناك مئات من الشباب والشيخوخ لم يختتنوا كاليهود والنصارى، فتاب هؤلاء وأولئك كلهم بفضل تعليم السيد وتربيته عن ذنوبهم، واستغفروا الله، وتناكحوا، واختتنوا، وعادوا إلى حياة الطهر والصفاء، والعلفة والحياة، وحسنّت توبتهم، وصاروا أنقياء يخافون الله، وكان يباعيده في وقت واحد عشرة آلاف من الناس، وقد اعتنق الإسلام بفضل جهوده الإصلاحية والتربية كثير من الهندوادك والشيعة، ومن يمارسون "اليونغا" (الرياضات الهندوادكية)، وصدقوا في إسلامهم، وأخلصوا في إيمانهم، حتى حضره سرياً بعض النصارى،

وأسلموا على يديه دون أن يشعروا بذلك قومهم، وأقبلآلاف العلماء - بعد ما تخرجوا عليه في التربية والإحسان - على إصلاح الخلق، فمنهم من اخذ الإرشاد والإصلاح، والتربية والتزكية شعاره ودثاره، ومنهم من انقطع كلياً إلى وضع الكتب الدينية، وتفسير الآيات القرآنية، وشرح الأحاديث النبوية، وألفوا وصنفوا، ونشروا كتباً ورسائل في لغتهم الأم، ترحب الناس في العبادة ، وترهبون من المعاصي ، وبذلك جعلوا كثيراً من الجهلاء - الذين كانوا لا يستطيعون أن يتلفظوا بكلمة الإسلام صحيحة - علماء يعرفون الدين والإسلام ، ومنهم من سلكوا الطريقين معاً<sup>١</sup>

ويقول أحد العلماء في أوائل هذا القرن الذين لهم خبرة واسعة بأحوال الهند ، وأخبارها وهو الشيخ عبد الأحد :

" أسلم على يدي السيد أحمد رحمة الله أكثر من أربعين ألف هندوكي ، وغير هندوكي من الكفار ، وبابايه ثلاثة ملايين من المسلمين ، ولو وضعنا في الاعتبار سلسلة البيعة والإرشاد التي لا تزال متصلة الحلقات ، وتجري حتى اليوم على أرض الله ، عن طريق أتباعه ، وأتباع أتباعه ، ليكون قد دخل في بيته ملايين الملايين من الناس " <sup>٢</sup> .

ويقول العالم الرباني الشهير المجاهد في سبيل الله الشيخ ولايت علي العظيم آبادي رحمة الله (م ١٢٦٩هـ) :

" ما إن دوت دعوته في الهند ، إلا وجعل الناس يترامون عليه ترامي الفراش على التور ، حتى كان ببابايه عشرةآلاف نسمة في يوم واحد ، وتكثرت الجماعة بمر الأيام وتوسعت ، وانسلخآلاف الناس

<sup>١</sup> - صيانة الناس عن وسوسة الخناس طبع ١٢٧٠هـ ص ٤-٥-٦ .

<sup>٢</sup> - "سوانح أحدي" للشيخ محمد جعفر التهانيسري .

عن دياناتهم الباطلة، ودخلوا في الإسلام، وبايده في مدة ستة أعوام فحسب ثلاثة ملايين من المسلمين الهنود، بالإضافة إلى نحو مائة ألف رجل بايده خلال رحلته للحج والزيارة، والذين بايده كانوا فيهم آلاف من العلماء والفقهاء، ومئات من حفاظ القرآن الكريم، ومئات من رجال الإفتاء والقضاء، وكثير من أولي التجربة والحنكة الذين ساحروا وطوفوا وجربوا الخلود والمر، مما يدل دلالة واضحة على مدى ما كان يتمتع به من حسن القبول، والتأييد العجيب من الله، فكان تجذب إليه قلوب الناس المجدب الحديد إلى المغناطيس، وبايده منهندفين راغبين<sup>١</sup>.

ويضي قائلًا: وهو يتحدث عن تأثير هذه الدعوة، وما أحدثه من تغيرات عميقة في الحياة والمجتمع :

«قوة هذه الجماعة الإيمانية وتأثيرها تسترعي الانتباه، فكل من انضم إليها بالإخلاص، وترشّف بالبيعة عاد من ساعته يكره الدنيا، ويقبل إلى الآخرة، ويخاف يوم الحساب، ولا تزال تزداد كيفيته هذه يوماً فيوماً، ويتخلى عن كل معانٍ الشرك والبدع، ويرسخ في قلبه العظمة والمحبة لله، وتأخذ بمجامع قلبه معانٍ الإجلال والإكبار والاحترام نحو الشّرع الإسلامي، والحنين إلى الصلاة، والكراهية لكل من ينحرف عن طريق الله، ولو كان أباً، أو جده، أو ابنه وبناته، أو تلميذه، أو أستاذه، أيا كان، فإن مخافة الله تأخذ من قلبه كل مأخذ، فلا يبقى فيه مجال للمجاملة أو المداراة، وكثير من الناس قد انقطعوا عن وظائفهم، وأعرضوا عن حرفهم إذا كانت غير مباحة لدى الشريعة الإسلامية، وكم منهم من هجر راحته ووطنه، وخرج لله لا

<sup>١</sup>- رسالة الدعوة المختصرة للرسائل التسع للشيخ ولد علي العظيم آبادي رحمه الله ص : ٦٥

يلوي على شيء، وأقبل إلى الصلاة والعبادة بفضل هذه الجماعة عالم من الناس، حتى أصبح المضللون والخرافيون يؤكدون على أتباعهم الصلاة خافة أن ينفضوا من حولهم<sup>١</sup>

وهناك عدد من الكتاب ورجال القلم الغربيين الذين اعترفوا - إلى جانب الخطأ في الفهم أو تقول الكذب عن تعمد وإرادة - بالتأثير الخالد العميق البعيد المدى لحركة السيد أحمد الإصلاحية والجهادية، وتعلمه وتربيته، وبعظامه مقاصده وأهدافه، وضخامتها وأصالتها.

يقول الكاتب الأوروبي المعاصر: "اسمـت" (W.C.SMITH) الذي درس الحركات والمؤسسات التي ظهرت في البلاد الإسلامية دراسة وافية في كتابه (ISLAM IN MODERN HISTORY) "الإسلام في التاريخ المعاصر".

"إلا أن الهدف المنشود من وراء الحركة، وقوتها الشديدة ذات الحيوية، قد بقيت تفعل فعلها على طريقة أشمل وأبقى، كان من الممكن أن يضغط على محاولة إجلاء الكفار، وقد أخذمت هذه المحاولة فعلاً، ولكن كان من المستحيل أن يقضى على محاولة إحياء المجتمع الإسلامي، والعود به إلى سيرته الأولى، وذلك يدل على مقاصده الصحيحة، وقد ظلت فكرة قوة الإسلام في الهند باقية في القرن العشرين، وظلت تسطير على المجتمع، بل وتنفس فيه الروح وتحركه<sup>٢</sup>. ويقول "هاردي" (P.HARDY) في كتابه "المسلمون في الهند

البريطانية" (THE MUSLIMS OF BRITISH INDIA) :

"لم يكن السيد أحمد يهدف إلى إعادة القوة إلى الأسرة المغولية الحاكمة، أو الطبقة الأرستقراطية المؤلفة من الأمراء والأشراف، وإنما

<sup>١</sup> - نفس المصدر ص: ٦٥.

<sup>٢</sup> - Islam in modern history طبع بنويورك ١٩٥٧ ، ص: ٥٨

كان يرمي إلى إنشاء مجتمع إسلامي مثالي على غرار المجتمع الإسلامي الأول على حدود الهند، إنه كان يعتقد أن المجتمع المثالي سيكسب المسلمين قوة تمكنهم من التغلب على الهند، وإخضاعها لله في يوم من الأيام، ولم تلق دعوته ورسالته تجاوباً لدى الطبقة العليا، وإنما استجابت لها الطبقة السفلية من المجتمع الإسلامي في الهند، وكانت هذه الطبقة - قبل قيام المجتمع الصناعي - تضم الفلاحين الصغار، ومثقفي المدن والقرى، الأساتذة والمعلمين، وبائعي الكتب، وأصحاب التجارة والدكاكين، والموظفين الرسميين الذين يشغلون وظائف عادية، وأولى الصناعات والحرف<sup>١</sup>"

وكان لهذه الجماعة ودعاتها والمشرفين على نشاطها نظام دقيق، عميق الجذور، واسع النطاق، قد شمل المناطق الشمالية من الهند، وكانت شبكة من الدعاة الدينيين، والجامعين للعشر والصدقات، والجنديين للمتطوعة للجهاد، ومربيهم تربية عسكرية، لم يطلع على تفاصيلها أحد إلا وملكته الدهشة والاستغراب، يقول أحد أعداء هذه الجماعة والحركة، وليس هنتر(W.W.HUNTER) في كتابه "المسلمون الهنود"

"كان يواصل هؤلاء جهودهم دون ملل وسأمة مثل الإرساليات المسيحية، وكانوا مخلصين متجردين عن الأغراض، وكان أسلوب حياتهم فوق كل شبهة، وكانوا يحملون مهارة على إرسال المعونات المالية والتطوعين (إلى مركز المجاهدين)، وكان هدفهم أولاً وآخرًا هو إصلاح الدين وتزكية النفوس".

"ولا يسعني أن أتحدث عنهم من غير شعور بالعظمية والاحترام"

<sup>١</sup> - المسلمون في الهند البريطانية طبع بكيمبروج ١٩٧٧، ص : ٤٥.

نحوهم، كان أكثرهم يبدؤون حياتهم كشباب أتقياء نزيهين مستعدين، ويظلون مدة حياتهم على حالهم في التفاني في الدين، وحماسهم للعقيدة، قد عهدت إلى حد تجربتي أن المبشرين "الوهابيين"<sup>١</sup> أعمق إخلاصاً وإحساناً وأقل غرضاً ذاتياً.

ويتحدث رئيس الشرطة الإنجليزي في مقاطعة بنغال عن انتشار هذه الجماعة وسلوكها:

"يلغ عدد أتباع كل مبشر من مبشري هذه الجماعة ثمانين ألف نسمة، ويعيشون فيما بينهم بمساواة كاملة، كل منهم يرى حاجة أخيه حاجته الشخصية، ولا يصد أحداً منهم عن مساعدة أخيه كلما ألمت به ملمة".

"واكتسحت الثورة جميع مديريات بنغال الشرقية، وال فلاحون المسلمون عبر طريق الكنج فيما بين "بتنة" والبحر يرسلون دعمهم المالي أسبوعياً إلى مركز "الثوار".

أما ما أثارته هذه الحركة والدعوة من روح الجهاد، والتضحية، والفاء، فلما يوجد نظيره في شبه القارة الهندية في الحاضر والغابر، يقول هنتر:

"قد ذكر لي أحد الإنجليز وهو صاحب مصنع كبير في "الولايات المتحدة لآجرة وأوده"، أن المتدينين من عمال مصنعه المسلمين يقطعون جزءاً من مرتباتهم لعسكر "ستهانه"<sup>٢</sup>، أما المتحمسون منهم فهم يقومون بالرحلة إلى "ستهانه" من حين لآخر ويقومون بالخدمة فإن كان العمال البنادك يطلبون المساحة لمارسة تقاليدهم الدينية لدى

<sup>١</sup> - "المسلمون في الهند" لوليم هنتر، الرسالة ١٠٠ ، ١٣ / ماي ١٨٤٣.

<sup>٢</sup> - هكذا اعتاد الغربيون أن يسموا هذه الجماعة ومن ناحتهم من الكتاب.

<sup>٣</sup> - مركز المجاهدين في الحدود الشمالية الغربية بعد شهادة الإمام السيد أحد.

موت آبائهم وأجدادهم، فإن المسلمين كانوا يطلبون الإجازة لعدة شهور لكي يساهموا في أداء فريضة الجهاد مع "المجاهدين" ولا يدرى أي أبو وهابي متى ينسى ابنيه المتحمس في الدين من بيته للجهاد".  
ويقول المستر جيمس أوكينيلي (JAMES OKINEALY): ولم يكن ضعاف القلوب من مسلمي بنغال، أقل من الأفغانيين في الضراوة والحماسة للجهاد".

لقد آن الأوان لتقدير هذا الإمام الكبير الذي لا ينبع إلا في  
قرون متطاولة تقييماً صحيحاً، وتحديد مكانته بدقة وأمانة في تاريخ  
الإصلاح والتجديف، وفي تاريخ الفكر الإسلامي، والبطولة  
الإسلامية، فقد أزيح السكارى عن جوانب عظمته<sup>١</sup>، وأهدافه ومراميه،  
ومخططاته الإصلاحية والجهادية، وعن سمو همته، وبعد نظره،  
وألمعاته في الزمن الأخير.

ومن فهم هذا الدين وأساغه في إطار قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتَلَوَّهُمْ أَيَّاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفْيِ ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>٢</sup>. والذي تجلت عليه آفاق هذا الدين الواسعة وأعماقه الغائرة، وأبعاده المترامية، بين عقيدة وعبادة، وأخلاق وسلوك، وتزكية وتربيـة، وصلة عميقة وثيقة بالله، وربانية قرآنية نبوية، وسياسة قوية عادلة راشدية<sup>٣</sup>، وفهم الإسلام في صورته الأولى الأصيلة التي مثلها صحابة الرسول، وتابعوهم بإحسان، (لا في صورته المجزأة الممزقة

<sup>١</sup> - أحسن ما كتب في هذا الموضوع ، وما يلقي ضوءاً على ذلك ولو بإشارة وكتابه "كتاب منصب الإمامة" العلامة الفذ محمد إسماعيل الشهيد بالفارسية .

- آن عصران: ۲۷۰

٣ - نسبة الـ الخلفاء الـ الشدـىـن .

التي انقسمت بين الظاهر والباطن، والجسم والروح، والدين والسياسة، ولا في الصورة المشوهة التي كانت انعكاساً للفلسفات الغربية، والتفكير الغربي ، ورد فعل من حيث لا يشعر به صاحبها) أنصف هذه الشخصية وأعجب بها ، وأحلها مكانها اللائق بنوابع الإسلام وأعلام التاريخ الإسلامي.

وإنما كانت سيرة هذا الرجل وفهمه للإسلام ونهوضه لإعادته إلى دعوته الأولى وقوته الأولى ، كل ذلك كان نابعاً من دراسة القرآن العميقة ، وإشعاعاً من السيرة النبوية ، وحبه العميق لها ولصاحبها ، وقد امتزج كل ذلك بلحمة ودمه ، وسرى في عروقه وجسمه ، ثم كانت تهيئة من الله وتربيته منه لشدة حاجة المجتمع الإسلامي المعاصر إلى مصلح كبير ينفع فيه روحًا جديدة ، وحياة جديدة ، ولصدق نيته وصفاء طويته وتجدده عن الأغراض وحب العلو والطموح ، وكثرة دعائه وابتهاله إلى الله ، فهو لا يقاس على القادة القوميين والزعماء السياسيين ، ومؤسسى الحكومات والدول ، ومنشئ الجماعات والحركات .

ومن تذوق "النهج النبوى الحمدى" في الأخذ والرد ، والاستحسان والاستهجان ، والأخلاق والعادات ، والعبادة والدعاء ، والسياسة والحكم ، والنهج الذي نستطيع أن نسميه المزاج النبوى ، أو الطبيعة التي يطبع عليها الأنبياء ، فيعرف ما يجيش في صدورهم ، وما يقلق بهم ، ويؤرقهم في الليل ، ويشغلهم في النهار ، ويفجر ينابيع قلوبهم ، ويجري السيل من عيونهم ، ويلهمهم الحكمة وفصل الخطاب ، ويهدي بهم كبار الضلال والمعاندين ، فمن تذوق هذا الذوق ، ملك المفتاح الذي يفتح به هذا الكنز ، ويتعرف به على هذه الشخصية الفريدة التي أغلقت على كثير من القراء ، وأبهمت على

كثير من الباحثين الذين سيطر عليهم التفكير المادي الروتيني،  
وخلعوا للمقاييس والمفاهيم والمثل العصرية.  
وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

### مقدمة

## فهرس المحتويات

٣	.....	تقديم الكتاب
١٥	.....	بين يدي الكتاب
<b>الباب الأول</b>		
٢٥	.....	<b>الإسلام والمسلمون في الهند</b>
٢٥	.....	أول من دخل في الهند - الدعاة العرب
٣٠	.....	الغزنويون يهدون السبيل إلى فتح الهند
٣٣	.....	قدوم الشيخ الإمام معين الدين الجشتى
٣٥	.....	حملات الغورى
٣٧	.....	مكانة العلماء والمشايخ لدى الملوك والأمراء
٤٠	.....	حكم المغول
٤٣	.....	تفكك السلطة السلالية
٤٥	.....	بطل المجاهد الغيور السلطان تيبو
٤٧	.....	استيلاء الشركة البريطانية
٤٨	.....	الوضع الديني والعلمي
٤٩	.....	تفكك قوة المسلمين
٥٤	.....	سيطرة الإنجليز في عصر الإمام أحمد بن عرفان
<b>الباب الثاني</b>		
٥٥	.....	<b>أسرة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد</b>
٥٥	.....	السيد قطب الدين محمد المدنى
٥٦	.....	الشيخ علم الله الحسنى
٦٠	.....	السيد محمد هدى بن الشيخ علم الله
٦٢	.....	السيد محمد نور بن السيد محمد هدى
٦٣	.....	الشيخ أبو سعيد بن محمد ضياء الحسنى
٦٤	.....	السيد محمد نعман عم الإمام الشهيد
٦٦	.....	السيد محمد عرفان والد الإمام أحمد الشهيد
٦٧	.....	السيدة نجية أم الإمام أحمد بن عرفان

٦٨	.....	الشقيقان للسيد الإمام
٦٩	.....	مزايا الأسرة
٧٩	.....	<b>الباب الثالث</b>
٧٩	.....	الإمام أحمد بن عرفة الشهيد
٨١	.....	الفصل الأول
٨١	.....	من الولادة إلى التربية
٨١	.....	مولده ونشأته
٨٢	.....	دراسته الابتدائية
٨٣	.....	شغفه الزائد بالألعاب الفروسية
٨٤	.....	رحلته إلى لكانؤ
٨٥	.....	إلى دلهي
٨٦	.....	في حضرة الشيخ عبد العزيز الدهلوi
٨٩	.....	الشيخ عبد العزيز الدهلوi
٩٧	.....	في تربية الشيخ عبد العزيز الدهلوi
٩٨	.....	الاحتراز عما لا يعنيه
٩٨	.....	الحس الشديد للتوحيد الحالص
٩٩	.....	عنابة الشيخ عبد العزيز والشيخ عبد القادر به
١٠٠	.....	عودته إلى وطنه
١٠١	.....	الزواج
١٠٢	.....	الرحلة الثانية إلى دلهي والانضمام إلى عسكر أمير خان
١٠٣	.....	النواب أمير خان
١٠٥	.....	لماذا التحق السيد أحمد بعسكر أمير خان ولماذا ترك؟
١٠٦	.....	من المعسكر إلى الدعوة والإصلاح
١٠٨	.....	العودة إلى الشيخ عبد العزيز
١٠٨	.....	أعضاء أسرة الإمام ولي الله الدهلوi يدخلون في بيته

١١١	<b>الفصل الثاني</b>
١١١	النشاط الدعوي وإصلاح المجتمع وإحياء السنة
١١١	عودته من دلهي وخروجه إلى المناطق المجاورة للدعوة والإرشاد ..
١١٤	إصلاح العادات والتقاليد غير الإسلامية ..
١١٧	العودة إلى رأي بربلي وجولة المناطق الشرقية للدعوة ..
١١٨	إعداده للجهاد ..
١٢٠	كتابه "الصراط المستقيم" ..
١٢١	الرحلات الدعوية وإصلاح المجتمع الإسلامي ..
١٢١	زواج الأرامل وإزالة الفوارق الطبقية والمهنية ..
١٢٣	في لكتائق ..
١٢٤	توبية نصوح ..
١٢٨	بعد العودة إلى وطنه رأي بربلي ..
١٣١	<b>الباب الرابع</b>
١٣١	<b>الحج</b>
١٣٢	فتوى علماء الهند بإسقاط الحج ..
١٣٣	خلفيات هذه الفتوى ..
١٣٣	موقف الشيخ عبد العزيز الدھلوي ..
١٣٤	وأذن في الناس بالحج ..
١٣٥	السيد أحمد يخرج مع ٤٠٠ من أصحابه ..
١٣٦	الرحلة الحجازية فرصة لإصلاح و التربية الدينية ..
١٣٦	خطبة السيد أحمد أمام أصحابه من عازمي الحج ..
١٣٨	روح التطوع والخدمة ..
١٣٩	إزالة الفوارق الطبقية والمهنية ..
١٤١	إقبال الناس على السيد الإمام ..
١٤٣	في "كلكتة" ..
١٤٥	توبية أعضاء أسرة السلطان تيتو ..
١٤٦	رياح الإيمان في المناطق الساحلية ..
١٤٧	في مكة المكرمة ..
١٤٩	عودته من الحج والزيارة ..

<b>الباب الخامس</b>	
<b>الهجرة والجهاد</b>	
١٥١	الوضع السياسي في أواخر القرن الثاني عشر للهجرة
١٥١	الهجرة إلى الشغور
١٥٢	مشكلة المسلمين في بنجاب وهمُ السيد الإمام لهم
١٥٨	ما هو المقصود الحقيقي من الجهاد
١٥٩	لا نريد الحكم لأنفسنا
١٥٩	الخروج في سبيل الله
١٦١	في أفغانستان
١٦٢	حرب "أكوره"
١٦٤	غارة "حضره" والبيعة والإمامية
١٦٥	حرب "شيدو" وحادثة التسميم
١٦٧	في "بنجتار"
١٦٨	مواجهة القائد الفرنسي ويتنورا
١٦٩	"حرب زيدة" ومقتل يار محمد خان
١٦٩	شهادة السيد أحمد علي في "بهولرا"
١٧٠	حرب "ميار"
١٧١	فتح "بشاور" وتسلیمها
١٧٣	الإماراة الإسلامية على منهاج الخلافة الراشدة
١٧٥	اغتيال العمال والقضاة
١٧٦	الهجرة الثانية
١٧٧	إلى "كشمير"
١٧٧	في "بالاكوت"
١٧٨	الحرب الأخيرة والشهادة
١٨١	نموذج للحياة الإسلامية في الحرب والسلم

١٨٥	<b>الباب السادس</b>
١٨٥	المزايا الشخصية للإمام السيد احمد وتأثير حركته
١٨٥	التأسي الكامل بأسوة الرسول ﷺ
١٨٦	تأثيره ونتائج حركته
١٩٠	النقطة المركزية للدعوة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد وأثرها
١٩١	تأثير العميق ل التربية الإمام
١٩٧	الإصلاح والتجدد الذي قام به الإمام أحمد بن عرفان
٢٠٠	إسهام أتباعه في حركة مقاومة الاحتلال الإنجليزي
٢٠١	من الجهاد بالسلاح إلى الجهاد بالقلم واللسان
٢٠٣	مدرستان للحديث والسنة ومدارس السلفيين
٢٠٤	دار العلوم ديويند ومظاهر العلوم ومؤسسهما
٢٠٧	الشيخ محمد قاسم النانوتوي والشيخ سعادت علي
٢٠٩	ندوة العلماء ومؤسسها الشيخ محمد علي المؤذنيري
٢١٢	السيد أحمد خان وحركته التعليمية
٢١٤	جهود العلماء ضد الاستعمار البريطاني وتحرير البلاد
٢١٦	الشيخ محمود حسن الديويني
٢١٧	مولانا أبو الكلام آزاد
٢٢٠	حركة الشيخ محمد إلياس للدعوة والتربية
٢٢٣	جهود العلماء بعد الاستقلال
٢٢٤	الأستاذ أبو الأعلى المودودي
٢٢٧	مساهمة أتباع الإمام أحمد بن عرفان في الأدب واللغة
٢٢٧	<b>الباب السابع</b>
٢٢٧	خلفاء وأتباع
٢٢٩	<b>الفصل الأول</b>
٢٢٩	خلفاء الإمام الشهيد
٢٣٠	الشيخ محمد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوبي
٢٣٠	مصنفاته

٢٣٣	الشيخ عبد الحفيظ البرهانوي
٢٣٦	الشيخ ولد علي الصادق فوري
٢٤١	الشيخ محمد علي الراهنوزي
٢٤٣	الشيخ الداعية كرامت علي الجونفوري
٢٤٧	الشيخ جعفر علي النقوي البستوي
٢٥٠	الشيخ نصیر الدين الدھلوي
٢٥٢	الشيخ الفتى إلهي بخش الشاھنھلوي
٢٥٢	صلته بالإمام أحمد بن عرفة الشهيد واشتراكه في حركته
٢٥٥	الشيخ نور محمد الجھنجھلاني
٢٥٧	الشيخ محمد ظاهر الحسني الرائى بربولوي
٢٦١	الشيخ عبد العلي النصیر آبادی
٢٦٤	<b>الفصل الثاني</b>
٢٦٤	أتباع المسترشدين للإمام أحمد بن عرفة
٢٦٤	الشيخ عبد الحفيظ البنغولوري
٢٦٩	الشيخ أحمد الله الصادق بوري
٢٧٠	الشيخ يحيى علي الصادق بوري
٢٧٢	الشيخ المحدث نذير حسين الدھلوي
٢٧٣	الشيخ عبد الله (محمد أعظم) الغزنوی
٢٧٦	الشيخ إمداد الله المهاجر المكي وخلفاؤه
٢٧٨	الشيخ رشید احمد الکنکوھی
٢٨٠	الشيخ أشرف علي التھانوي
٢٨٢	الشيخ السيد خواجة أحمد بن ياسين النصیر آبادی
٢٨٥	الشيخ ضياء النبي الحسني
٢٨٧	الشيخ محمد أمین النصیر آبادی
٢٨٩	<b>باب الثامن</b>
٢٨٩	كتب المراجع عن الإمام السيد أحمد بن عرفة الشهيد للمعاصرین وبعض مغالطات الكتاب في العصر الحديث